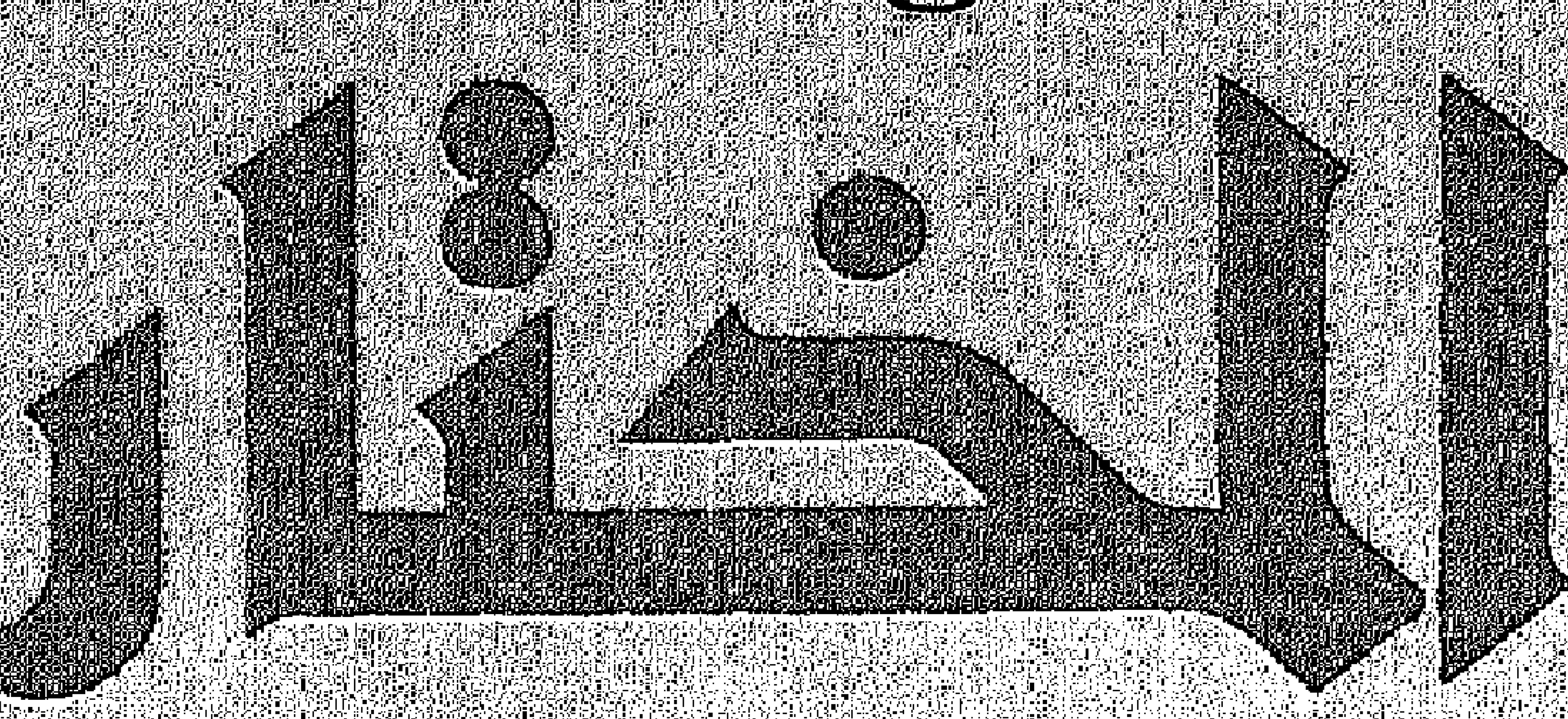
نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩١ - جمادى الاولى ١٤١٢



AL MUKHTAR min Reader's Digest November '91 N° 156

أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٤١ طبعة، ١٧ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

الدهن مصدر السمنة والسرطان

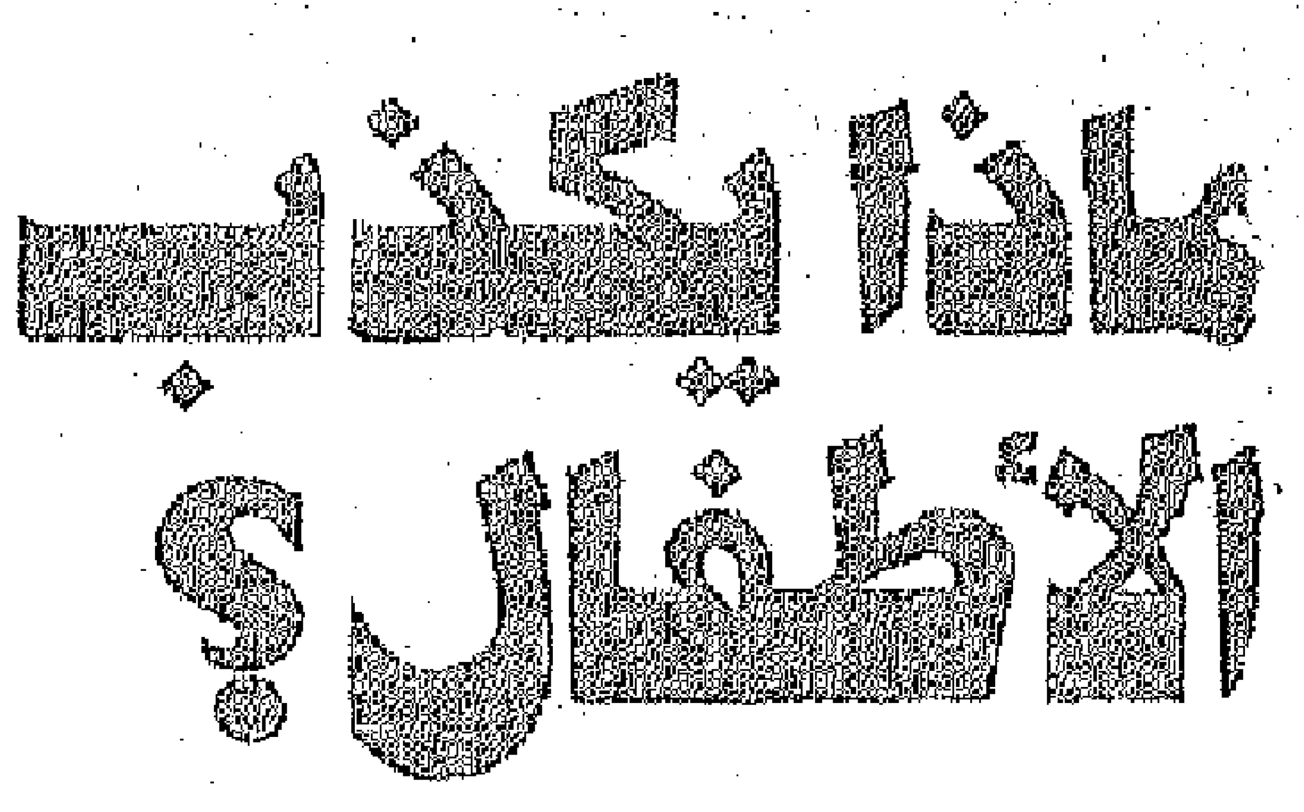
(ص ٦٠)

قاهرو الصحراء الكبرى

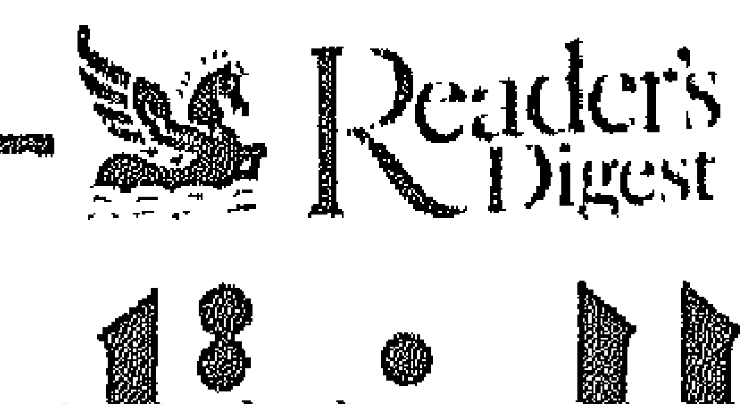
(ص ١٠١)

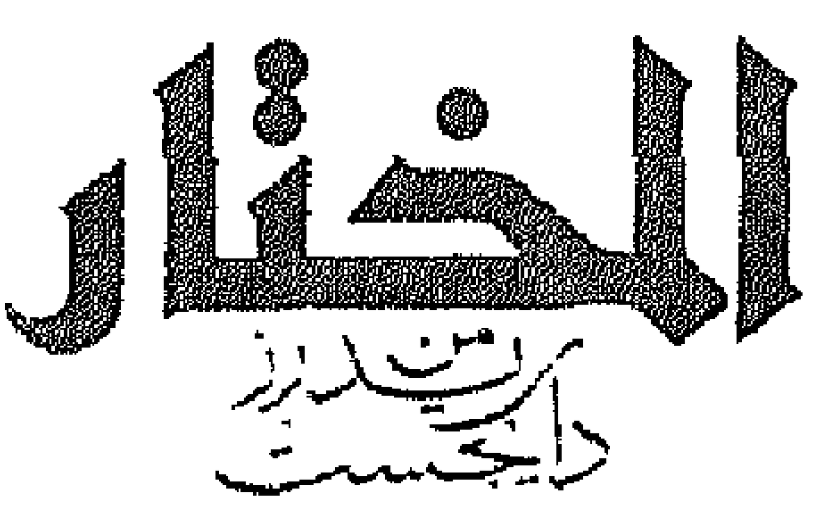
مأساة الطائرة الكورية

(ص ٢٤)



(ص ٣٣)





مجـــلة شهـريـّـة

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.

مديرة التحرير: راغدة حداد. محررة مساعدة: لورا نفاع. الاشتراكات: فريال علاف

مدير القسم الفني: جورج غالي.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر شركة "ابيراك" للمنشورات الدولية - بيروت.

رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح

المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.

التحرير والادارة: بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.

التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE. الهاتف: ٣٥٠٧٦٠/٣٧٠٥٧٥

الاعلانات: MEDIA LINKS INTERNATIONAL, S.A.R.L. العكاوي، بناية ميديا سنتر. الهاتف ٣١٦٠٥٨ – ٠١/٣٢٧٤٨٤

التلكس PRESSE LE ٤٣٢٨٣ – فاكس ٨٦٤٥٧٢ – ص ب ٦٨٨ – ١١ بيروت – لبنان

التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest



Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Makdessi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE. Tel. 350760 / 370575

Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

November '91 N° 156 (New Series) Vol. 13

لبنان ١٠٠٠ل – سورية ٤٠ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٩ر – البحرين ٩٠٠ف

السعودية ١٢ر – مصر ١،٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – الجمهورية اليمنية ٢٥ ر – مسقط ٩٠٠ ب – قبرص ١ ج

تونس ٧٠٠م – المغرب ٨د – الجزائر ٧د – انكلترا ١ج – اليونان ٢٠٠د – كندا وأمريكا الشمالية ٢،٥د



تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).
كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او عيد الحب...
فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟
فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٩١/١/١ و١٩٩١/١٢/٣١ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٣٠ دولاراً امريكياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العناوين الآتية:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR Magazine
c/o Aramex International Courier
P.O.Box 3814 Deira United Arab Emirates.

Aramex International Courier
pour Al Mukhtar B P. 819
94549 Orly Aerogare France

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

اسم المهدى اليه ____________

____

عنوانه ____________

____

المناسبة وتاريخها ____________

توقيع المهدي ____________

مع أخلص تمنياتنا

احموا أولادكم من التلفزيون!

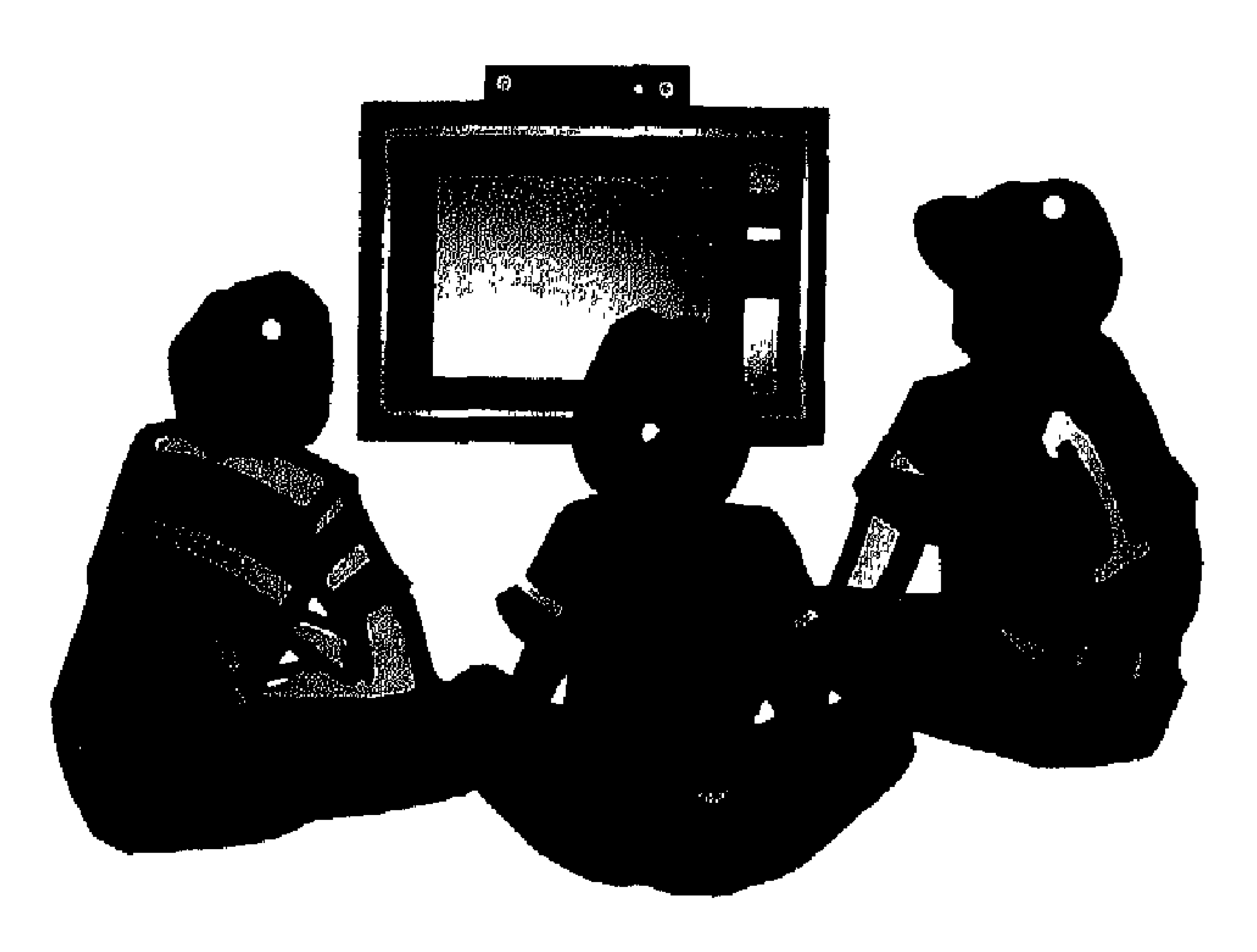
ذات ليلة من شهر أغسطس (آب) ١٩٩٠ جلست ملايين العائلات الامريكية أمام أجهزة التلفزة لمشاهدة "استعراض" للمغنية مادونا نقلته شبكة «HBO»[١] مباشرة من فرنسا. ونظراً الى شهرة مادونا التي طبقت الآفاق والحملة الدعائية التي سبقت الاستعراض الذي بُثّ خلال عطلة الاسبوع في فترة مسائية تشهد أكبر نسبة من الحضور، فقد تسنى لملايين الاطفال مشاهدته.

ظهرت مادونا أمام ملايين المتفرجين وهي تردد كلمة بذيئة لطالما منع بثها على الهواء في الولايات المتحدة. وارتمت في مشهد آخر على سرير وأخذت تتلوى وتتلفظ بكلمات فاحشة.

اننا نعيش في عصر يتقبل الكبيرة والصغيرة، لذا فان المحتوى الضحل للاستعراض الذي تعمد الابتذال لم يكن مستغرباً. كما أن اللغة المستعملة، في ذاتها، لا تختلف عما نسمعه في الافلام.

(١) Home Box Office

مشاهد فاضحة تبث على مرأى من الاطفال وما من صوت واحد يعلو استياء



أما المستغرب فهو أن قلة ضئيلة من الأولياء اتصلت بشبكة التلفزة للاحتجاج على عرض هذا البرنامج. وأفاد ناطق باسم الشبكة أن عدد الشكاوى لم يخرج على المألوف، وأن استعراض مادونا هو البرنامج الترفيهي الاصيل الاسمى منزلة في تاريخ الشبكة.

لذا يبدو جلياً أن الاولياء في الولايات المتحدة فقدوا الامل نهائياً في امكان مراقبة ما يشاهده أولادهم على شاشات التلفزة.

والحقيقة اني لا أتكلم عن مادونا بالذات. صحيح أني لا أجد متعة في حركاتها المدروسة وغير المحتشمة، الا أنها حرة في أن تجمع المال بالطريقة التي تحلو لها. فمنذ عشرات السنين يحاول مغنون متوسطو الموهبة تعبئة الافكار التمرُّدية وتسويقها، ويبدو أنهم ينجحون دائماً في أوساط الشباب. وكذلك نجحت مادونا في تسويق سلعتها.

لكن المقلق في الامر أن سلعتها ظهرت في المنازل الامريكية، في يوم عطلة، وفي وقت يشهد "زحمة" متفرجين. والشعب لم يكترث للامر.

كان المسؤولون عن شبكات التلفزة في ما مضى يدققون في أصغر تفاصيل البرامج المعروضة، خصوصاً تلك التي يشاهدها الاطفال. غير أن البلاد تعاني اليوم اضمحلالا شديداً في القيم الاخلاقية لدى المشاهدين، بحيث أن مثل هذه المشاهد الفاضحة باتت تعرض على ملايين العائلات من دون أن تثير موجة صغرى من الاحتجاج.

فماذا عن دعوة الاولياء الى اطفاء جهاز التلفزة إن لم يعجبهم البرنامج؟

إنها دعوة مفيدة. لكن جولة مادونا الاولى من المشاهد الفاضحة لم يسبقها أي تحذير. ولئن زعم القيِّمون على الشبكة أن البث مباشر، فالحقيقة أن الاستعراض سُجِّل قبل ساعات. وبالتالي كانت الشبكة على علم بمضمونه، ومع ذلك بثته كما هو من دون أن تُسبقه بأي تنبيه. ويقول أحد المسؤولين فيها بافتخار: "كان قرارنا ابداعيا."

و«HBO» واحدة من شبكات الـ"كايبل"[٢] غير الملزمة بالقيود المفروضة على الشبكات الاخرى. غير أن هذه الحقيقة لا تهمّ الاولاد الذين نشأوا وفي منازلهم تلفاز يلتقط محطة كهذه. فشبكة «HBO» ليست بالنسبة الى هؤلاء سوى محطة تعرض برامج شائقة.

سوف تصل الى مسامع الاطفال ألفاظ أسوأ من ألفاظ مادونا، أو لعلها وصلت. كما أن بث استعراض مادونا أو ما يشبهه لم يعد يثير جدلا خاصا، بل ما يثير الجدل هو التساؤل العلني حول صلاح بثه والقول ان عرضه على أطفال الامة عمل خاطىء، لأن من يتبنى وجهة النظر هذه يخالف العالم.

لكني مع ذلك أقول انه عمل خاطىء، وخاطىء جداً.

بوب غرين ■

(٢) Cable network. اي انها شبكة خاصة تقتضي مشاهدتها دفع اشتراك شهري.



- المنطق قد يضللنا، اما الضمير فلا.

جان جاك روسو. فيلسوف فرنسي

- الوقت قصير بين لحظة ادّخارك قرشاً ابيض ليوم أسود ولحظة حلول السواد.

جين كوين. صحافية اقتصادية

- الموهبة شعلة. والعبقرية نار.

برن وليمس

- القراءة تزوِّد العقل معرفة فحسب. اما التفكير فيجعل قراءاتنا جزءاً منا.

جون لوك. فيلسوف بريطاني

- حريّ بالماضي ان يكون منصة وثب لا ارجوحة.

ايفرن بول

- الظرف نفّاذ، والفكاهة غامرة. الظرف فعل ذكاء كلامي، والفكاهة فعل خيال واسع في طبيعة طيبة.

بيغي نونان. كاتبة خطابات الرئيسين ريغان وبوش

- مقياس مجد الرجال العظام هو وسيلتهم في كسبه.

لا روشفوكو، معلّم اخلاقي فرنسي

- رحلة الاستكشاف الحقيقية ليست سعياً الى أصقاع جديدة، بل هي النظر بعينين جديدتين.

مارسيل بروست، روائي فرنسي

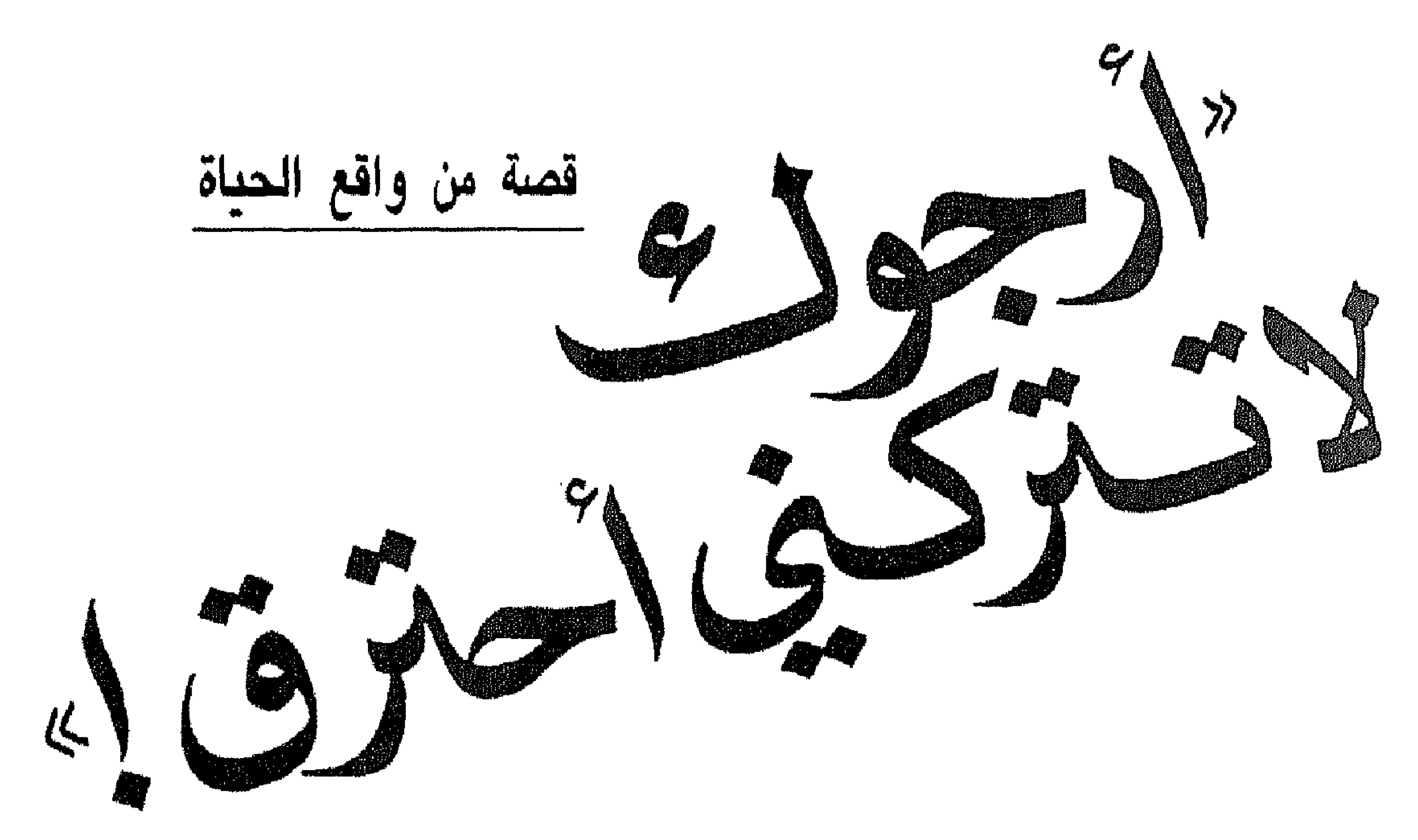
- المقدرة عاجزة أبداً عن تلبية جميع الطلبات.

مالكوم فوربس، ناشر وكاتب امريكي

Reader's Digest
المختار
نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩١
جمادى الاولى ١٤١٢
السنة الثالثة عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

قصة من واقع الحياة

«أرجوك لا تتركني أحترق!»

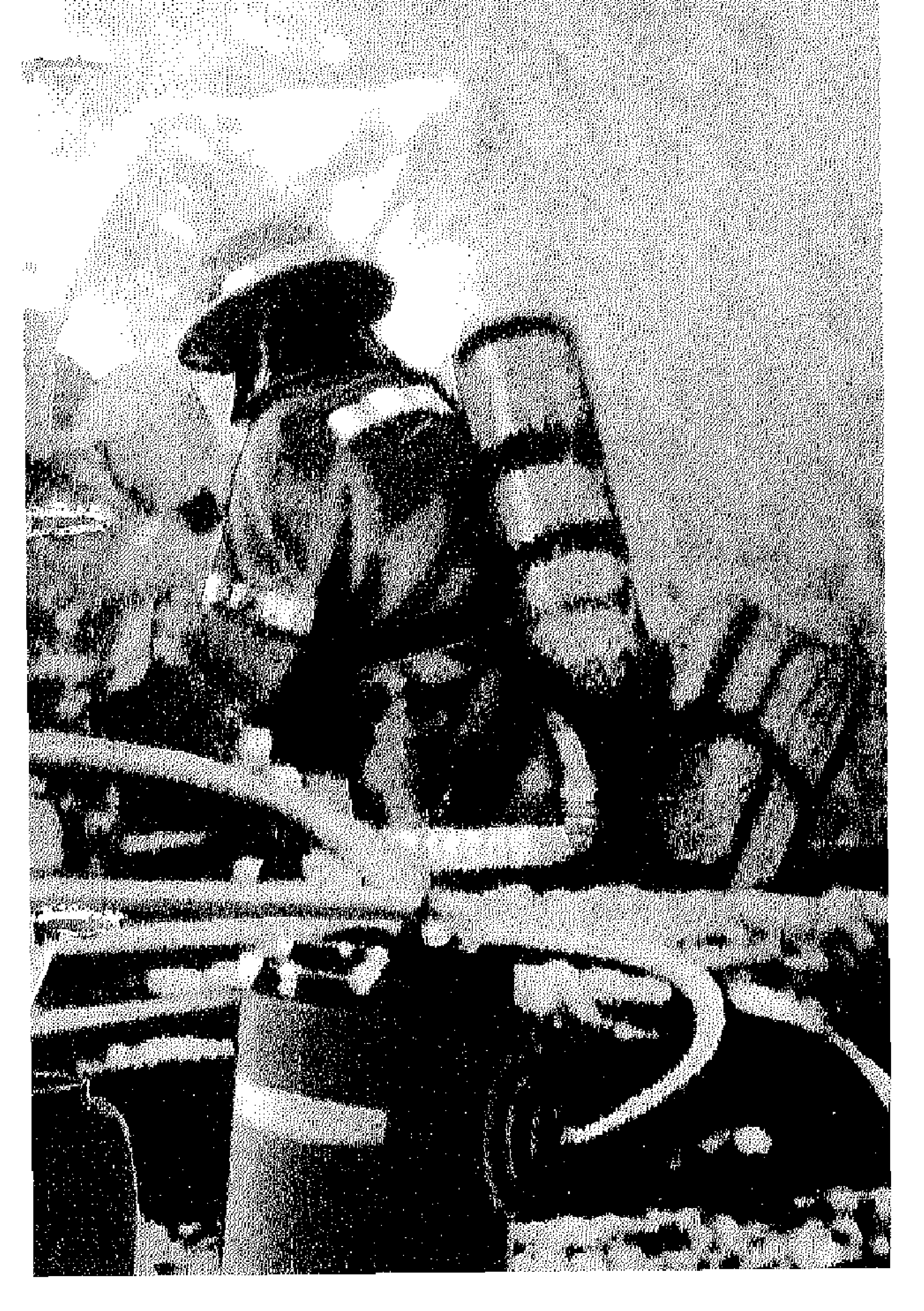


كان بادي مارش يقود صهريجا محملا بأكثر من ٣٢ ألف ليتر من البنزين على الطريق المزدحمة المؤدية الى أكبر المراكز التجارية في نيوزيلندة والواقع في جنوب أوكلاند. ولدى اقتراب الصهريج من المركز خرجت سيارة أجرة من موقف فسدَّت طريق مارش. فانحرف الى الخط الآخر من الطريق، واطمأن اذ تطلع في المرآة ورأى أن شاحنته تجاوزت السيارة بسلام. لكنه حبس أنفاسه رعباً عندما نظر أمامه وشاهد سيارة أخرى متوقفة في طريقه.

برم مارش المقود وضغط كابح الهواء، ولكن بعد فوات الاوان، اذ صدمت الشاحنة مؤخر السيارة مما جعلها تدور على نفسها وأدى الى تمزق خزان الوقود فيها فتطاير رذاذ البنزين على الآليتين واشتعل فوراً، بينما التف الصهريج

ILLUSTRATION: DAVID LOEW; PHOTOS FROM TRISTAN FILMS VIDEO, CAMERAMAN REX WILMSHURST




المقطور على مقدم الشاحنة وانقلب على السيارة.

اتصل مارش بزميله المناوب عبر جهاز الراديو. قال: "بريان، وقع لي حادث! الشاحنة تشتعل. اتصل بقسم الطوارىء!" ثم قفز من مقصورته وهرع نحو السيارة الرازحة تحت المقطورة المقلوبة وألسنة النار تمتد صعداً. وزاد الخطر أن الوقود كان يتسرب من ثقب في الصهريج، مهدداً بانفجار عظيم.

تحت الشاحنة. مساء ذلك الخميس ٩ أغسطس (آب) ١٩٩٠ توسلت شيرلي يونغ الى والدتها غايلين: "دعينا نذهب يا أمي." ففي يوم الخميس يفتح المركز التجاري "سيتي سنتر" حتى ساعة متقدمة من المساء، والذهاب اليه بالنسبة الى فتاة في الثانية عشرة هو الحدث الاسبوعي الابرز. فتناولت الام مفاتيح سيارتها وانطلقت وابنتها الى السوق.



انحـرفت غايلين بـالسيـارة الى المنعطف المفضي داخل المركز وانزلت شيرلي على الرصيف. لكن ابنتهـا أوقفتها: "انتظري يا أمي. نقودي!" وفتحت الباب الامامي الايمن وانحنت لتوضح لأمها أنها نسيت محفظتها وعليها أن تعود الى المنزل لاحضارها.

للحظة كانت غايلين يونغ تتحدث الى ابنتها، وفي اللحظة التالية كانت تدور في دوامة من المعدن المتمعج. واندفعت ألسنة اللهب داخل السيارة. وتساءلت غايلين هلعة: "أين شيرلي؟" وفجأة احست بألم شديد في رجليها. كانت ثيابها تحترق. حاولت فتح الابواب المنبعجة. وصرخت: "لا! لن أموت هكذا!"

وصل مارش الى السيارة في وقت كان عابر سبيل يدعى ديفيد بيتيرا قد سحب غايلين، مخمداً بجسده ألسنة اللهب عنها. وسمع مارش صوتاً ينادي: "ماما! ماما!" فتش تحت الصهريج المنقلب فرأى فتاة سوداء الشعر محشورة في فسحة صغيرة بين العجلة الخلفية وأسفل الهيكل (الشاسي).

أمسك مارش شيرلي من ابطيها، لكنه لم يستطع زحزحتها لأن موصل العجلة سمّر الجزء السفلي من جسدها الى الارض. زحف بيتيرا الى جانب مارش، ومن خلال فجوة في الهيكل رأى هذا سيلا من الوقود يتدفق من الصهريج الى قناة محاذية للطريق، فصاح في بيتيرا: "علينا أن نخرجها الآن!"

هرع مارش عائداً الى مقصورة شاحنته المشتعلة وأدار المفتاح، فهدر المحرك. وتقدم بالشاحنة ببطء، لكن شيرلي صرخت من الألم. ناداه بيتيرا: "لا جدوى من ذلك، فهي لا تزال عالقة."

وارتفع جدار من النار على طول الصهريج مهدداً بالامتداد تحت المقطورة حيث كانت شيرلي. تناول مارش مطفأة من مقصورة الشاحنة ورش حول الفتاة آملا كسب بضع ثوان ثمينة.

ثم سُمع دوي راعد اذ أحدث انفجار ثقباً في احدى حاويات الوقود الاربع في الصهريج. لكن هيكله كان حاجزاً واقياً لمارش وبيتيرا من قوة الانفجار، فخرجا من تحته يترنحان. وأمرهما شرطي بالابتعاد، اذ كانت ألسنة النار لفت الشاحنة والصهريج والسيارة وارتفعت حوالى ١٠٠ متر.

أشكال بشرية. وصلت سيارتا اطفاء من محطة مانوكاو تسبقهما صفاراتهما المدوية. كانت الحرارة شديدة الى درجة أن الاطفائي رويد كينيدي، وهو أول الواصلين الى المكان، لاحظ أن جزمته وسرواله المقاوم للنار والطبقة المطاط التي تغلف جهاز تنفسه بدأت تشوط. وعندما أدار وزميله مايك كيز خرطوم الماء نحو النار، تحول الماء بخاراً.

وكان أكثر ما شغل رجال الاطفاء معرفتهم أن الصهريج قد ينفجر في حريق هائل من مزيج الوقود والهواء يمتد مئات الامتار. وكانت السوق التي تبعد

مئة متر عن الشاحنة المشتعلة مزدحمة بنحو ٢٠ ألف متسوق تلك الليلة.

ووصل مزيد من رجال الاطفاء وركزوا مياه خراطيمهم في محاولة لابعاد ألسنة اللهب عن الصهريج، لكن انفجارات متتالية اضطرت كينيدي والآخرين الى التراجع.

وبينما هم يحضّرون لمحاولة أخرى، سمع عويل قطع سكون الليل، واعتقد الاطفائيون انه ناجم عن تمدد المعدن. وعندما تردد الصوت المخيف اقشعر بدن كينيدي وقال في نفسه: "الصوت آت من ناحية الصهريج!" ارخى عن خوذته الحاجب الواقي للعينين وحدق الى جدار اللهب الذي ما ان انشق لحظة حتى رأى كينيدي تحت الصهريج شيئاً يلوح... يد ولد!

صرخ كينيدي: "غطّوني!" وركض مباشرة الى الجحيم المستعر.

كانت شيرلي تتقلّى في بحر من النار منذ عشر دقائق وهي تستغيث. وأصيبت بدوار من جراء الألم وأبخرة البنزين وبدأ ذهنها يتشتت. وتراءى لها جدها ادوارد يونغ وخال والدها فنسنت بيديوس اللذان توفيا قبل سنوات، لكنها لم تخف بل فكرت: "سوف يعتنيان بي." ومنحتها هذه الفكرة قوة جديدة، فجهدت لتتطلع عبر ألسنة النار، ولمحت أشكالا بشرية تتحرك. ثم جمعت كل قواها وصرخت.

"سأبقى معها!" عندما اقترب كينيدي من اللهب سفعته الحرارة كمن تلقّى لطمة، وشعر بوخز في وجهه المغطى بالخوذة. وجد شيرلي ممددة على ظهرها تحت الصهريج وممسكة بسلك كابح فوق رأسها. كانت وركاها وفخذاها عالقة تحت موصل العجلات، وساقاها مطويتين قرب صدرها كقائمتي جندب.

انتحبت شيرلي: "انني خائفة! أرجوك، لا تتركني!"

طمأنها كينيدي وهو يحدق الى عينيها الواثقتين به: "أعدك بألا أتركك. إننا معاً في هذه الورطة، وعلى كل منا أن يساعد الآخر." ثم حضن جسدها بين ذراعيه. كان الصهريج لا يزال يحميهما من الحريق الرئيسي، لكن الهواء كان مشبعاً بأبخرة البنزين مما جعلهما يتنفسان بصعوبة.

فجأة اشتعل البخار وانفجر الهواء حولهما. قال كينيدي في نفسه: "انها النهاية! نحن مائتان لا محالة!" وشعر بالوهن المشوب بالعجز فيما ألسنة اللهب تجتاح الفتاة. تراجعت النار لحظة، فخلع خوذته وقال لشيرلي: "اعتمري هذه." وأحكم رباط الخوذة تحت ذقنها وأنزل القناع على وجهها.

اجتاحتهما موجة ثانية من النار. ووفرت الخوذة هذه المرة بعض الحماية لرأس شيرلي، لكن مزيداً من الانفجارات هز الصهريج. نظر كينيدي الى جسد الفتاة العالق وقال: "لن أتركك. أعدك بذلك." لف ذراعيه حولها وانتظر موجة اللهب الاخيرة متوقعاً أن تقضي عليهما.

ولكن عوض ذلك تساقط عليهما شلال

مفاجيء من المياه الباردة، فهتف كينيدي: "لقد تقدم زملائي نحونا!" كانت أربعة خراطيم موجهة نحو كينيدي وشيرلي تصب عليهما ٤٥٠٠ ليتر من المياه المثلجة كل دقيقة.

صرخ أحد رجال الاطفاء لكينيدي: "سنرسل أحداً ليحل مكانك."

أجاب كينيدي بحزم: "لا، سأبقى معها. لقد وعدتها بذلك!"

"شيرلي، كلميني!" ارتدى المسعف غرانت بنيكوك معطفاً واقياً وخوذة واندفع نحو ألسنة اللهب متجاسراً على خوفه. وبينما [illegible] يزحف الى حيث شيرلي وكينيدي، لم يجد أي متسع لتمرير أنبوب مصل، فعاد أدراجه واتصل لاسلكيا بفريق الصدمات في مستشفى ميدلمور. قال: "أعدوا العدة لمريضة تعاني حروقاً بالغة وكسوراً وتحطماً في الجزء السفلي من جسمها."

ومن الضروري أن يصل ضحايا الصدمات الى المستشفى خلال ساعة من اصابتهم لتتسنى لهم فرصة معقولة في النجاة. وكانت شيرلي تحت الصهريج منذ أكثر من نصف ساعة.

ظل كينيدي يكلمها لئلا تفقد وعيها. فسألها: "ماذا تشاهدين على التلفاز؟" وتحدثا عن برامجها المفضلة. فقالت شيرلي في نفسها: "هذا الرجل شجاع، يستطيع الخروج من هنا ساعة يشاء. لعلّ جدي والخال فنسنت أرسلاه."

كانت تطلق أنات مخنوقة بين الفينة والاخرى. وشجعها كينيدي على الصراخ قائلا: "لا بأس. اصرخي ما شئت." واذ صار ألمها لا يحتمل، صرخت وهي تشد كينيدي من شعره الكث. لكنها لم تذرف دمعة واحدة.

توقف تدفق المياه لحظة فاندفعت نحوهما ألسنة اللهب من جديد. وعندما عاودت المياه تدفقها ذعر كينيدي اذ لاحظ طبقات من جلد ذراعي شيرلي تنزلق حول معصميها، وبدا له بوضوح أنها تزداد وهناً.

سألها في محاولة يائسة لحضّها على الكلام: "هل تحبين الجياد؟"

أجابت: "لم أركب جواداً من قبل."

فقال: "عندما نخرج من هنا، أعدك بنزهة على حصان ابنتي."

وفيما كينيدي يتكلم ظل يتفحص نبض شيرلي. لقد انقضت أربعون دقيقة وهي عالقة في ذلك المكان. وتساءل في نفسه: "يا الهي، كم ستتحمل بعد؟"

فجأة شعر بنبضها يرتعش، وما لبث أن اغمضت عينيها. خاطبها راجياً: "شيرلي، كلميني!" فاستجمعت قواها لبرهة وجيزة ورفعت رأسها ونظرت في عينيه. ثم همست له: "اذا لم انجُ، أبلغ الى أمي أنني أحبها." قالت هذا وتراخى رأسها بين ذراعيه.

صرخ كينيدي: "انها تحتضر. ارموا الي جهاز انعاش!"* وضع قناع الانعاش على وجهها وحقن الهواء في رئتيها، ففتحت عينيها.

(*) Air Viva



قال لها موبخاً: "قولي أنت لأمك انك تحبينها. وعدتك بألا أتركك، وعليك انت الآن الا تتركيني!"

فتاة شجاعة. حدا اليأس فريق الأنقاذ على احضار أكياس هواء لرفع الصهريج. وفي امكان هذه الأكياس المطاطة المقواة بالفولاذ أن ترفع عربة سكة حديد ستين سنتيمتراً، أي ما يكفي لاخراج الفتاة من تحت الصهريج.

وضعوا كيساً تحتَ كلّ من العجلات الخلفية وضخوا الهواء. لكن الارض كانت اخضلّت بالمياه فغاص أحد الاكياس في الوحل. راح افراد فريق الانقاذ يجاهدون لكسب بضعة سنتيمترات أخرى، وأدخلوا مكبساً هيدروليكياً صغيراً تحت هيكل الشاحنة. ارتفع الصهريج قليلا بمقدار بدا كافياً.

سحب كينيدي ساقي شيرلي برفق من تحت العجلة. كانتا مهشمتين بحيث بدتا كالهلام بين يديه. وبعد وقت قصير تحرر جسدها المتغضن من محبسه.

قال لها كينيدي وهو يحملها الى نقالة اسعاف: "إننا حرّان الآن!"

فابتسمت له بوهن. فطبع قبلة على وجنتها وقال لها: "لقد نجوت يا شيرلي." ثم ألقاها بين ذراعي اطفائي آخر وقد أنهكه البرد والتوتر والدخان.

أخيراً تمكن رجال الاطفاء من صب رغوة على الصهريج لم يكن في امكانهم استعمالها قبلا تفادياً لتعريض كينيدي والفتاة للخطر. وفي دقائق خمدت ألسنة اللهب.

عندما عاد جون هايلاند، الضابط المسؤول في مركز الاطفاء، الى مكان الحادث صباح اليوم التالي، رأى شيئاً لن يبرح ذاكرته طوال حياته. لقد ذابت طبقة الاسفلت العليا بفعل الحريق على مساحة اتسعت خمسة وستين متراً. وفي أحد الاماكن بانت الحصى التحتية الا في رقعة لا تتجاوز مساحة طاولة صغيرة سفعتها النار سطحياً حتى ان طلاء خط الطريق ظل بيِّناً. في تلك الرقعة بالذات كانت شيرلي ممددة.

عمد الاطباء في مستشفى ميدلمور

الى جبر كسور شيرلي وزرع قضيب معدني في ساقها اليمنى المهشمة. وعمل اختصاصيو الحروق على انقاذ ما يمكن انقاذه من اللحم المحترق على ساقيها. لكن الصدمة التي تلقاها جسدها الفتي كانت كبيرة.

وضعت شيرلي في غرفة العناية المركزة مدة أسبوعين، وكانت تعطى أحيانا كميات من مسكنات الألم. وكان جهاز التنفس الاصطناعي يمنعها عن الكلام. وصباح اليوم الرابع، بينما كانت بين صحو ونوم، خربشت هذه الكلمات: "أحبك يا أمي."

في اليوم التالي أُدخلت غايلين الى جناح شيرلي، فبكت الام والابنة فرحاً.

أصيبت ربلة ساق شيرلي بتلف شديد مما استدعى بتر ساقها اليمنى من تحت الركبة، لكنها تلقت النبأ بشجاعة.

وعادها كينيدي مرات عدة متجاهلا العرف الذي يحظر على الاطفائيين زيارة الضحايا لئلا يصيروا عاطفيين الى درجة تحول دون أدائهم وظيفتهم كما يجب. وكان يأكل من حلواها ويمازحها. وشارك الاطباء في "معاينة" حالها، فدون على الرسم البياني المعلق على سريرها والذي يوضح تطور وضعها الصحي: "هذه الفتاة ضاجّة على نحو لا يحتمل."

يقول كينيدي: "إنها أعجوبة. لا أحد يعلم كيف نجت من الحادث."

لكن شيرلي تعرف: "كان لي ملاك حارس يهتم بي."

قبيل الميلاد تماثلت شيرلي الى درجة كافية سمحت لها بالعودة الى البيت. وبعد أربعة أسابيع وفى رويد كينيدي بوعد آخر. ففي يوم جميل من أيام يناير (كانون الثاني) أخذها في نزهة على حصان ابنته.

جايمس هتشيسون ■

لقد التقيت رجلا...

تقدم رجل من شباك المراهنة في مدرّج سباق الخيل معتزماً المراهنة على الحصان الرقم ٣، فلاحظ أن رجلا أمامه راهن على الرقم ٤، فغير رأيه واختار الرقم ٤. فكانت النتيجة أن فاز الحصان الرقم ٣.

سأله صديقه: "ما بك؟ كنت أظن أنك اخترت الرقم ٣؟"

أجاب: "لقد التقيت رجلا..."

في الشوط التالي اعتزم صاحبنا المراهنة على الحصان الرقم ٥، لكنه التقى رجلا يراهن على الحصان الرقم ٦ فغير رأيه، وفاز الرقم ٥.

بعد خسارة ستة أشواط متتالية على هذا المنوال قال الرجل لصديقه: "لقد نلت كفايتي، انني ذاهب لشراء شطيرة جبنة."

وعندما عاد حاملا شطيرة همبرغر سأله صديقه: "ماذا تفعل بالهمبرغر؟"

فأجاب: "حسنا، لقد التقيت رجلا..."

ك.ا.

أيها الزوج العظيم!

بعد اثني عشر عاماً من الزواج ● وضعتُ زوجتي حيث تريدني هي

يزعم بعض الناس أن الحياة الزوجية ليست أمراً سهلا، وأن على المرء أن يغذيها ويسقيها ويشذبها، الى ما هنالك من تعابير مأخوذة من عالم العشبيات.

هراء! لقد تزوجت قبل أكثر من عقد، وفي استطاعتي القول ان نجاح الزواج لا يرتبط بالعمل الا قليلا، وأقل بالصبر. المسألة الحقيقية هي: هل تستطيع ادارة زوجتك أم لا؟

الرجل الذي يدير زوجته – فيما هي تديره – قد يتمكن من تحقيق السعادة والحياة الزوجية المستقرة في آن، والا كان مثله مثل ذلك الاحمق الذي يلتهم الفستق المملح في أحد المقاهي من دون أن يدري ان القصد من وضع الفستق المملح على الطاولة هو جعله يشعر بالظمأ فيطلب كأساً أخرى من الشراب. هل ترغب في أن تكون مثل هذا الاحمق؟ بالطبع لا! على الاقل ليس كل يوم.

اذاً، اتبع هذه الوصايا البسيطة:

إكتفِ بكلمة "نعم." تتقدم الزوجة العادية بما معدّله ٦،٨ مطالب كل ثماني ساعات يقظة، لا لسبب الا لانك، كقمة إفرست، حاضر أمامها. الرجل الذي يتحرك لتلبية كل هذه الطلبات محكوم عليه بحياة ملؤها نشاط غير مجدٍ ونزاعات زوجية، مما لا يدع له مجالاً للهو.

ان اتباع سياسة الموافقة بدماثة على كل مطالب الزوجة يضعها في موقف صعب ومنهك اذ ترى أنها تضايق رجلا يبدو مستعداً للموافقة على كل شيء.

لا تغالِ في ردود فعلك نادراً ما تحس الزوجات أنهن على حق أكثر مما حين يكنَّ غير منطقيات. في لقائنا الاول، اختارت الفتاة التي أصبحت زوجتي مطعماً يقدم شرائح مقززة من الهمبرغر

مكسوّة بأنواع مختلفة من التوابل والمرق لاخفاء حقيقتها.

هل يظن أحدكم أنني أصررت على مطعم بديل؟ أبداً! عندما قررنا أن نخرج ثانية لتناول طعام العشاء، أخذتها في جولة استطلاعية على كل المطاعم الاخرى. وفي النهاية أنهكتها معقوليتي العنيدة وفات وقت تناول العشاء خارجاً وانتهى بنا المطاف الى تناول كميات من الاطعمة الغريبة في منزلها. ولم يطل بنا الامر حتى تزوجنا.

قم بواجباتك المنزلية. مفتاح السر هنا أن تدفع بعملية التنظيف الى هوة التأجيل السحيقة: غداً. لاحقاً. في ما بعد. وعندما يأتي الوقت المحتوم قم بقسطك من العمل في فورة من النشاط. زوجتي قانعة تماماً بأن تدع المنزل يغرق في الفوضى تدريجاً على مدى أسبوع فيما تغزو الالعاب والملابس وعلّاقات الثياب وبقايا الطعام أرجاء البيت. فجأة يصل صبرها الى نقطة الانفجار، وهذا يعنيني أنا.

كافحتُ لسنوات وتملقتُ محاولا التملص. أما الآن فصرت أرفع أكمامي وأتنقل في البيت بسرعة الطاعون. هنا بعض الافكار المفيدة:

□ في ترتيب الثياب، كوِّم كل شيء في سلة الغسيل بدلا من تعليق ما يمكن أن يلبس ثانية.

□ عندما يطلب منك تنظيف صواني الميكروويف* التي بات الطعام جزءاً من تركيبتها، أنجز العمل بكدّ، ولكن بطريقة سيئة تدفع زوجتك الى التفكير الحكيم في أداء العمل بنفسها في المرة التالية.

□ تحت الاسرّة والكنبات وفوق رفوف الكتب وخلفها مساحات وافرة غير مكتشفة. لا تهمل استخدامها!

ان الزوج الذي يعمل بسرعة وبخيال واسع يمكنه أن يقلّص الوقت المخصص للاعمال المنزلية الى أقل من عشرين دقيقة أسبوعياً من دون أن يتبادل وزوجته كلمة غضب.

حظاً سعيداً!

ابذل جهدك وتأكد من الفشل. أقام صديقي بروس برهاناً أبدياً على قصوره بضربة حظ واحدة في أغسطس (آب) الماضي. كانت أمام منزله بركة سباحة صغيرة، فطلبت منه زوجته بناء سياج يحمي طفليهما. دعاني بروس الى مساعدته في اقامة السياج بنفسه، وبذلك ضاعف حماقته مرتين.

برز السياج متلوياً كالافعى عبر الفناء. وعندما رغب الزوجان في بيع العقار لاحقا اكتشفا أن قيمته تدنت ٣٠ ألف دولار بسبب بشاعة السياج. وهما الآن يستأجران حِرَفياً لانجاز أي عمل مهما يكن صغيراً.

عافاك الله يا بروس!

اخرجا واصرفا معاً. لا تمثل دور المدير المالي المقتّر. شجّع زوجتك على

(*) فرن الموجة الصغرى.

الشراء، فلا يطاوعها ضميرها لاحقاً على انتقاد شرائك رقاقة لجهاز الكمبيوتر بعد أن تكون هي اشترت ست بذلات رياضية عجيبة الالوان.

المهم أن يكون في جيبك ما يكفي. اذا كانت زوجتك مقترة، وخصوصاً اذا كانت تحصِّل من عملها نصف مصروف العائلة، فقد يؤدي نقص المال الى ابتزاز خفيف أو تخاطف محفظة أو اخفاء نقود.

لا تسحب مبالغ كبيرة من حساب مشترك في أيِّ ظرف. هذا الامر مغرٍ، خصوصاً بعد توافر أجهزة السحب الالكترونية. قبل سنوات تورطت في عمليات سحب عدة بواسطة بطاقة الكترونية. وذات يوم، فيما كانت زوجتي تراجع كشف حسابنا في المصرف، زعقت من أعماقها زعقة مرعبة ونظرت الي بعينين جاحظتين قائلة: "هناك فرق ٦٠٠٠ دولار بين ما كنت أعتقد أننا نملك وما يدَّعيه المصرف. لماذا؟" ومنذ ذلك الوقت تصرّ زوجتي على التدقيق في كشوف حسابنا.

اتركها تأكل ما تشاء. تُقلّ النساء من تناول بعض الاطعمة (اللحم مثلا) وتكثر من أخرى (الخضر النيئة والشوكولاتة). فعليك أن تحمي حقك في تناول اللحوم والنقانق والنشويات والدهون التي تسدّ الشرايين.

لا تسمح لنفسك، في مطلق الاحوال، بالتدخل في نظام أكلها. اذا كانت زوجتك مثل زوجتي، فسوف ترسلك في طلب الكعك والحلوى ثم تتهمك بمحاولة تخريب نظام حميتها. اذا تعذر عليك الفوز باللعبة، فلا تلعبها!

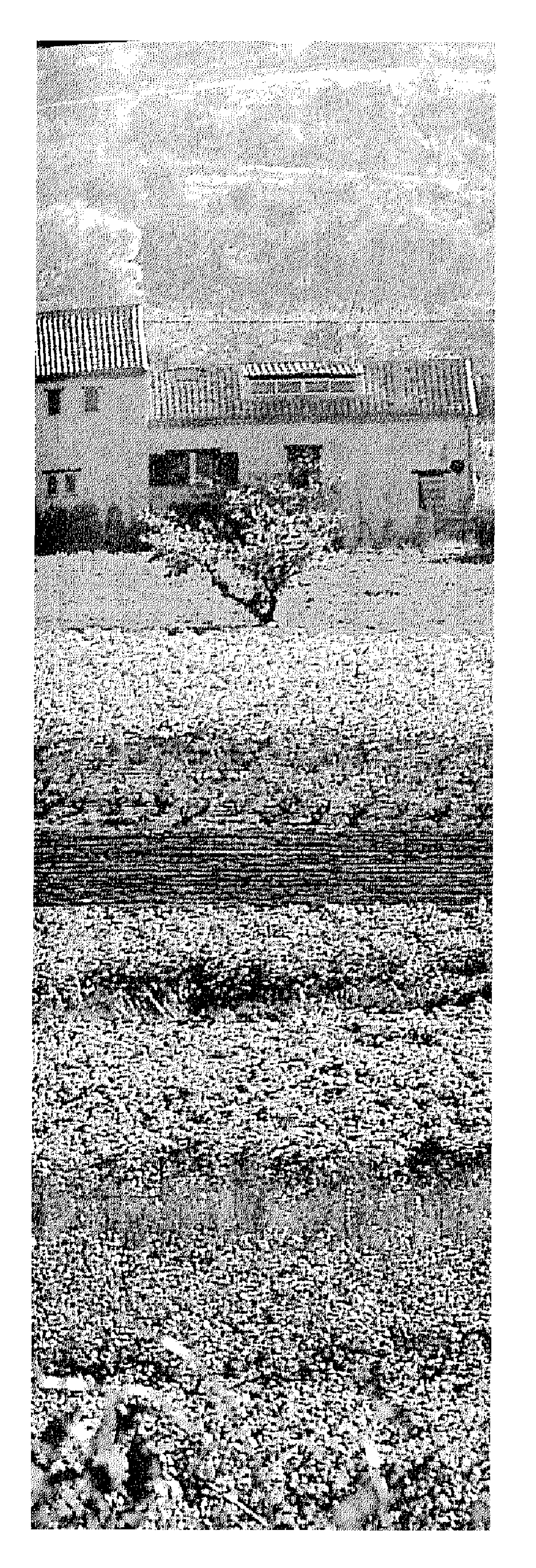
لا تنتقم بل اطلق لغضبك العنان. عندما تفشل كل السبل، خذ موقفاً ثابتاً. ترك صديقي زوجته تشتري منزلا من دون موافقته المعلنة. وعندما سألته عن السبب أجابني: "سألتني اذا كنت أوافق، فقلت لها إن علي أن افكر في الامر. وقبل أن أنتهي من التفكير اشترت المنزل."

وبعد شهرين أصابت صديقي نوبة غضب جنونية داخل السيارة. فبدأ يصرخ ويضرب عجلة القيادة بقبضتيه، مما أثار الذعر في قلب زوجته فأذعنت له وأعادت بيع البيت لأول زبون. لقد انتصر صديقي! وها هما الآن ينتقلان الى منزل آخر لا يرغب صديقي في سكناه!

تذكرْ في النهاية أنك تزوجت هذه المرأة بسبب كل الامور التي تزعجك فيها وليس على رغم هذه الامور. ولو شئت شخصاً أكثر تفهماً وادراكاً لتزوجت ذاتك!

في زوجتي كل ما ليس فيّ، ولذلك، أنا أقدرها. ففي نهاية يوم عمل طويل، عندما ترتسم في عينيها تلك النظرة المراهقة الحالمة وتطوقني بذراعيها وتقول: "انك رجل عظيم يا ستانلي،" أدرك أنني وضعت زوجتي حيث تريدني هي.

ستانلي بنغ ■



فرنسا يا حلوتي!

أربعة عقود مرت على اكتشاف تيرنس كونران فرنسا، وهو مصمم بريطاني ومؤسس شبكة محال المفروشات الشعبية "أبيتا." وتكررت مذذاك زياراته للبلد وبات يمضي أوقاتاً طويلة في منزله في بروفانس. وضمّ كتابه الذي نشر حديثاً بعنوان "فرنسا يا حلوتي" مجموعة ساحرة من الصور الفوتوغرافية تمثل، بالنسبة اليه، جوهر الأمة الفرنسية. وهو يأمل أن يكون أفلح في التقاط بعض من روح البلاد فيفيها نزراً يسيراً من دينه لها.

كانت فرنسا مصدر الهامي الاكبر، وجسدت لي نموذجا لفن الحياة. كانت سفرتي الاولى الى فرنسا، عام ١٩٥٢، وخلفت في نفسي انطباعاً عميقاً لا يمحى، لانني قدمت من بريطانيا حيث

غزارة من الالوان والملامس والروائح تتجلى في الطبيعة وفي السوق.

TOP: «MY BEAUTIFUL FRANCE» BY TERENCE CONRAN. BOTTOM: CONDENSED FROM «TERENCE CONRAN'S FRANCE,» © CONRAN OCTOPUS 1987, PUBLISHED BY CONRAN OCTOPUS LTD., LONDON. PHOTOS: (BACKGROUND) EXPLORER / F. JALAIN, (INSET) MICHAEL BUSSELLE

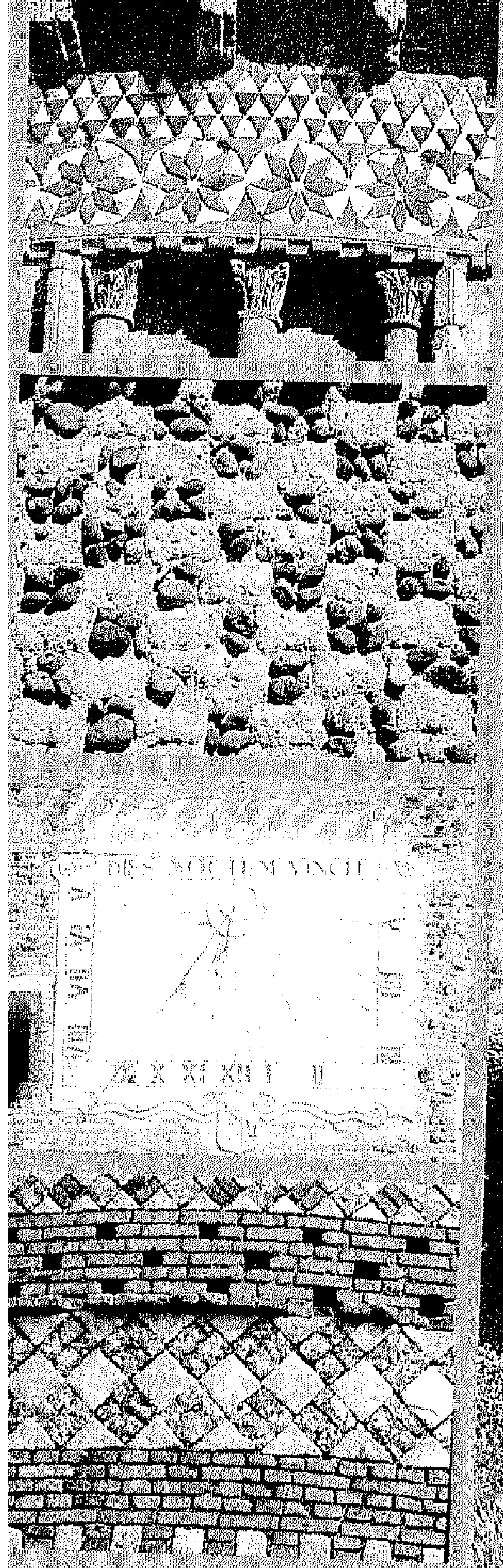


استبد بالناس التقشف والتشاؤم على أثر الحرب وساد الشقاء والرتابة فأغرقا الحياة في السواد. وكانت فرنسا في تلك الاثناء تفيض بالالوان والجمال. وفاح عبير غريب عندما وطئت الرصيف في ميناء كاليه، عرفت لاحقاً أنه مزيج من رائحتي التبغ القوي والثوم الطازج.

كنت شاباً سريع التأثر، فاستسلمت لدفق أبسط الامور. وسرَّحت ناظري في كل ما أحاط بي ولم أفوِّت شيئاً. فنعمت عيناي بالألوان المتراقصة في الاسواق النابضة بالحياة وبجمال أبنية الريف المتداعية ونوره الساطع ومناظره الخلابة.

أسر انتباهي جمال الاشياء البسيطة العادية. هنا أكوام فاكهة وخضر تخطف الانفاس قبل أن يسيل لها اللعاب. وهناك زحمة أزهار في باقات كبيرة غُطست في دلاء متواضعة من غير تنسيق أُبَّهي. وطالعني كل يوم جديد حافلا بالوعود.





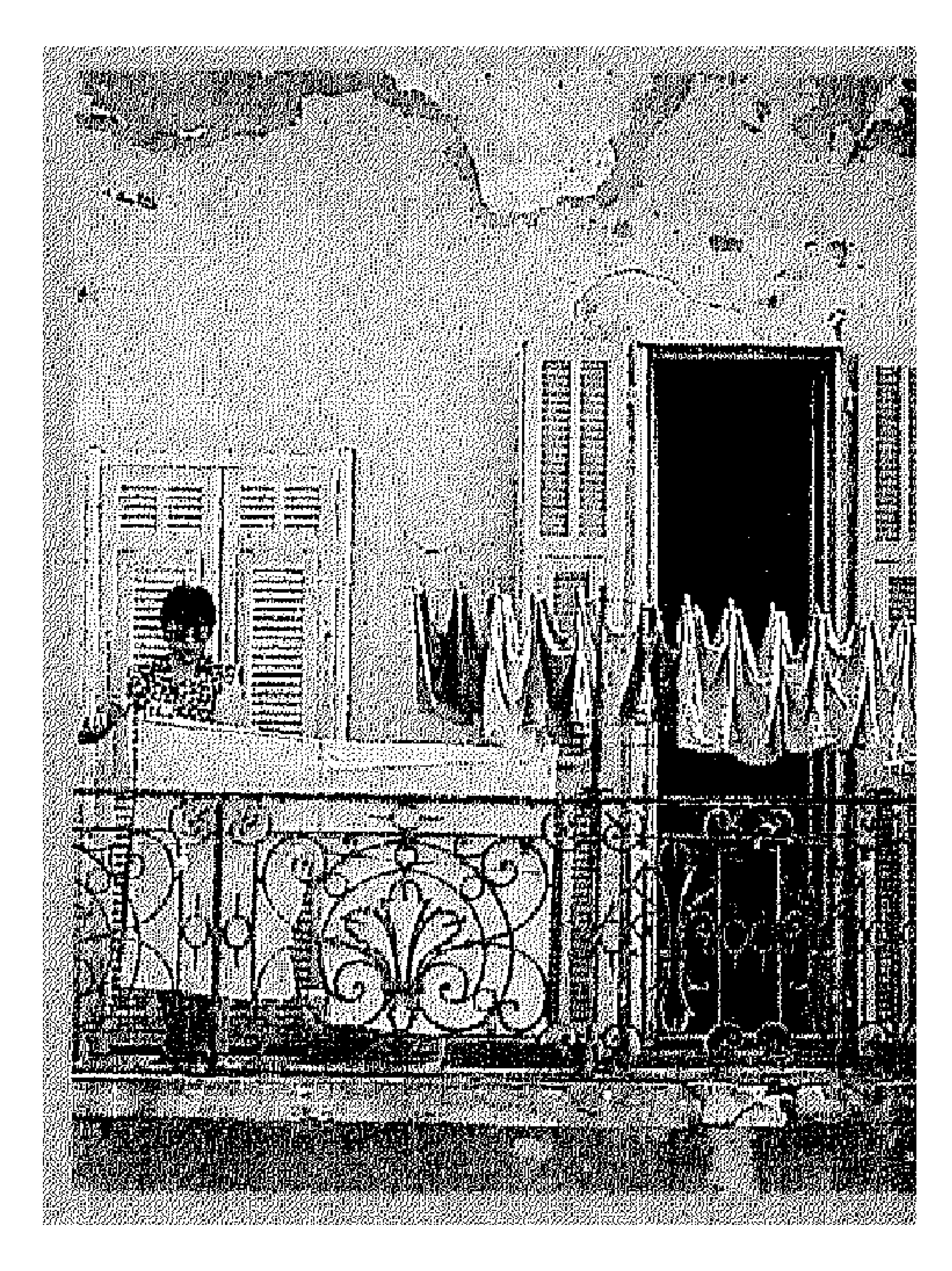
(من فوق الى تحت) افريز روماني يزين مبنى في سانت اوستروموان (مقاطعة بوي دي دوم). حائط حجري في أوجان مورنيد مزخرف بحجار أصغر حجماً. ساعة شمسية تعلو صرحاً في مواساك (مقاطعة تارن وغارون). زخرفة على بيت للحمام في مقاطعة النورماندي.

(تحت) تتميز المزارع بطابعها المحلي الخاص. تطل هذه المزرعة على البحر وتقع على مقربة من مورغا في بريتانيا.





كانما الوقت توقف تماما في هذه القرية الصغيرة في جبال البيرينيه (فوق). ويبدو الغسيل المنشور على الشرفة (تحت) تكملة للحائط خلفه.
(الى اليمين) واجهة منزل ريفي في منطقة بوجوليه الشهيرة. هنا يتضارب لون الحجر الأصفر مع لون المصاريع الارجوانية.

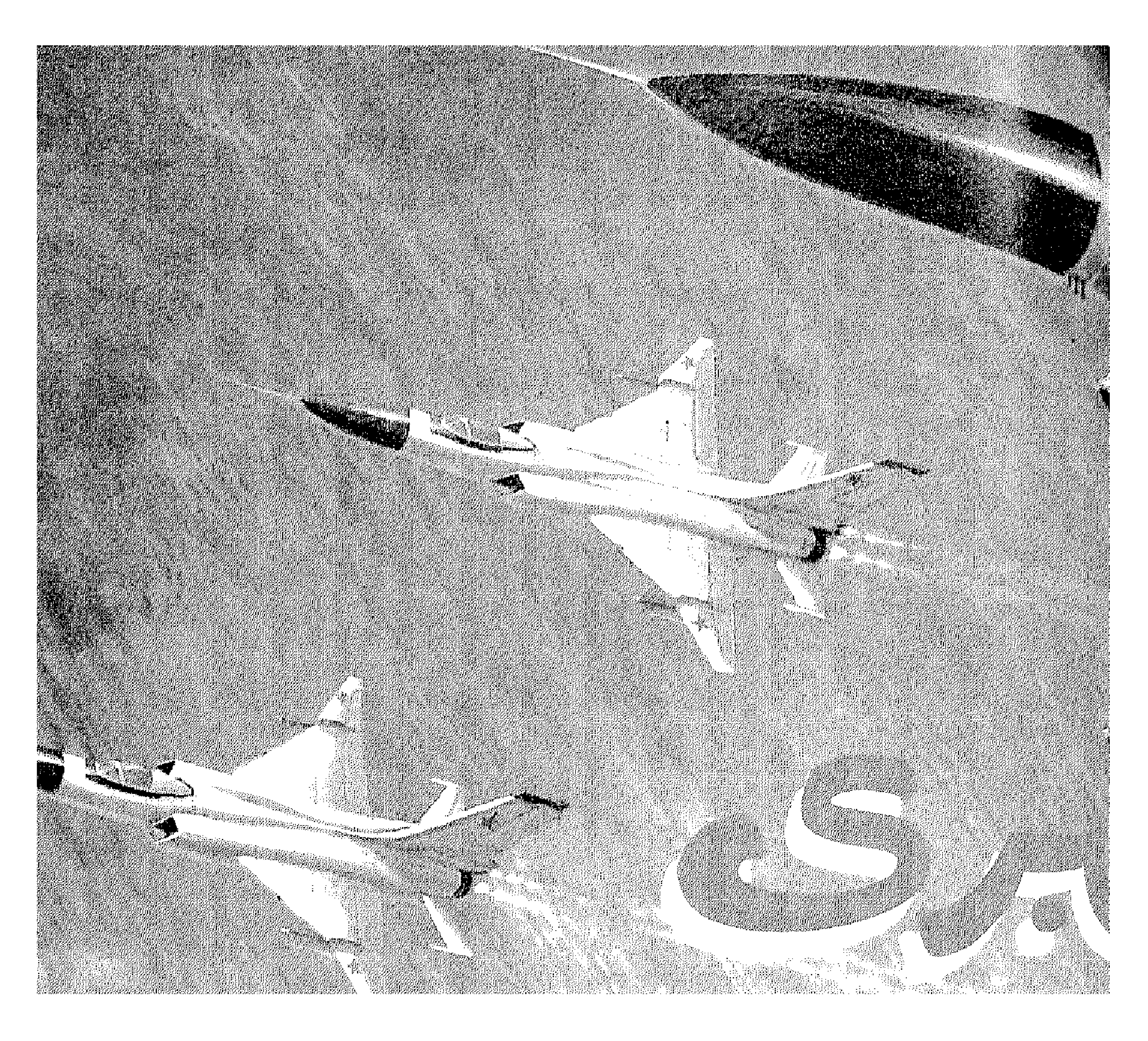


ومن صميم رغبتي في نقل اعجابي بفرنسا الى الآخرين، برزت أمور كثيرة كان لها تأثير كبير في عملي كمصمم. وتبدّل مسار حياتي منذ اجازتي الاولى هناك، وبتّ أتردد الى المطاعم أكثر من أي وقت مضى، وامتلأت خزانة الاطباق في منزلي بصحون وأوانٍ من الطراز الريفي الفرنسي. وصرت متضلعاً من سمة أخرى للحياة في فرنسا هي سهولة تحويل الامور العادية مصدر متعة.

تيرنس كونران ■



هل كانت تائهة
في الاجواء السوفييتية
أم كانت
في مهمة تجسس؟



يبقى اختفاء طائرة الـ"بوينغ ٧٤٧" التابعة للخطوط الجوية الكورية الجنوبية وركابها الـ٢٦٩ دغشة فجر أول سبتمبر (أيلول) ١٩٨٣، واحداً من أحلك الاسرار المأسوية للحرب الباردة. لا شك في أن تلك الطائرة تاهت عن المسار الذي كان يتوجب أن تسلكه في رحلتها الرقم ٠٠٧ من أنكوراج في ألاسكا الى سيول. ولا جدل أيضاً في أن طائرة سوفييتية معترضة من طراز «SU-15» أطلقت عليها النار وأصابتها بعدما حلقت فوق جزيرة سخالين السوفييتية.

ولكن فيما أصرت السلطات السوفييتية آنذاك على أنها لا تعرف أين سقطت الطائرة وأنه لم يعثر على بقايا بشرية تعود الى ركاب تلك الرحلة، أثبتت صحيفة "الازفستيا" السوفييتية في سلسلة تحقيقات مميزة أجرتها هذه السنة، أن تلك الرواية السوفييتية مليئة بالاباطيل. وفيما تجاهلت وسائل الاعلام الامريكية تقارير "الازفستيا"، أعاد بعض المحللين في شؤون الاستقصاء فتح ملفات القضية.

وهنا قصة الرحلة المشؤومة كما كشفها الصحافيون الروس ومصادر المعلومات الغربية.

ILLUSTRATION: DAN BURR

ادعى السوفييت باديء الامر أنهم لا يعلمون شيئاً عن اختفاء الطائرة الكورية. وفي ٢ سبتمبر (أيلول) وجه اليهم الرئيس الامريكي أنئذ رونالد ريغان اتهاماً غاضباً بارتكاب "عمل رهيب من أعمال العنف."

ثم أعلن الماريشال نيكولاي أوغاركوف، رئيس هيئة الاركان السوفييتية، في مؤتمر صحافي عقده في موسكو في ٩ سبتمبر (أيلول) ان الطائرة المدنية كانت في الواقع طائرة تجسس. وأضاف أنها التقت، بتدبير معد سابقاً، طائرة استطلاع عسكرية أمريكية من طراز «RC 135» وحلقت في محاذاتها مدة عشر دقائق قبل اختراقها الاجواء السوفييتية فوق شبه جزيرة كمتشاتكا مباشرة، وأكد أن ملاحي الطائرة الكورية أرسلوا بعد ذلك معلومات بالشيفرة الى الامريكيين عبر اتصالات متقطعة.

وادعى أوغاركوف أن البوينغ ٧٤٧ كانت تحلق وأضواؤها الملاحية والداخلية مطفأة، وان هذا الامر لم يثن قائد الطائرة الاعتراضية السوفييتية عن تحذير الطائرة الكورية تكراراً، عبر الراديو وباطلاق رصاص خطاط وبهز جناحي طائرته واطفاء أنوارها ثم اضاءتها.

لكن الطائرة الكورية تجاهلت كل هذه الاشارات، كما قال أوغاركوف، وبدأت تناور محاولة التملص. ولم يبقَ لدى الاتحاد السوفييتي خيار سوى حماية أراضيه بـ"انهاء" الرحلة.

وحمّل أوغاركوف الولايات المتحدة تبعة مقتل الركاب متهماً اياها باستغلال طائرة ركاب مدنية لاغراض التجسس

بعد أسابيع، في تقرير الى المنظمة الدولية للطيران المدني، أعلن الاتحاد السوفييتي أنه "لم يعثر بعد على جثث الضحايا ولا على أجهزة الطائرة ولا على التسجيلات الصوتية في قمرة القيادة." ولا تزال هذه هي الرواية الرسمية.

"نمط اجرامي." لم تكن الولايات المتحدة في حاجة الى استخدام طائرة مدنية أجنبية في مهمة سرية فوق الاراضي السوفييتية، نظراً الى قدراتها الواسعة في مجال الاستطلاع. وهي تجمع كل ما تحتاج اليه من معلومات بواسطة الاقمار الاصطناعية والطائرات الاستطلاعية التي تحلق خارج المجال الجوي السوفييتي. حتى ان موسكو لم تشرح قط لماذا تختار الولايات المتحدة طائرة الـ"بوينغ ٧٤٧" الضخمة البطيئة نسبياً، بدل طائرتها «SR-71» التي تتفوق على أي صاروخ أو طائرة معترضة لدى السوفييت.

خلصت لجنة مجلس الشيوخ الامريكي لشؤون الاستخبارات عام ١٩٨٤، عقب تحقيقات مستفيضة، الى أن "أجهزة الاستخبارات الامريكية لم تتورط مباشرة، ولا على نحو غير مباشر، في الاحداث التي ادت الى وقوع كارثة الرحلة ٠٠٧ للخطوط الجوية الكورية."

وكان كينيث دوغرافنريد، وهو عضو بارز في مجلس الامن القومي الامريكي، لاحظ عام ١٩٨٣ أن "اسقاط الطائرة

الكورية لم يكن حادثاً طارئاً بل عمل ذو نمط اجرامي. ان السوفييت لم يكتفوا باسقاط طائرات أجنبية بريئة، فنحن نعرف أنهم أسقطوا أيضاً كثيراً من طائراتهم، بما فيها طائرات ركاب مدنية."

وقد اشتُهر عن قيادة الدفاع الجوي السوفييتية أن وحداتها تطلق النار أولا ثم تطرح الاسئلة لاحقاً، هذا اذا كلفت نفسها عناء السؤال. في العام ١٩٧٨ أصغى عاملون على اجهزة تنصت غربية الى سلسلة من الرسائل المذهلة عبر الراديو، اذ أبلغ قائد مطاردة سوفييتية مرتين الى مركز المراقبة الارضية أن طائرة "بوينغ ٧٠٧" تابعة للخطوط الجوية الكورية تائهة في الاجواء السوفييتية وهي طائرة مدنية. وبعدما رفض مرتين أوامر باسقاطها، أطلق صاروخاً واحداً فقتل راكبين. وتمكن الطيار الكوري من الهبوط بالطائرة المصابة على سطح بحيرة متجمدة. وبعد يومين أطلق السوفييت الركاب والطاقم، لكنهم احتفظوا بالطائرة.

كانت الخرائط الملاحية التي استخدمتها شركات الطيران الدولية عام ١٩٨٣ تحذر بوضوح من التحليق قرب الاتحاد السوفييتي. وكانت الدول الغربية حذرة من عادة السوفييت بث اشارات ملاحية مضلّلة لاجتذاب طائرات أجنبية الى مجالهم الجوي ثم اسقاطها.

"طبقات من الاضاليل." في الشتاء الماضي بدأت القصة السوفييتية عن حادث الرحلة ٠٠٧ للخطوط الجوية الكورية تتداعى عندما بدأت صحيفة الحكومة السوفييتية تحقيقاتها. وأفادت "الازفستيا" الى اقصى حد من سياسة المكاشفة (غلاسنوست) فأجرت مقابلة مع المقدَّم غينادي نيكولايفيتش أوسيبوفيتش، الطيار السوفييتي الذي أسقط الطائرة الكورية. فأقر أوسيبوفيتش صراحة بأنه لم يحاول تحديد هوية الطائرة الكورية ولا إنذارها، ولم يطلق قط، كما قيل، رصاصاً خطاطاً لجذب انتباه ملاحيها، اذ لم تكن طائرته الـ«SU-15» مزودة رصاصاً من هذا النوع، ولا هو بذل جهداً للاتصال بالطائرة.

وقد أبلغ الطيار الى المراقبين الارضيين ثلاث مرات أن الاضواء الملاحية للطائرة كانت تومض، وأنه لم يهزّ جناحي طائرته قط ولم يسلط أنوارها الكاشفة ولم يحلق في مسار يمكّن الطيارين الكوريين من رؤيته. وخلصت "الازفستيا" الى أن التقرير السوفييتي الرسمي عن الحادث يحوي "طبقات من الاضاليل." وأكد أوسيبوفيتش أن رؤساءه أمروه بأن يكذب أمام كاميرات التلفزة و"حصّنوه" بمشروب الفودكا لتهدئة أعصابه قبل أن يسرد السيناريو المعدّ سابقاً.

الى ذلك، أبرزت "الازفستيا" اقراراً رسميا غير متوقع أدلى به ماريشال الجو بيتر كيرزانوف، اذ اكد بلا تردد: "لقد عثرنا على الطائرة." وأوضحت مصادر

عدة للصحيفة أن الغواصين الذين تولوا سحب الحطام عثروا على "الصندوق الاسود" لطائرة البوينغ وأرسلوه الى موسكو لتحليل تسجيلاته.

وادعى مصدر سوفييتي متباهياً أن الماريشال أوغاركوف ضلّل البحرية الامريكية باصدار أوامره الى الغواصات السوفييتية لتزرع منبهات تطلق أصواتاً تحاكي تلك التي تصدر عن أجهزة التسجيل، في قاع المحيط بعيداً عن الموقع الذي كان السوفييت يعرفون أنه يضم بقايا الطائرة الكورية. وقد خدعت هذه الاجهزة الاسطول الامريكي الذي بحث في المواقع الخطأ ولم يعثر على شيء.

وقال غواص سوفييتي فحص حطام الطائرة الكورية لـ"الازفستيا": "لم يكن الشيء الرئيسي ما رأيناه هناك، بل ما لم نره. اذ لم يعثر الغواصون على جثث أو بقايا بشرية."

عمليـــة تغطيـــة. رأى محللـــو الاستخبارات في هذه المعلومات نذير شؤم. ففي العام ١٩٨٥ دمرت قنبلة، في عملية تخريبية، طائرة بوينغ ٧٤٧ تابعة للخطوط الجوية الهندية فوق المحيط الاطلسي. وعثرت فرق الانقاذ على ١٣١ جثة من ركابها. وانفجرت طائرة من الطراز نفسه تابعة للخطوط الجوية الجنوب – افريقية عام ١٩٨٧ فوق المحيط الهندي، وأمكن سحب ١٥ من جثث ضحاياها. وتساءل المحللون لماذا لم يعثر على أي من جثث ركاب الطائرة الكورية، مع اقتناعهم بأنها سقطت في مياه أقل عمقاً بكثير.*

استحوذت تصريحات اخرى نشرت في "الازفستيا" لموظفين سوفييت شاركوا في عملية انتشال حطام الطائرة، على اهتمام المحللين الغربيين. وقال أحد هؤلاء الموظفين: "كان علينا أن نتلف هذا الدليل الحسي [من حطام الطائرة]... لقد أتلفوا كل شيء تسلموه... كان بعض السفن [السوفييتية] يبحث فيما تولت أخرى اخفاء ما عثرت عليه ومحو آثار تحركاتها."

شملت المعلومات التي أعيد النظر فيها التسجيلات الاصلية لاقتفاء الرادارات أثر الطائرة وللاتصالات التي أجراها السوفييت، كذلك معلومات شديدة الحساسية توافرت حديثاً من مصادر سرية. ودرس المحللون أيضاً دلائل جديدة جمعها حلفاء للولايات المتحدة عبر التنصت على الاتصالات السوفييتية.

وهنا عدد من الحقائق الجديدة مستمد من هذه التقويمات الحديثة:

علم الامريكيون ليل ٣١ أغسطس (آب) – ١ سبتمبر (ايلول) ١٩٨٣ أن السوفييت خططوا لاجراء اختبار سري على صاروخ جديد من طراز «SS-25». وكانت معاهدات الحد من التسلح أقرت

(*) بعد ثمانية ايام على تحطم الطائرة الكورية، عثر على جثتين متحللتين استحال التعرف الى هويتيهما فضلا عن "اجزاء صغيرة لاعضاء بشرية" على شواطىء قريبة من اليابان، ولكن لم يكن في الامكان ايجاد رابط حاسم بينها وبين ركاب الرحلة ٠٠٧.

بحق كل جانب في مراقبة التزام الفريق الآخر. وبناء على ذلك، ظل عدد من طائرات «RC-135» الامريكية يحلق قرب شبه جزيرة كمتشاتكا حيث تسقط الرؤوس الحربيــة السوفييتيــة أثناء التجارب.

ذلك المساء، لاحظ العاملون على اجهزة الرادار السوفييتية في شبه الجزيرة ما صار أمراً روتينياً لهم وهو المسار المتلكىء لطائرة «RC-135».

في الساعة ٣،١٦ فجراً ظهرت على شاشات الرادار نقطة وامضة أخرى لم يعبأ بها المراقبون مفترضين أنها طائرة استطلاع أمريكية اخرى. كانت النقطة هي الطائرة الكورية التي انحرفت عن مسارها، لاسباب لا تزال مجهولة، بعيد اقلاعها من مطار انكوراج في طريقها الى سيول. وبخلاف ما ادّعاه السوفييت لاحقا، ظلت طائرة الاستطلاع الامريكية والطائرة الكورية بعيدتين الواحدة عن الاخرى ١٢٠ كيلومتراً على الاقل.

لكن الطائرة الكورية توجهت مباشرة نحو كمتشاتكا بدل الانحراف بعيداً كما كانت تفعل الطائرة الامريكية دائما، فأبدل قائد سوفييتي في كمتشاتكا العلامة المميزة للنقطة الثانية الوامضة على الشاشة الى "طائرة دخيلة مجهولة الهوية." وانطلقت في اتجاهها طائرات معترضة.

تلا ذلك فوضى تامة، كما أظهرت تقارير سوفييتية حصلت عليها أجهزة استخبارات غربية. ولما كان معظم الرادارات السوفييتية معطلا أو سيىء الاداء، فقد ارتكب المراقبون الارضيون السوفييت خطأ جسيما في توجيه طائراتهم المعترضة بحيث ظلت متخلفة ٨٠ كيلومترا عن اللحاق بطائرة ركاب مدنية تمكنت من اجتياز أجواء شبه الجزيرة بسرعة لا تتجاوز ثلث سرعة المطاردات السوفييتية.

لكن المراقبين في كمتشاتكا كانوا انذروا الدفاعات الجوية في جزيرة سخالين. فأُرسلت اربع طائرات معترضة على الأقل في اثر الطائرة الكورية. وبعد ١٨ دقيقة رصدت أجهزة الرادار في سخالين الطائرة المدنية، ووجه المراقبون الطيار أوسيبوفيتش الى موقعها. وهو آفاد أن جهاز الرادار في الطائرة، الذي يتحكم بعملية اطلاق النار، ثبت على "الهدف".

كشفت الاتصالات التي تمكن حلفاء للولايات المتحدة من التنصت عليها أن حالا من الارباك سادت في سخالين وفي أمكنة اخرى من الاتحاد السوفييتي. فقد حوَّر العاملـون على الرادارات، أو رؤساؤهم، من دون أي مبرر، اشارة "طائرة غير سوفييتية" الى اشارة "طائرة أمريكية من طراز RC-135. " لكن تقارير أوسيبوفيتش المتكررة أن "الطائرة المتطفلة تضيء أنوارها على نحو يتيح لأي انسان رؤيتها،" زرعت الشكوك لدى كبار القادة السوفييت.

"**أقتل المتطفل**." في الساعة ٦،١٥ صباحاً قرر الجنرال ايفان تريتياك قائد

روايات الصحف

بدت تحقيقات "الازفستيا" التي فضحت عملية التستر على حادث الرحلة الرقم ٠٠٧ للخطوط الجوية الكورية الجنوبية، متعارضة على نحو مثير مع المقاربة التي اتخذها عدد من وسائل الاعلام الغربية من هذه المسألة. في العام ١٩٨٤ نشرت مجلة بريطانية مغمورة هي "ديفنس أتاشيه" مقالا لكاتب "استدعى مركزه الحساس أن يستخدم اسماً مستعاراً" وأورد فيه سلسلة من الاحداث الملتبسة غير الموثّقة تتهم الطائرة الكورية الجنوبية بالتورط في عملية تجسس.

ورددت صحيفة "الواشنطن بوست" الامريكية اتهامات مجلة "ديفنس أتاشيه" تحت عنوان رئيسي على ستة أعمدة جاء فيه: "مقال في بريطانيا يربط الرحلة المشؤومة للطائرة الكورية بمهمة تجسس." ومع ملاحظتها احتمال تضمن القصة معلومات خاطئة، كتبت "الواشنطن بوست": "يسود شعور لدى بعض المصادر أن المقال هو أفضل ما كتب عن الموضوع."

وعلى أثر دعوى تشهير رفعتها شركة الخطوط الجوية الكورية على مجلة "ديفنس أتاشيه" نشرت هذه اعتذاراً وأقرت بافتقارها الى أي دليل يدعم ادعاءاتها. ثم كشفت هوية كاتب المقال وتبين أنه يعمل في حقل الاعلان في لندن وتعوزه الخبرة التقنية.

في العام ١٩٨٨ نشرت مجلة "نايشن" الامريكية مقالا في الموضوع لخريج في جامعة يال يدعى ديفيد بيرسون ادعى فيه "وجوب تحميل الحكومة الامريكية أيضاً تبعة" مقتل ٢٦٩ راكباً كانوا في الرحلة ٠٠٧ للخطوط الجوية الكورية. وهو استهلّ كثيراً من أجزاء عرضه الضعيف بجمل تتضمن معنى التكهن، ومن ذلك قوله: "يبدو محتملا أن تكون الولاياتّ المتحدة اعترضت اشارات الرادارات السوفييتية وشوشت عليها في كمتشاتكا على الاقل وربما في جزيرة سخالين." وهذا ما لم يزعمه السوفييت أنفسهم.

ووصف طوم ويكر، وهو كاتب عمود في صحيفة "نيويورك تايمز"، تقرير مجلة "نايشن" بأنه جدير بالثقة، وقال: "ان التشويش على الرادارات السوفييتية وتغيير الطائرة مسارها يوحيان بقوة ما يبدو واضحاً أن السيد بيرسون يخشاه، وهو أن يكون اختراق الطائرة الكورية للاجواء السوفييتية أبعد من حادث عرضي، وعملاً متقن الاخراج تولت فيه ادارة الرئيس ريغان عملية الاخراج."

أما مجلة "در شبيغل" الالمانية في معرض أخذها بالنظريات المختلفة التي تؤكد وجود مؤامرة ما، فأعلنت "ان هذا الشك سيبقي السؤال في أذهان الامريكيين، ليس فقط عما اذا كانت استخبارات الولايات المتحدة تعقبت بدقة رحلة الطائرة الى الكارثة، بل عما اذا كانت أبدعتها ودبرتها كذلك." وفي العام الماضي روجت صحيفة "لو موند" في باريس قصة وهمية مفادها أن الولايات المتحدة الامريكية، وليس الاتحاد السوفييتي، هي التي أسقطت الطائرة الكورية.

"منطقة الشرق الاقصى العسكرية" السوفييتية، ورئيسه الجنرال فلاديمير غوفوروف قائد "مسرح عمليات الشرق الاقصى"، وجوب اقتراب أوسيبوفيتش من الطائرة في مناورة للتأكد من هويتها.

في هذه الاثناء تدنى مخزون الوقود في طائرة أوسيبوفيتش (كان السوفييت يمنعون الطيارين من ملء خزانات طائراتهم خوفاً من هربهم خارج البلاد). الى ذلك كانت الطائرة الكورية، وقد عبرت أجواء جزيرة سخالين، تتجه عائدة الى الاجواء الدولية. وهكذا، قبل أن يتمكن أوسيبوفيتش من تحديد هوية الهدف، أصدر الجنرال تريتياك أوامره: "اقتل المتطفل." وكرر هذه العبارة خمس مرات.

في الساعة ٦،٢٦ أطلق أوسيبوفيتش صاروخين في اتجاه الطائرة وأبلغ الى قيادته: "لقد دُمّر الهدف."

لكن الهدف لم يدمّر! ففي الساعة ٦،٢٧ أعلن مراقبون جويون في طوكيو أنهم تلقوا بثاً ضعيفاً مشوشاً مصدره الطائرة الكورية: "انخفاض سريع في الضغط. اننا نهبط الى ارتفاع عشرة آلاف قدم (٣٠٤٨ متراً)." كان الطيارون الكوريون يتصرفون كما يفترض بهم أن يفعلوا حين ينعدم الضغط في قمرة الطائرة، وهو الهبوط بها الى مستوى أدنى حيث يمكن الركاب أن يتنفسوا.

ولو أن طائرة البوينغ ٧٤٧ انفجرت أو تطايرت أجزاءً لكانت سقطت في المحيط في أقل من ثلاث دقائق. لكن اعادة تقويم سجلات الرادارات - وقد أهمل بعضها وقتاً طويلاً - تظهر أن ملاحي الطائرة الكورية استطاعوا على رغم كل الاضرار التي لحقت بها، السيطرة عليها طوال ١٢ دقيقة على الاقل، وهبطوا بها من ارتفاع ١٠٦٦٨ متراً الى ٤٩٩٩ متراً في خمس دقائق، ثم أخذوا يبطئون سرعتها. وهبطوا بها الى ارتفاع ١٥٢٤ متراً في الدقائق الاربع التي تلت، فالى ٣٠٥ أمتار بعد ثلاث دقائق. ولم تعد الطائرة تظهر على الرادار دون هذا الارتفاع. ويوحي هذا الدليل احتمال أن يكون الطيارون حاولوا الهبوط في البحر على مسافة حوالى كيلومترين من جزيرة مونرون. •

خدعة كبرى. تكشف مصادر غربية أخرى أن طياراً سوفييتياً آخر أفاد، بعد ٢٧ دقيقة من اطلاق أوسيبوفيتش صاروخيه، عن "قيامه بتحليق دائري اشارة الى نقطة محددة." وخلص محللون الى أنه كان يحاول ابلاغ العاملين على أجهزة الرادار موقع الطائرة الكورية. وتضيف المصادر أن طائرات سوفييتية حلقت في المنطقة نفسها بعض الوقت وأفادت أن "عمليات الانقاذ" بدأت.

ومع حلول الصباح الباكر كانت مراكز الدفاع الجوي في سخالين تُعلم موسكو بأنها أسقطت خطأً طائرة مدنية، وأن بين الركاب عدداً من الامريكيين، وأن السوفييت سيحمَّلون تبعة "قتل أمريكيين."

أثارت الاشارات السوفييتية المتكررة الى "الامريكيين" أسئلة خطيرة أمام المحللين. فكيف استطاع رجال الدفاع الجوي السوفييتي تحديد وجود أمريكيين على متن طائرة الركاب؟ وهل عثرت فرق البحث السوفييتية على جثث تحمل هويات أمريكية، أو على ناجين؟ إن البيِّنات الالكترونية عن الهبوط البطيء للطائرة، وحشد السفن والطائرات السوفييتية في المنطقة، وعدد الجثث المنتشلة من حطام طائرات أخرى من طراز بوينغ ٧٤٧، كلها تعزز هذه النظريات.

واذ يعاود المحللون الامريكيون النظر في مقابلات "الازفستيا" وفي معلومات سرية لدى الاستخبارات، يستنتج بعضهم أن السوفييت جردوا الطائرة من الجثث والحقائب ثم أخفوا الحطام.

بعد أربع ساعات على اسقاط الطائرة رأى الماريشال أوغاركوف كارثة في طور التكوُّن، فبدأ عملية خداع كبرى في محاولة لوأدها. وفي مساء أول سيتمبر (ايلول) تفرقت السفن والطائرات السوفييتية التي كانت تجمعت حول جزيرة مونرون صباح اليوم نفسه. لكنها، في الايام التي تلت، ضللت السفن والطائرات الغربية، اذ راحت تبحث في المياه الدولية بعيداً جداً عن الموقع الحقيقي لتحطم الطائرة أو هبوطها.

ونجحت حملة الخداع السوفييتية من أوجه مختلفة. فقد تخلت البحرية الامريكية أخيراً عن كل عمليات البحث، وأفلت العسكريون السوفييت من العقاب لقصورهم، وتمكن المسؤولون السوفييت من اخفاء حقيقة عثورهم على الحطام وتسجيلات الرحلة واحتمال وجود أحياء. وعين الجنرال تريتياك مسؤولا عن كل أنظمة الدفاع الجوي السوفييتي، وصار الجنرال غوفوروف نائباً لوزير الدفاع. (أقيل الاثنان من منصبيهما غداة الانقلاب الفاشل الذي قاده الشيوعيون المتشددون في اغسطس (آب) ١٩٩١ ضد الرئيس ميخائيل غورباتشيوف.) أما الماريشال أوغاركوف فعين مستشاراً عسكرياً خاصاً لغورباتشيوف.

جون بارون ■

أمير الاحلام

بعد مشاهدة النهاية الرومانسية لاحد افلام والت ديزني، تنهدت ابنتي التي تبلغ الخامسة من عمرها وقالت: "أتمنى أن التقي أمير أحلامي يوماً!"

فطمأنتها: "لا شك في أنك ستلتقينه يا حبيبتي. أتدرين؟ لقد وجدتُ أنا أميري عندما التقيت والدك."

فنظرت الي مذهولة وسألتني: "صحيح؟ أين هو؟"

ا.ب.

ماذا تفعلين حين يكذب طفلك؟

الكذب مشكلة تربوية معقدة وحلولها ليست سهلة أبداً

"لقد كذب ابني علي، وهو لم يتجاوز الخامسة. فهل هذا طبيعي؟"

"أعرف أن ابنتي تكذب علي عندما تقول انها لا تدخن. فكيف أتصرف؟"

يشكل الكذب محور اهتمام كل أب وأم. ومع أنني درست الكذب عند الكبار مدة تجاوزت العشرين عاماً بحكم كوني عالماً نفسانياً، فقد وجدت صعوبة في التعامل مع هذه المشكلة كأب. لذلك عقدتُ العزم على معرفة المزيد عن الكذب عند الأطفال معتمداً على أبحاثي الطويلة، والمقابلات التي أجريتها مع الأطفال وذويهم، وانطباعات زوجتي ماريان وابني طوم، وخبرتي كأب. وهذه خمس نصائح جمعتها من خبرتي، حول سبل تشجيع الصدق عند الأطفال.

• الأفعال أمضى من الأقوال.

لعلّ أهم الأمور التي يجب أن يأخذها الوالدان في الاعتبار عندما يكذب طفلهما، نزعتهما الذاتية الى الكذب. فقد لا تعني الكذبات "البيضاء" شيئاً كثيراً بالنسبة الى البالغين، لكنها بمنظار الأطفال كذبات حقيقية في معظم الأحيان.

غضبتُ يوماً إذ اكتشفت أن ابني طوم، وكان في الثالثة عشرة من عمره، كذب علي نافياً اقامة حفلة لأصدقائه أثناء غيابي مع زوجتي عن المنزل ذات

ليلة. وعندما تحدثنا في الموضوع تذكرت زوجتي مشاكل أخرى في المدرسة، منها حوادث كذب حول فروض لم ينجزها طوم وصفوف لم يحضرها وأعذار زائفة قدمها. ثم فكرت ملياً مع زوجتي: هل نحن نطبّق حقا ما ننادي به؟

توحي الأبحاث أن الاولاد الذين يكذبون ينشأون عادة في بيوت يكذب فيها الوالدان أو يخالفان "القوانين."

خلال الاسبوع الذي تلا اكتشافنا كذبة طوم، ضبطت زوجتي وهي تكذب ثماني مرات، من ذلك زعمها لشرطي السير أنها دخلت المخزن لبضع لحظات، كي لا ينظم محضر مخالفة في حقها لايقافها السيارة في مكان ممنوع. فان اردتم تعزيز الصدق عند اولادكم فلا تسلكوا هذا السبيل.

اتعمَّد التحدث الى أولادي عن وسائل معالجة مثل هذه الحالات. فماذا تقول ابنتي إيف (١١ عاما) لصديقتها التي لم تدعُها الى حفلة عيد ميلادها؟ اقترحت عليها أن تخبرها أنني وأمها حددنا عدد المدعوين، فذلك أمر طبيعي. وأضفت أن الفتاة قد تتألم أكثر اذا عرفت أن إيف كذبت عليها.

• احترموا خصوصية أولادكم.

قد تتقبل الطفلة ذات الأعوام السبعة العائدة من حفلة عيد ميلاد، أسئلة والدتها عمن كان مدعوا وكيف امضت الوقت وفي أي نوع من الالعاب شاركت. أما في السن الرابعة عشرة فقد يكون رد فعل الفتاة نفسها غضباً أو مراوغة وربما كذبا.

ان حاجة الطفل المتنامية الى الإستقلالية والتكتم، تقابلها حاجة الأهل إلى حمايته وإرشاده، هي احدى أهم مصادر التوتر بين الاهل والابناء. والوالدان، لسوء الحظ، نادراً ما يفكران جدياً في الأمور التي تجدر بهما معرفتها عن حياة ولدهما. ومن واجبهما وضع قائمة ذهنية يمكن أن تتضمن الأمور الآتية: الأماكن التي يرتادها الولد في أوقات فراغه، التأكد من إنجازه فروضه المدرسية ومن حسن سلوكه في المدرسة، ضبط أوقات مشاهدته التلفاز. ويمكن إجراء بعض التعديلات على هذه القائمة خلال مرحلة نمو الولد بهدف تشجيعه على الاستقلالية.

عندما يحدد الوالدان الأمور التي يريدان معرفتها عن ولدهما، يمكنهما أن يوضحا له أنه لا يزال يتمتع باستقلالية في بعض المجالات والاماكن. قد تكون غرفته أحد هذه الاماكن في نظر بعض الآباء والأمهات. وقد يؤكد له بعض آخر أن مكالماته الهاتفية ورسائله هي أمور شخصية. لذلك من المهم أن يحدد الوالدان أولا ما يريدان معرفته عن ولدهما في سن معينة، ثم يكلّمانه في الامر.

• اعرفوا أصدقاء أولادكم.

تظهر الأبحاث أن الاولاد الذين يكذبون يعاشرون أصدقاء كاذبين.

شكت الي صديقتي مارتا ابنها البالغ من العمر ثلاثة عشر عاما: "يحاول بن التشبه بصديقه مات الذي أعرف أنه يكذب على والديه. ولكن إن أنا منعته من اللعب معه فسوف يلتقيه في كل حال ويكذب علي."

خيبة مارتا شائعة بين معظم الآباء والامهات. فأولادنا يختارون لدى دخولهم المدرسة صداقات قد لا نحبذها نحن لكننا نقف عاجزين عن منعها. وبمرور الزمن قد تصبح هذه الصداقات أقوى من الروابط التي تشدهم الى والديهم.

لهذا السبب يتوجب على الأهل معرفة أصدقاء أولادهم وماذا يفعلون معا في أوقات فراغهم. كما ينبغي تشجيع الابناء على دعوة أصدقائهم الى المنزل.

يحق للوالدين اخبار ولدهما أن أحد أصدقائه لا يروقهما، وذلك عندما تتوافر لديهما شواهد معينة تظهر سوء تصرفاته، كاكتشافهما أن هذا الصديق كذب أو سرق. ولكن عليهما في الوقت نفسه أن يستعدّا لمعركة حقيقية إن هما حاولا ابعاد ولدهما عن معشر السوء.

قد تكون احدى وسائل المعالجة أن تشرحا لولدكما أسباب معارضتكما الكذب والسلوك غير اللائق اجتماعيا، ثم تبينا له كيف يشجعه أصدقاؤه على هذه التصرفات. يزفّ الينا العالم النفساني توماس برنت المختص بتأثير الأنداد، أنباء سارة مفادها أن تأثر الولد بأترابه يخفّ قبيل نهاية دراسته الثانوية، مما يتيح تحسن علاقته بوالديه.

• ضعوا خطة لمواجهة الكذب.

خير الآباء والأمهات قد يضبطون اولادهم يكذبون. فكيف يعالجون هذه المشكلة؟

أحد أسوأ أساليب المعالجة الضغط على الولد لحمله على الاعتراف. فالأم التي تهدد ابنتها قائلة: "سأتصل بوالدة سوسو وأسألها إن كانت سيارتها تعطلت فعلا،" قد تنجح في إثبات كذب ابنتها. ولكن هل تلقنها بذلك درسا أخلاقيا؟

من الأفضل أن يركز الوالدان على أساليب يمكنهما اتباعها لمنع تكرار الخطأ، عوض محاولة ضبط ولدهما وهو يكذب. فان كانت الكذبة تتعلق بحظر الخروج من المنزل او التأخر عن وقت معيَّن، فعليكما توضيح أهمية الحظر والأسباب التي من أجلها تبغيان معرفة الحقيقة. يمكنكما مثلا أن تقولا: "لا نريد سماع أعذار. ما يهمنا هو سلامتك. فان تأخرت عن العودة الى المنزل في الوقت المحدد، عليك الاتصال هاتفيا." وأوضحا له أن ايمانكما بصدق كلامه لا يقل عن رغبتكما في معرفة مكان وجوده.

• ثقوا بأولادكم.

قد تكون المساهمة الكبرى التي يمكن أن يحققها الوالدان في تنشئة ولد صادق هي إرساء علاقة مبنية على الثقة. فهما عندما يظهران ثقتهما بولدهما مرارا، أيا تكن سنّه، يشعرانه بالفخر وبأنه انسان راشد.

وحتى اذا ضبط الولد يلفّق كذبة

مكشوفة، فيجب ألا يضع ذلك حداً لثقة والديه، بل يمكن أن يخبره أحدهما أن كذبة واحدة قد تغتفر، ثم يوضح له أن الثقة ستحجب عنه إن هو استمر في الكذب.

عندما أقام ابننا تلك الحفلة من دون استئذاننا، عاقبناه، فحرمناه المشاركة في لقاءات ليلية وفي نشاطات نهاية الأسبوع لمدة شهر. وأعلمناه أننا لن نسمح له بالبقاء وحيداً ليلة أخرى لأننا لم نعد نجرؤ على الثقة به. وقد لقنه حجز حريته درساً مهماً، إذ أدرك صعوبة العيش مع أناس لا يثقون به. وبعد مضي نحو ثلاث سنوات استحقّ اعادة ثقتنا به.

على الوالدين أن يتذكرا دائماً أن لا حل سهلا لمشكلة الكذب. يمكننا أن نكون قدوة ومثالا لولدنا، ونوفر له مجالا للعزلة، ونوجه صداقاته، وننمي ثقتنا به، ونعاقبه على أخطائه... ونكتشف مع ذلك أنه يكذب علينا.

هذا هو سبب الحاجة إلى الثقة المتبادلة بين الطرفين. الكذب يقضي على التقارب والمودة، لذلك يتوجب على الأهل أن يشعروا ولدهم دائماً بأنهم جديرون بالثقة وبمعرفة الحقيقة. وقد يمتلكون ثقته في البداية، ولكن عليهم أن يستحقوها فيما هو ينمو ويكبر.

بول وماريان وطوم ايكمان ■



كابوس في قطار

كنت مسافراً في قطار عندما دوّت في المقطورة صرخة مرعبة. استدارت الرؤوس نحو مصدرها، فاذا بشابة في العشرين تتمتم وقد بدا عليها الاحراج: "انني آسفة فعلا، كنت غافية ورأيت كابوساً مرعباً."

وعاد الهدوء بعد ضحكات مكتومة. ولاحظت رجلا يجلس الى جانب الفتاة ويبادلها الحديث: أين تسكن؟ ماذا تعمل؟ هل تحب التنقل في القطار؟

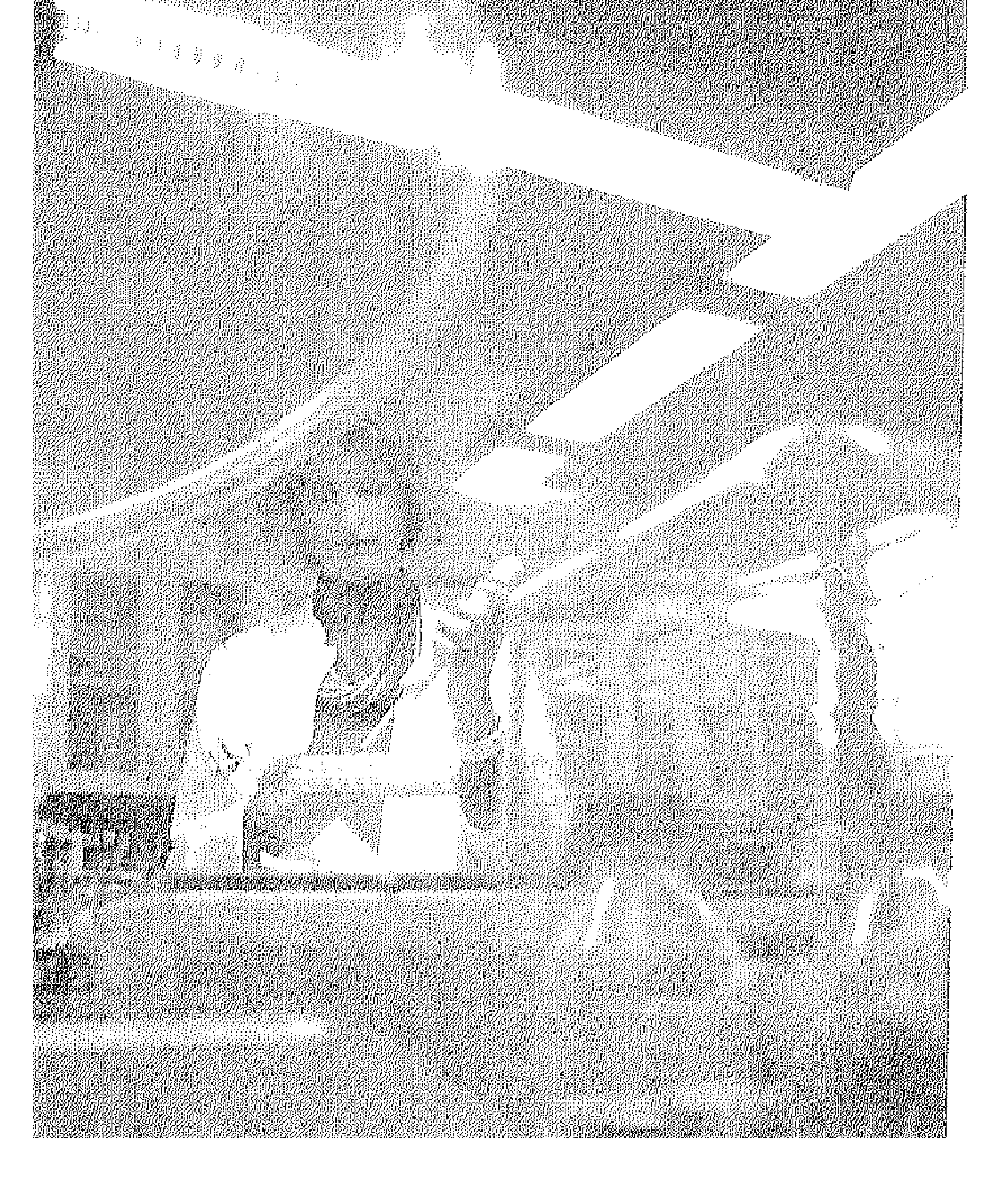
عندما نزلت الفتاة في احدى المحطات ملت ناحية الرجل مهنئاً: "ان طريقتك في تهدئة روع الفتاة كانت غاية في اللطف."

فاستدار الرجل نحوي وقال: "ماذا؟ كنت احاول منعها من النوم ثانية."

ن.ك.

من قاد السيارة؟

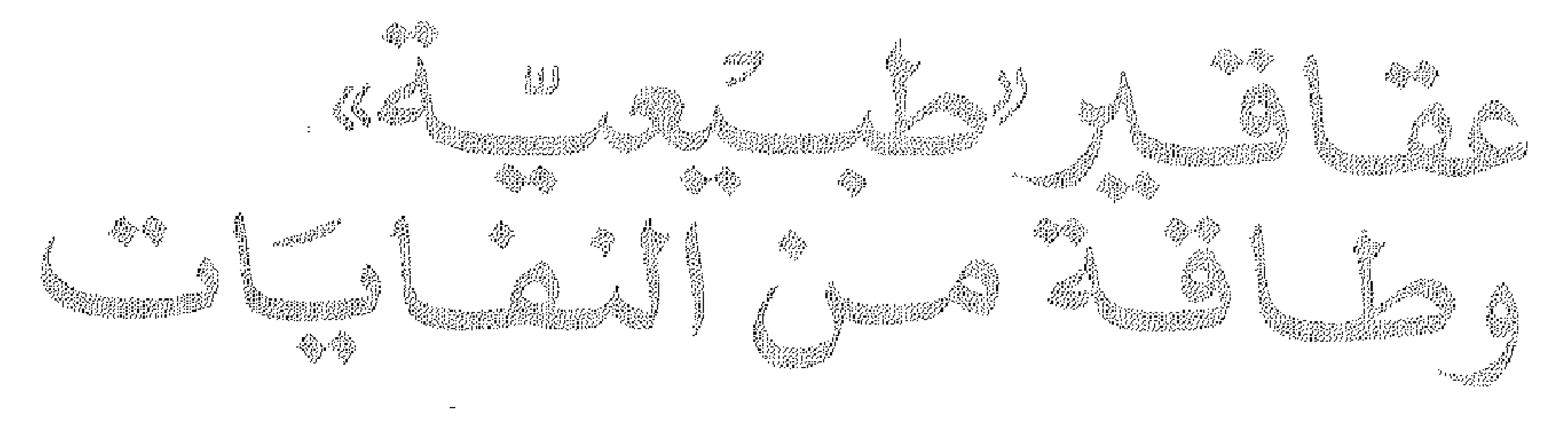
وصلنا الى منزل احد الاصدقاء بعد رحلة طويلة مضنية. ولما سألني الصديق عمن قاد السيارة، اجبت: "حسناً، قدت انا نصف المسافة وقادت زوجتي المسافة كلها!"



نجحت مختبرات الهندسة الوراثية التابعة لشركة "نوفو نورديسك" الدانمركية في تعديل جينات احدى الفطريات المستعملة اليوم لانتاج خميرة الليبولاز الحالة للدهن.



التكنولوجيا الحيوية:



عقاقير "طبيعية" وطاقة من النفايات

يعمل الباحثون في الدانمرك على مصادقة الطبيعة لخدمة الانسان

كانت لون سميدت في الثالثة من عمرها عندما بدأت تعاني عطشاً لا يروى. فراحت تشرب الماء أكواباً بلا فائدة. وعندما وصل بها العطش الى حد لعق ماء الاستحمام، قررت والدتها مراجعة طبيب. فجاء التشخيص أنها مصابة بالسكري.

لقد تألّب جهاز المناعة في جسم لون ضدها، وراح يدمر خلايا البنكرياس المنتجة للانسولين. ومن دون الانسولين يتراكم السكر المتأتي من الطعام في مجرى الدم بدل أن تمتصه العضلات والاعضاء الاخرى. والعطش الذي استبد بالصغيرة لم يكن إلا محاولة جسمها غسل السكر الزائد.

تقول لون، وقد باتت الآن أماً في الخامسة والأربعين: "كنت محظوظة اذ

PHOTOS: COURTESY OF NOVO NORDISK

اكتشفت أنني متى عرفت طبيعة الداء فسيكون في وسعي أن أحيا حياة شبه عادية."

تعيش لون على مقربة من كوبنهاغن في جوار مقر "نوڤو نورديسك" احدى أبرز شركات البيوتكنولوجيا[١] ومراكز الخبرة في معالجة داء السكري في العالم. وقد حققت هذه الشركة إنجازات كبرى راوحت بين الانسولين ذي المفعول الطويل الاجل الذي أنتج عام ١٩٤٦ والمحقنة المضبوطة الجرعات التي أنتجت عام ١٩٨٩. وهذه المحقنة معبأة بالأنسولين ولها شكل قلم يُطرح بعد الاستعمال. تقول لون: "كنا في ما مضى نستعمل ابرة طويلة في محقنة تُملأ بمقدار محدد بدقة. أما القلم فهو أكثر ملاءمة، اذ يمكن استعماله في أي مكان والحقن به عبر الملابس، وهو لا يسبب ألما." وتجري "نوڤو نورديسك" حالياً تجارب على نوع من الانسولين في شكل رذاذ ينشق عبر الانف ليحل مكان الحقن في معالجة الداء.

وقد ساهمت هذه الانجازات في زيادة مبيعات "نوڤو نورديسك" الى ما يربو على سبعة مليارات كورون دانمركي (نحو مليار دولار) عام ١٩٨٩. والشركة لا تكتفي بتصنيع نصف حاجة العالم من الانسولين، بل تنشط في ميادين أخرى أيضاً. فهي تصنع، مثلا، نصف الانتاج العالمي من الانزيمات (الخمائر) الاصطناعية، كما أنها قوة رئيسية في تصنيع هرمون النمو البشري، وتؤدي دوراً بارزاً في أبحاث تتناول عوامل تخثر الدم لدى المصابين بداء النزف الوراثي، ونماذج متطورة من البنيسيلين. يقول مدير الشركة مادز أوفليسن: "علينا مواصلة البحث عن أفكار جديدة."

جدائل حية. يعمل نحو ألفين من موظفي "نوڤو نورديسك" الثمانية آلاف في حقلي الابحاث والتنمية. وقد رأيت الممرات في فترة الغداء تعج بمجموعات من علماء يرتدون سترات بيضا ويتناقشون في أعمالهم. ولمحت برج ديدريشسن، رئيس دائرة البيوتكنولوجيا الجزيئية، يستطير حماسة لدى حل مسألة معقدة في تكنولوجيا الجينات. قال: "إن عملنا يستثير حماستنا، فنحتفل لدى تحقيق أي تقدم."

ويبقى الانسولين في طليعة اهتمامات الشركة، لما في ميدانه من مشاكل، أُولاها تحسين سرعة امتصاص الجسم للهرمون المحقون.

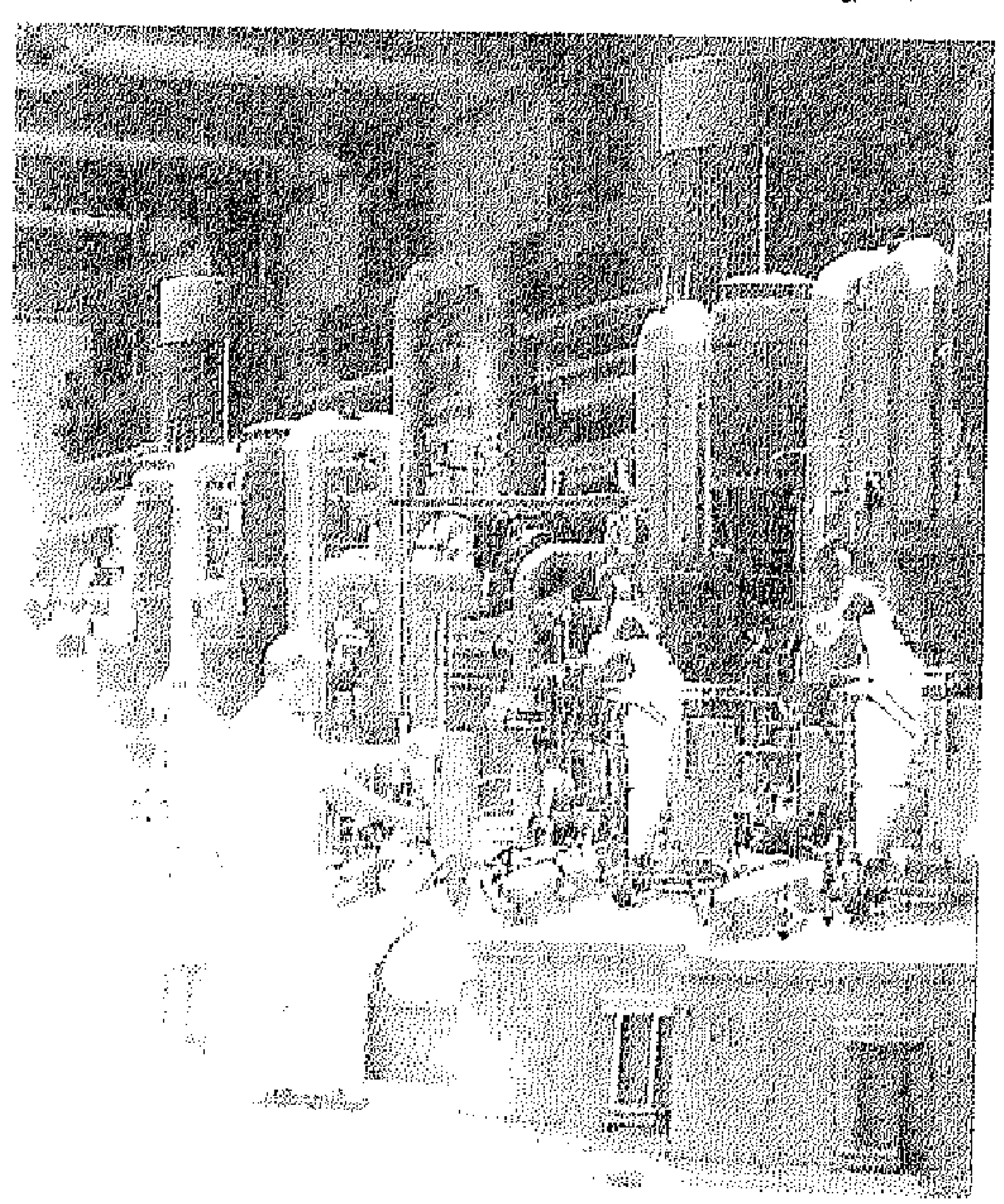
تستجيب البنكرياس للطعام الداخل بإفراز سيل عارم من الانسولين يُستنفد خلال ثلاث ساعات. وفي المقابل، يحقق الانسولين المحقون ثلث المفعول المطلوب فوراً، لكن عمله يدوم ساعات أطول من اللازم. ونتيجة لذلك يحتفظ المصاب بالسكري، بادىء الأمر، بكميات كبيرة من السكر في دمه، لكنه قد يواجه لاحقا نقصاً بسبب الوجود الدائم للانسولين.

(١) Biotechnology. اي التكنولوجيا الحيوية.

وسبب هذه المشكلة نزوع جزيئات الانسولين الى التكتل في مجموعات سداسية "ضخمة" تستلزم وقتا للعبور من الجلد حيث يحقن الانسولين، الى الكبد حيث الحاجة اليه. ويحاول علماء "نوڤو نورديسك" استنباط نوع محسَّن من الانسولين بتعديل الاحماض الأمينية الواحد والخمسين التي تؤلف كل جزيء.

وبالفعل، بدأت "نوڤو نورديسك"، بالتعاون مع كيميائيين من جامعة يورك في بريطانيا، تعديل الاحماض الامينية على سطح الجزيء. ولإطلاعي على العملية، استدعى عالِم الأبحاث في "نوڤو نورديسك"، ليف نورشكوف، الى شاشة الكمبيوتر صورة خضراء متوهجة تمثل جزيء إنسولين. ثم كبر الصورة مئات الوف المرات، فبدت مثل سياج معدني شبكي متغضِّن، وكل سلك مجدول فيه يمثل سلسلة من الاحماض الامينية.

قال نورشكوف ناقراً بأصابعه لوحة المفاتيح: "لقد غيَّرنا الشحنة الكهربائية في احدى الجدائل من محايدة الى سالبة." وهنا استدارت كرة الأسلاك حتى بانت في أعلاها جديلة صغيرة ناتئة حمراء اللون. فقال: "نأمل الآن أن تُطرد هذه الجديلة بدلاً من أن تشبك في جديلة مشابهة في جزيء آخر." ومتى أُبقيت الجزيئات متباعدة، فانها تعمل أسرع من أي إنسولين طوِّر حتى الآن. وإذا ما نجحت الاختبارات القائمة التي ستستغرق ما بين سنتين وخمس سنوات، فان مفعول الحقن سيصبح اكثر مماثلة



معمل التخمير التابع لشركة "نوڤو نورديسك" في كالنبورغ بالدانمرك، حيث تُستعمل وحدات تخمير واستخلاص في تصنيع واسع النطاق للانزيمات الاصطناعية والانسولين والبنيسيلين.

لعمل البنكرياس. تقول لون: "مع كل تطور جديد يزداد الامل في العثور على العلاج الناجع ذات يوم."

يعرفون ما يفعلون. أسس الدانمركي أوغست كروغ، وهو عالم بوظائف الاعضاء (الفيزيولوجيا) وحائز جائزة نوبل، "مختبر نورديسك للانسولين" عام ١٩٢٣. والمختبر هو إحدى الشركتين اللتين اندمجتا لاحقا في شركة "نوڤو نورديسك." وقد أُسس بعد فترة وجيزة من اكتشاف الباحثين الكنديين فردريك بانتينغ وتشارلز بست هرمون الانسولين. أقنعهما كروغ بأن يسمحا له بتصنيع الانسولين في اسكندينافيا. وبعد فترة استقدم الصيدلي ثورفالد بدرسن وشقيقه

الحدّاد هارالد لينضما الى شركته.

لكن تعاونهم لم يدم طويلا إذ انفصل الشقيقان غاضبين عام ١٩٢٥ وأسسا مختبرهما الخاص "نوفو" لتصنيع الانسولين في شكل محلول بدلا من أقراص. فاحتدمت المنافسة بين الشركتين طوال السنوات اللاحقة. وفي العام ١٩٤٦ كانت شركة "نورديسك" أول من أنتج الـ"ايزوفان" وهو الانسولين الاكثر استعمالا في العالم، بينما أنتجت شركة "نوفو" عام ١٩٨٢ أول إنسولين مطابق كيميائياً للهرمون الذي تنتجه البنكرياس البشرية.

كانت لـ"نورديسك" اليد الطولى في أسواق الدانمرك، فيما حققت "نوفو" نجاحاً كبيراً في أسواق الخارج. ويقول أولريك لاسن، الذي عمل سابقاً في "نوفو" وهو اليوم رئيس أبحاث العلوم في الشركة المدمَّجة: "أرست نورديسك علاقات وثيقة مع أطباء دانمركيين مما اضطر نوفو الى الانطلاق دولياً. وتبين أن هذا الانطلاق أخفى حسنة إذ غدونا رجال أعمال يركزون اهتمامهم على المنتجات ووسائل الانتاج بدل الابحاث."

وفي الثمانينات برز منافسون عمالقة على غرار شركة "ايلي ليلي" الامريكية و"هوكست" الألمانية. ونظراً الى طول فترة الاختبارات السريرية التي تقتضيها الأدوية الجديدة والتي قد تمتد نحو عشر سنين، وارتفاع كلفة الابحاث، قررت الشركتان الدانمركيتان دفن الاحقاد والاتحاد. يقول أوفليسن ان منطق الاتحاد "طغا" بسبب تكامل الابحاث. واندمجت الشركتان في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩.

قُسمت الشركة الجديدة دوائر تغطي نشاطات رئيسية، مثل معالجة السكري والعناية بالصحة وتصنيع الانزيمات، كيما يحتفظ كل فريق ببنيته الطليقة التي سبقت عملية الدمج.

يقول نود أونسترب الذي عمل سابقا في "نوفو" ويرئس اليوم دائرة البيوتكنولوجيا الصناعية في "نوفو نورديسك": "نحن لا نحب الجداول التنظيمية التي تبيّن تسلسل المسؤوليات، ولا خطوط التوجيه الضيقة التي توزع المهمات. فلقد استعضنا عنها بخطة شاملة ولقاءات يتحدث الموظفون خلالها عما يفعلون. حتى اذا اضطررنا الى اتمام مادة ما عرف كل شخص ما يجدر فعله."

مزيل الاوساخ. برهنت مجموعة أونسترب فاعلية تنظيمها الطليق في العاشر من سبتمبر (أيلول) ١٩٨٧، عندما تمكن فريق أبحاث متباين يعمل على الانزيمات من حل مشكلة جعلت "نوفو نورديسك" لاحقا قائدة عالمية في مجال انتاج الليباز[٢] الخميرة الحالَّة للدُّهن. وتشكِّل هذه الخميرة، التي تُعتبر الاكثر تعقيداً بين الأنزيمات الطبيعية، مدخلا الى تصنيع مُنظِّف خارق.

والأنزيمات خمائر صغيرة جداً الى حد أن الكائن المجهري الحيّ قادر على

(٢) Lipase

إحتواء ألف منها. ويتولى الانزيم الملائم تفكيك الجزيء العضوي الملائم - الملائم لحظة التقائهما - أنزيم الاميلاز للنشاء والبروتياز للبروتيين والليباز للدهن. ومن دون الانزيمات فإن الطعام، الذي يُهضم في وقت يراوح بين ثلاث ساعات وست، يحتاج الى ثلاثين سنة لإطلاق الطاقة الكامنة فيه.

أما الأنزيمات الأكثر شيوعاً في المجال التجاري، فهي المتوافرة في الخميرة التي تطلق السكر وثاني أوكسيد الكربون من الطحين لينتفخ الخبز. وهناك خمائر أخرى تفتّت نشاء الشعير الى سكّر للتخمير، وتعدِّل الكازين في الحليب لصنع الجبنة. وقد تحققت خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية زيادة مثيرة في انتاج أنزيمات التنظيف التي تزيل البقع العضوية من دم وعشب وغير ذلك.

ظهر البروتياز[٣] عام ١٩٦٢، وهو أول أنزيم منظف أنتجته "نوفو." وأعقبته أنزيمات أخرى أكثر فاعلية. لكن أحداً لم ينجح في إنتاج نوع من أنزيم الليباز يزيل الأوساخ الشحمية والبقع الدهنية. يقول برج ديدريشسن: "هناك ألوف الأنواع من الليباز في الطبيعة، لكنها غير قادرة على الصمود في محاليل الغسيل القلوية." لذا شرع علماء "نوفو" في البحث عن ليباز متوافر في بيئة قلوية طبيعية مثل الينابيع الحارة في اليابان.

وخلال السنوات اللاحقة دُرست مئات الكائنات المجهرية من دون جدوى. وما إن حل العام ١٩٨٧ حتى عثر باحثو



تستعمل اقلام الانسولين التي تنتجها "نوفو نورديسك" في معالجة الاطفال.

"نوفو" في اليابان على ليباز واعد في فطر ليفي أبيض. فعُزلت جينة الليباز وأُرسلت جواً الى الدانمرك حيث زاوجها مهندسو الوراثة بفطر آخر من فصيلة "أسبرجيلوس."[٤] فتكاثر المضيف المتجدد بسرعة كبيرة (تستطيع خلية واحدة التضاعف الى مليون خلال ٢٤ ساعة) وبات مع الجينة الجديدة قادراً، نظرياً، على إنتاج كميات كبيرة من الليباز القادر على الصمود في ظروف قلوية.

الاوّلون. بقي إيجاد طريقة لحضّ المضيف على انتاج كميات كبيرة من الليباز. لذلك عُدِّلت جينة الليباز في أنابيب الاختبار لانتاج أشكال متغايرة من الانزيم. ثم نُمِّيت، في عشرات الاطباق

(٣) Protease

(٤) Aspergillus oryzae

البلاستيكية المستديرة، ٥٠٠ سلالة مختلفة من الفطر المضيف (تحوي كل منها نوعا مختلفا من الليباز) وتابع الباحثون فحصها لتقويم الليباز الذي تنتجه.

حقق هذا العمل تقدما في ١٠ سبتمبر (أيلول) عندما زيدت كمية صغيرة من الدهن الى مُستنبَت واعد من فطر "أسبرجيلوس" المعدَّل جينيّا. وبعد عشر دقائق عاين فريق ديدريشسن السائل المدروس، فوجد أن الفطر أنتج ما يكفي من الليباز لحلّ الدهن كليا.

لكن الوقت كان ضيقا، إذ الحَّت "ليون"، احدى كبرى الشركات اليابانية المنتجة لمستحضرات التنظيف، في الحصول على العنصر الجديد عاجلا. لذلك باشرت "نوفو" الانتاج على نطاق واسع متخطية مرحلة الانتاج التجريبي.

وبحلول ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٧ أُرسلت من الدانمرك الى اليابان عيِّنة من السلالة المعدلة جينيّا، وأُدخلت حوض تخمير ضخما مُلىء بحساء غني من طحين الصويا وجريش البطاطا. وطوال أسبوع، حُرِّك الحساء بمجاذيف ضخمة وهُوِّىء وأُبقي في حرارة بلغت ٣٦ درجة مئوية. وقبيل نهاية السنة جُفِّفت الدفعة الأولى وحُبِّبت.

وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ أنزلت السلعة الجديدة "ليبولاز" الى الاسواق.

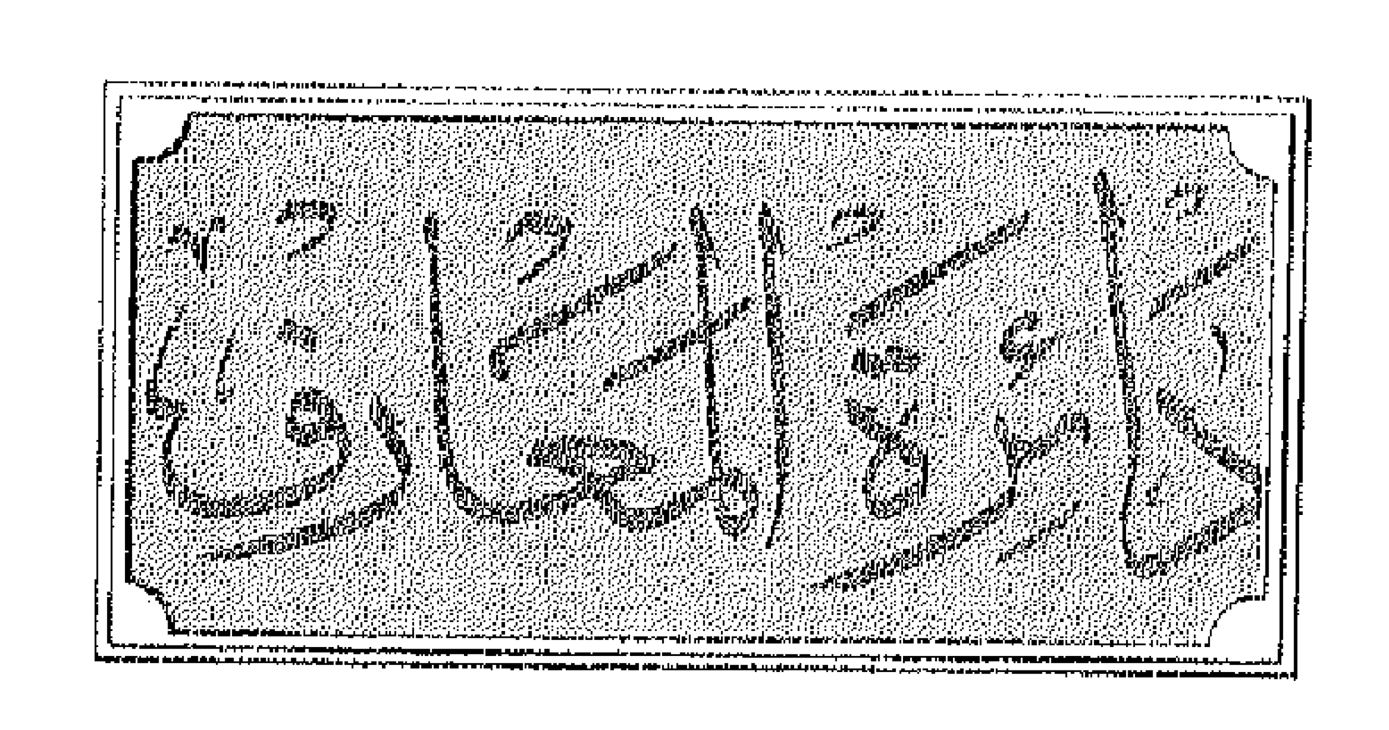
يقول أونسترب: "من المهم أن نكون الأوَّلين كي نحصل على نتائج. إن خير تشجيع للعلماء هو أن يروا شركتهم تتبنّى شيئا صنعوه، شيئا مفيدا."

أبيس المصري. تبقى آفاق الابحاث غير محدودة بالنسبة الى "نوفو نورديسك"، إذ إن ما أُستعمل تجاريا حتى الآن لا يزيد على ٥٠ أنزيما، في حين أن الطبيعة زاخرة بملايين الانزيمات، ومجالات استعمالها مذهلة:

- هناك أنزيمات كثيرة تحوِّل الحبوب النشوية، مثل الذرة والشعير، شرابا غنيا بسكَّر الفركتوز.
- تتيح الأنزيمات انتاج مبيدات تقتل الحشرات المؤذية من دون أن تخلِّف سموما ضارة في "الحلقة الغذائية" في الطبيعة.
- يمكن أن تحل الانزيمات محل الكلور المستعمل في تبييض عجينة الورق، ومحل المواد الكيميائية اللازمة لاعادة تصنيع أوراق الصحف.
- ثمة انزيمات لتطهير المياه المبتذلة من السموم، وتوليد الطاقة من النفايات النباتية.

لا شك في أن كثيرا من المنتجات الأنزيمية المستقبلية سيحمل شعار "نوفو نورديسك،" وهو رسم العجل "أبيس" المعروف عند قدماء المصريين رمزا للموت والابداع في آن. ان شركة تبتكر عقاقير تردّ غائلة الأمراض الفتاكة، وتُصنِّع منتجات جديدة تُولِّد الطاقة من مواد متعفنة، لن تجد شعارا أفضل.

أندرو لنكلاتر ■



برع العرب في ابتكار التشابيه والاستعارات والكنايات. وهنا بعض منها.

سهم الإسلام: كان السَّلف يقولون في وصاياهم: إذا مررتَ بقوم فابدأهم بسَهْم الإسلام، وهو السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكان النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول يوم دخول المدينة: "أفشوا السلام، وأطعِموا الطعام، وصلّوا بالليل والناس نيام، وصِلُوا الأرحام، تدخلوا الجنة بسلام."

خبايا الأرض: هي الزرع، يُروَى عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه قال: "التمسوا الرزقَ في خبايا الأرض."

خَلاخِيل الرجال: وهي القيود، قال علي ابن الجهم وهو في الحبس:

إذا سلِمت نفسُ الحبيب تشابهت
صُروفُ الليالي سَهْلُها وشَديدُها
فلا تَجزعي إما رأيتِ قيودَه
فإن خَلاخيلَ الرجال قُيودُها

فاكهة الشتاء: يقال للنار فاكهة الشتاء، قال الشاعر:

النار فاكهة الشتاء فمن يُرِدْ
أكلَ الفواكه شاتيا فليَصْطلِ

غِذاء الرُّوح: يقال: إن الأدب غِذاء الروح، كما أن الطعام غِذاء الجسم. وفي

الكتاب المبهج: الكلام الفائق بالخط الرائق، نزهةُ العين وفاكهةُ القلب وريحانة الرُّوح.

داء الأسد: هي الحمّى لأنها كثيرا ما تغزو الأسد حتى إنه قلّما يخلو منها ساعة، قال أبو تمام:

فإن يكُ قد نالتك أطراف وَعْكة
فلا عجبٌ أن يوعَكَ الأسد الوَرْدُ

كُنوز الجنة: كان يقال: أربع من كنوز الجنّة: كتمان المصيبة، وكتمان المرض، وكتمان الفاقة، وكتمان الصَّدَقة.

مُعترَك المنايا: هو ما بين السّتين الى السبعين من أعمار الناس، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أكثر أعمار أمتي ما بين الستين الى السبعين." ولمّا أنافت سِنُو عبد الملك بن مروان على الستين وسئلَ عن عمره قال: في معترَك المنايا.

عِتاق الطير: أحرارُها، وهي تَصيد ولا تُصاد ولا تُملَك، قال الشاعر:

ولا عيبَ فيها غيرَ زُرقةِ عينها
كذاكَ عِتاقُ الطير زُرقٌ عُيونُها

وقال خلف الأحمر: عتاق الطير هي الجوارح، وعتاق الخيل هي التي تفوت إذا طُلِبت، وتُدرك اذا طَلَبتْ.

وقال الجاحظ: عِتاق الطير كالعِقبان والبُزاة والصقور والشواهين، لاسيما العقبان، فإنها تبيت حيث لا ينالها سبعٌ ولا ذو أربع، وتَحيد عنها سِباع الطير ولا تُعاني

الصيد إلّا في الضرورة، لأنها تَسلُب كل ذي صيد صيده، وإذا اجتمع صاحبُ الصقر وصاحبُ الشاهين وصاحبُ البازي وصاحب العُقاب لم يُرسلوا اطيارهم خوفاً من العُقاب. وهي طويلةُ العمر، عاقّة بولَدِها، وإن شاءت كانت فوق كل شيء، وإن شاءت تَفُوق كل شيء، لانها تتغدى بالعِراق، وتتعشى باليَمَن، وريشها الذي عليها هو فَرْوَتُها في الشتاء.

لُعاب الشمس: لُعاب الشمس عند العرب هو ما يَتراءى كالخيوط في الجو عند شدة الحر، قال الراجز:

وذاب للشمس لعابُ فنَزَلْ

وقامَ ميزانُ النهار فاعتدَلْ

وقد يشبَّه به الشيء الباطل الذي لا اصل له. ويقال له ايضا: مُخاط الشيطان وخَيْط الشيطان، وخَيط الشمس، وكما يقال: لُعاب الشمس يقال: بُصاق القمر للحجر الأبيضِ الذي يقال له حَجَر المَها.

داء الضرائر: من أمثال العرب قولهم: بينهم داء الضرائر، إذا كان بينهم شرّ دائم وحسد وبغض، لأن الضرائر يبغض بعضهنّ بعضا ولا يكدْن يخلُون من مُشاجرة.

أصابع الأيتام: قال بعض السّلف: احذَروا أصابعَ الأيتام – يعني رفعهم إياها في الدّعاء على الظالم – وهذا كما قيل: احذَروا مجانيق الضعفاء، أي دعواتهم. وفي اصابعِ الأيتام يقول أبو فراس:

ابذُل الحقَّ للخصومِ إذا ما

عَجزتْ عنه قدرةُ الحُكّامِ

رُبَّ أمر عففتُ عنه اختيارا

حذراً من أصابعِ الأيتامِ

واسطةُ القِلادة: يُضرَب بها المَثَل في تفضيل بعض الشيء على كلّه، فقال: واسطةُ القلادة، ودُرَّة التاج، وإنسانِ الحَدَقة، وعينُ الكَتيبَة، وأول الجريدة، وبيتُ القصيدة.

وفي الكتاب المبهج: الصّديق الصّدوق واسطة العِقد، وأول العَقْد.

نار الحُمَّى: يقال: إنّ النِّيران ثلاث: نار تأكل وتَشرب وهي نارُ الحُمّى، تأكل اللحم وتشرب الدم، ونارٌ تأكل ولا تَشرَب، وهي نار الدنيا، قال الشاعر:

النار تأكل نفسَها

ان لم تجِد ما تأكُلُه

ونار لا تأكل ولا تَشرَب، وهي نار جهنّم.

داء البطن: يُضرب مَثَلا للشر المستور الذي لا يُقدَر على مُداواته.

قال الاسود بن الهيثم النخعي:

بَني عَمِّنا إن العداوة شرّها

ضغائنُ تبقى في صدور الاقاربِ

تكون كدَاء البطن ليس بظاهر

فيُشفى وداء البطْنِ من شرِّ صاحب

وقال آخر:

وبعض خلائقِ الأقوامِ داء

كداء البطن ليس له دواءُ

ومن البطون المستعارة: بطن الوادي، بطن القرطاس، وبطن الكف وظهر الامر وبطنه.

شمس العصر: تُضرَب مثلا للشيخ المُسِنِّ ذي السنِّ العالية الذي خرف وبلغ ساحل الحياة، فيقال: ما هو إلا شمسُ العصرِ على القَصْر.

تيجان العرب: جاء في الخبر: إن العمائم تيجان العرب، فاذا وضعوها وضع الله عزهم. وكان يقال: اختصَّت العرب من بين الامم بأربع: العمائمُ تيجانها، والدروع حيطانها، والسيوف سيجانها، والشِعر ديوانها.

اجعلوا الريَاضة خبزكم اليَومي

ما من انسان سويّ يحب ممارسة التمارين الرياضية. صحيح أننا نهوى الحديث عن تمارين زاولناها، لكن غلاة المهتمين باللياقة البدنية يتخموننا بأخبار عن سرعات نبض مخفوضة وقوة احتمال مستجدّة وعن عشرة كيلوغرامات من وزنهم تخلصوا منها. وهم يستشهدون بمعادلات باحثين في جامعة ستانفورد يدّعون أن كل ساعة تمرين تطيل العمر ساعة أخرى.

لكننا لا نسمع أبداً عاقلاً يقول: "عندما رنّ منبه ساعتي تمام الخامسة والنصف هذا الصباح، لم أستطع الأنتظار فسارعت الى الخروج من المنزل لممارسة الهرولة تحت المطر البارد."

ولا يرى الخبير باللياقة البدنية رود ديشمان مصادفة في كون كثيرين يبدأون برنامج تمرين ما ثم يفشلون في التزامه. لنواجه الامر: عندما يحين موعد التمرين تفضّل غالبيتنا الاستلقاء على كنبة وتناول المعجنات.

وهناك، في المقابل، أناس يكرهون ممارسة التمـارين لكنهم يستطيعون التغلب على بلادتهم ويزاولون الرياضة

- هل في العالم امرؤ عاقل يحبّ مغادرة أريكة وثيرة ليركض خمسة كيلومترات؟



PHOTO: ERNEST COPPOLINO

سنة كل سنتين. وقد ذهلت اذ أدركت أني صرت الآن واحدة من هؤلاء.

اكتشفت ذات يوم قبل سنتين ونصف سنة أن مجرد المشي بضع مئات من الامتار يتركني، أنا ابنة الثانية والاربعين، مبهورة الانفاس لاهثة كأنني في التسعين. وأقلقني السؤال: هل فات الاوان لارجاع عقارب ساعتي البيولوجية الى الوراء؟

علمت أن كثيراً من اختصاصيي العلوم مقتنعون بأن الرياضة يمكن أن تعكس بعض آثار التقدم في العمر. وأظهرت دراسة أجريت على عشرة رجال ونساء واهنين، بعضهم في السادسة والتسعين من العمر، مارسوا تمارين منتظمة على آلات خاصة لرفع الاثقال، أن خمسة منهم تمكنوا بعد شهرين فقط من مضاعفة سرعة مشيهم في حين استغنى اثنان آخران عن عكازاتهما.

بدا في ذلك كثير من المبالغة، لكن جسدي كان يحتجّ مع كل خطوة ويطالبني بنشاط ما. أخيرا قررت أن أجرب السباحة.

كدت أعجز أول الامر عن قطع مسبح البلدة مرة واحدة ذهوبا وايابا. لكنني صرت بعد شهرين أطويه ١٨ مرة. وقد بلغ مجموع ما سبحته حتى الآن ٥٩٢٢ دورة.

عندما أخبر أصدقائي أنني سأكون، بحلول ميلادي الرابع والخمسين، سبحت مسافة ٢٧٠٠ كيلومتر ظهراً وفراشة، أي ما يقارب المسافة بين لبنان والسعودية، ينظرون الي غير مصدقين. لكنني أعرف في قرارتي أنني سأحقق ذلك، اذ تعلمت كيف لا أكون من الذين يتخلون بسهولة عن ممارسة التمارين.

واليكم نصائحي:

لا مفر من الاحساس بالاجهاد. يصرّ هواة اللياقة البدنية المتحمسون على أن التمارين الرياضية تمنحنا للحال شعوراً بأننا اكثر نشاطا. لا تعتدّوا بذلك، اذ ان كل ما استطعته بعد جولاتي الصباحية الاولى في السباحة كان جر جسدي المنهك ثانية الى الفراش.

ولم أتوصل الى مشي أسرع وعمل أكثر من غير تعب الا بعد ستة أشهر من السباحة وزيادة المسافات التي أقطعها. ومن حسن حظي أن صديقا لي حذرني من الفترة الاولى الصعبة، والا لكنت استسلمت معتقدة أنني أكبر سناً من أن أمارس هذا النشاط.

لا تتوقعوا مكافآت ظاهرة. لا شك في أن التمارين تحسّن مظهر الجسد في آخر الامر. فقد انقصتُ من وزني أكثر من ستة كيلوغرامات في غضون سنتين ونصف سنة، ويقول أصدقائي انني أبدو أصغر مما أنا بخمس سنوات. لكن أحداً لن يحصل أبدا على عضلات مصارع أو خصر راقصة وإن مارس رفع الاثقال ١٨ ساعة يوميا.

يعتبر ديشمان أن تعليل النفس بكمال الجسم توطئة تساعد المرء على أن يبدأ.

ولكن لتواظبوا على التمرين عليكم التركيز على مكافآت داخلية غير ظاهرة. هل تجعلكم التمارين أقل قلقا؟ اكثر حيوية؟ هل صرتم تنامون أفضل؟

شعر نحو ٦٠ في المئة من الرجال المتوسطي الاعمار الذين اشتركوا في احدى الدراسات بأنهم صاروا أكثر قدرة على التركيز وأخذ القرارات وأن نظرتهم الى العمل باتت أكثر ايجابية، وذلك بعد ممارستهم التمارين الرياضية ساعة واحدة في اليوم ثلاث مرات أسبوعيا.

ان أغنى المكافآت ذاتية وشفافة. ابحثوا عنها فتمنحكم استمرارية.

افعلوا ما يلائمكم. اذا كانت ثمة قاعدة ذهبية واحدة تمنحكم استمرارية فهي اختياركم نظام تمرين يناسب شخصيتكم. اذا كنتم ممن يتمتعون باقامة صداقات، فانتم مؤهلون للانخراط في نشاط اجتماعي مثل رياضة الكرة الطائرة أو كرة المضرب اكثر منكم في مزاولة رياضة فردية كركوب الدراجات الهوائية. واذا كنتم تخشون الاصابة فستتقبلون المشي أكثر من رياضة فنون القتال كالملاكمة والجودو والكاراتيه.

كانت سيدة في السبعين من عمرها، ترغم نفسها قبل سنة على التمرن على دراجة ثابتة، الى أن اقترح عليها صديق أن تلتحق ببرنامج رياضات مائية. اعترضت السيدة أولا بحجة "أنني اسمن من أن ارتدي ثوب سباحة." لكنها وافقت على الاقتراح أخيرا، وهي الآن امرأة متحفزة، نشطة، مرحة، متحمسة للتمارين. انها مثل حي على الشعار الذي أطلقه موريس شوفالييه[1]: "لا يصبح العمر مزعجا الا عندما تتوقف عن تدليله."

اذا تخلفتم احيانا، فلا تستسلموا. اذا كنتم اعتدتم الخمول لسنوات، فستكون الحركة النشطة مدة ٣٠ دقيقة ثلاث مرات في الاسبوع تحولا رئيسيا. ولكن لا يكفي أن تتغلبوا على "إدمان" الاريكة المريحة، بل عليكم ايضا أن تكتسبوا عادة جديدة قد تثير احتجاج كل عضلة في اجسامكم بادىء الامر. ولا مناص من الانقطاع عن التمرين بين فترة وأخرى.

يرجح الخبير بالطب الرياضي غيلبرت غليم، أن تتخلفوا عن ممارسة تمارينكم وخصوصا في الشهر الثالث، اذ تتلاشى الفورة الاولى من الحماسة والشعور الجديد بالنشاط والمظهر الحسن.

عندما تضعفون، كونوا متسامحين. فما اهمية بضعة أيام أو أسابيع حين تكونون في طور تنمية عادة تكتسبونها مدى الحياة؟

كان زوجي سبح ما مجموعه ٧٧ كيلومترا وأنقص ١٢ كيلوغراما من وزنه قبل أن يبدأ العمل ٧٠ ساعة اسبوعيا... ويتوقف عن السباحة. وبعد خمسة اشهر زاد وزنه خلالها ستة كيلوغرامات، عاود ممارسة السباحة تلقائيا. واذ تساءلت

(١) ممثل ومغن فرنسي (١٨٨٨ - ١٩٧٢).

كيف استطاع ذلك من دون أن يشعر بالذنب لتوقفه، لاحظت أنه غالباً ما كان يتحدث عن انقطاعه كأنه اجازة أو استراحة. لكن الكلمتين الاكثر تدميراً للذات - إني فشلت - لم تكونا في قاموسه.

جربوا احلام اليقظة. أشغلوا فكركم أثناء أداء التمارين لئلا يصيبكم تكرارها بالسأم. كنت عندما اسبح على ظهري أحسب عدد ضربات ذراعيّ أو انظم أبياتا شعرية أو أردد أغاني شعبية. يدعو الخبراء هذه الطريقة لشغل الفكر عما نفعل "انفصالا" عن الذات، لكنني اسميها، ببساطة، أحلام يقظة.

تتمرن ابنتي، وهي في الثامنة عشرة من عمرها، ساعة كاملة على دراجة ثابتة وهي تطالع في كتاب علم الاحياء المثبت أمامها. وهي ليست مثالا للياقة البدنية فحسب، وانما حصلت أيضا على علامة امتياز في امتحانها الاخير في علم الاحياء.

حدِّدوا درجة تحملكم. كثيرا ما يردد غلاة المتحمسين للياقة البدنية اشاعات واقوالا من نوع: "لا ألم، لا نتيجة." تجاهلوا هذه الترهات واصغوا الى أستاذة الرياضة جودي آلتر التي تقول: "توقفوا اذا احسستم أن التمرين يؤذيكم." وتظهر الابحاث الاخيرة أن التمارين المعتدلة التي لا تسبب ألما، مفيدة بمقدار ما هي التمارين المنهكة.

وترى الخبيرة بالطب الرياضي شارلوت تيت ان "ركض سباق ماراثون[2] لا يجعلكم أكثر صحة مما لو مارستم مشيا سريعا مسافة خمسة كيلومترات ثلاث مرات أسبوعيا."

تمارس سيدة تجاوزت الستين من عمرها، السباحة ثلاثة صباحات في الاسبوع، مع أنها تخاف أن تنزل تحت الماء. كيف تستطيع ذلك؟ تحتفظ برأسها فوق الماء وتسبح ببطء السلحفاة، على عكس السباحين الاقوى الذين يتسابقون حولها. وهي حافظت على برنامج السباحة هذا لاكثر من ثماني سنوات بتحديدها وتيرة امكاناتها والتزامها اياها.

مارسوا الرياضة مع أصدقاء. لدى سؤال عدد من قدامى ممارسي التمارين ما الذي يحضهم على الاستمرار، أجاب كثيرون: "لم نشأ أن نخيب أمل أصدقائنا الذين يتمرنون معنا." وأظهرت دراسة أجرتها صحيفة أمريكية تعنى بشؤون الصحة[3] أن نحو ٩٠ في المئة من الرجال المعرضين للاصابة بنوبات قلبية وجدوا أن ممارسة التمارين مع صديق أو مجموعة أصدقاء اسهل من ممارستها منفردين، فأصدقاؤكم الذين يشاركونكم في التمارين يهللون لانجازاتكم، كما أنهم لا يرثون لحالكم لأنهم يلتزمون برنامج التمارين فلا يرون لعدم التزامكم اياها

(٢) سباق في العدو او المشي مسافة طويلة.
(٣) Public Health Reports

تبريرا. ويمكن أن يصبح تصميمكم أقوى اذا تمرنتم مع أزواجكم وزوجاتكم. فقد اظهرت دراسة أن ٨٠ في المئة من الرجال التزموا برامج تمرينهم متى كانت زوجاتهم سنداً لهم ومشجعا، بينما لم يلتزمها سوى ٤٠ في المئة من الذين اظهرت زوجاتهم مواقف سلبية أو حيادية.

ويلاحظ أستاذ علوم الصحة نيل اولدريدج أن "ليست هناك استراتيجية واحدة لجعل كل الناس يثابرون على التمرين. فالامر يتطلب طرقا مختلفة باختلاف الاشخاص."

وهنا خمسة منشطات لقوة الارادة:

١. الهموا أنفسكم بالموسيقى. استمعوا الى موسيقى صاخبة وأنتم تتمرنون على دراجة. رددوا مقاطع من اغنية شعبية وانتم تركضون. أظهر استطلاع أجراه العالم بالفيزيولوجيا الرياضية باري فرنكلين أن ٩٩ عداء من أصل ١١٤ يفضلون الركض وهم يستمعون الى الموسيقى، وقد أكد كثيرون منهم أن الموسيقى تسهل ممارستهم التمرين.

٢. أنتم ما تفكرون. اذا تخيلتم أنكم نشيطون فسوف تصبحون نشيطين. تصفّحوا مجلات رياضية. اشتروا معدات لا يستخدمها الا المحترفون. ارتدوا ملابس الرياضة في عطلة نهاية الاسبوع.

٣. احفظوا سجلا لتقدمكم. اعتدت تسجيل المسافة التي اقطعها كلما سبحت. ان مجرد تسجيل مسافة متواضعة لا تتجاوز ٥٠٠ متر يجعلني اشعر كانني نلت ميدالية ذهبية.

٤. احتفظوا بمعداتكم مرئية. عندما تضعون معدات التمرين حيث يمكنكم رؤيتها، تُذكرون انفسكم باستخدامها. احتفظوا بمضرب الكرة في السيارة، وبحذاء الركض قرب الفراش.

٥. قاوموا الاعذار قبل اختلاقها. تمرنوا في مكان يسهل الوصول اليه. اذا كنتم تمارسون التمارين بعد العمل، التحقوا بناد قريب من المكتب. لتكن مواعيد التمارين في الصباح الباكر اوفي ساعة متقدمة مساء، اذذاك لا يمكنكم أن تبرروا كسلكم بالقول: "عليّ أن اتتبع تطور أسعار العملات في سوق القطع."

أما الاخبار الجيدة فهي هذه: أن التزام التمارين يصبح أسهل كثيراً إذ تزاولونها أسبوعا بعد أسبوع. خرجتُ أخيراً من حوض سباحة وأنا افكر: "ياه، كم كان ذلك ممتعا!" وأطرف من ذلك أنني كنت أبتسم. هل من الممكن أن أكون، بعد كل هذه السنوات من نعيم الكسل، بدأت اتمتع بممارسة التمارين الرياضية؟ أن مجرد التفكير في ذلك يثير فيّ قشعريرة!

سو برودر ■

النهدة مكبر صوت للذين يعانون بصمت. ا.ك.

"حرب سيّارات" بين أوروبا واليابان

لجأ الاوروبيون طويلا الى تدابير الحماية السلبيـة لصدّ المنـافسة اليابانية. لكن الوقت حان لمواجهة مباشرة تنقذ السيارات الاوروبية من خطر الانقراض

طغي جو من الاثارة على معرض جنيف الدولي للسيارات، حين تدفقت الجموع الى القاعة ذات التصميم الكهفي لمشاهدة السيارات الحديثة الطراز. ولأن أوروبا هي حالياً السوق الاولى للسيارات في العالم، حرص الصانعون على عرض أحدث ما انتجوه من جديدهم البراق. وراح زوار المعرض المولعون بالسيارات يقفزون الى مقاعد القيادة ويصفقون أبواب السيارات وينعمون النظر في

اجزاء محركاتها ويتلمسون خطوطها الانسيابية ويغرقون الباعة بفيض من الاسئلة التقنية.

ولكن بعد القاء نظرات خاطفة على سيارات جديدة أمثال "سيتروين ZX" و"أوبل فرونتيرا" تحول الالوف عن السيارات الاوروبية الصنع واحتشدوا امام المنصات المتألقة التي تضيء أسماء سيارات أمثال "تويوتا" و"هوندا" و"نيسان." وظهرت في مدخل صالة العرض سيارة "تويوتا ليكسوس" لماعة زرقاء تدور فوق طاولة مغمورة بالضوء. ويرمز طراز "ليكسوس" الفخم الى ارادة اليابان تحدي فضلى السيارات الاوروبية، علماً أن ما يباع منه في الولايات المتحدة حاليا يعادل مبيعات جميع طرازات سيارة "ب ام ف."

بيّن ولع زائري معرض جنيف أن المستهلكين الاوروبيين مأخوذون بالسيارات اليابانية، الامر الذي أثار قلقَ صانعي السيارات الاوروبيين الكبار. ففي بعض البلدان تبلغ نسبة مبيعات السيارات اليابانية أكثر من ٣٠ في المئة من مبيعات جميع السيارات. والسبب واضح: فقد أظهرت معاينات شاملة للنوعية أن الاصناف اليابانية تحتلّ مراتب أولى باطراد. وبناء على هذه النتائج يتوقع المحللون في مجال صناعة السيارات أن ينخفض عدد الشركات المصنعة "الست الكبرى" في أوروبا الى "خمس كبرى" أو أقل بحلول السنة ٢٠٠٠. ويقول روبرت ايتون رئيس شركة "جنرال موتورز" في أوروبا: "نقدِّر أن يسيطر اليابانيون على ٢٠ في المئة من السوق بُعَيد السنة ٢٠٠٠، بل قد تكون هذه النسبة أعلى كثيراً."

مواجهة التحدي. ما تشهده التسعينات هو ما يمكن أن يسمى "حرب السيارات." فبعدما زادت اليابان انتاجها سبعة أضعاف خلال ٢٥ سنة، وحلت محل الولايات المتحدة صانعا أوَّل للسيارات في العالم، تتطلع اليوم الى السيطرة على أوروبا. وقد سيطرت منتجاتها على ١١ في المئة من سوق القارة، ويذهب ١٥ في المئة من السيارات المنتجة في اليابان الى أوروبا.

ومع ذلك، لم تبلغ المنافسة اليابانية ذروتها. فالمنتجون الثلاثة الكبار، "تويوتا" و"نيسان" و"هوندا"، يخططون في أوروبا ويبنون مصانع تستطيع انتاج نصف مليون سيارة في السنة. فالغزو الياباني يهدد كبرى الصناعات في أوروبا التي تشغِّل ٢،٦ مليون عامل. يقول ريمون ليفي رئيس شركة "رينو": "ان الخطر واضح. ستغلق مصانع وتتوقف شركات كبيرة عن العمل، وسيسجل ارتفاع هائل في معدل البطالة." لكن المنافسة اليابانية هي ايضاً تحد لصانعي السيارات الاوروبيين يحضّهم على انتاج سيارات أفضل بأسعار أدنى.

ولسوء الحظ، تردد صانعو السيارات الكبار في أوروبا طويلا في تقرير سبل

مواجهة التحدي الياباني. ولأن مؤسساتهم كانت تعتبر وطنية وتحصل على دعم حكومي سخي وتتمتع بحماية الاسواق المحلية، باتوا أقل كفاية وقدرة على المنافسة. واقتصرت طريقتهم الفضلى في التصدي لليابانيين على محاولة ابقائهم خارج السوق. فثمة خمسة بلدان هي بريطانيا وفرنسا وايطاليا والبرتغال واسبانيا، تحمي أسواقها الوطنية من منافسة السيارات اليابانية عبر نظام الحصص واجراءات أخرى. وبما أن هذه الاجراءات ستصير غير قانونية بموجب قوانين السوق الاوروبية الواحدة بعد ١٩٩٢، فقد طلب أصحاب مصانع السيارات من الهيئات التمثيلية للمجموعة الاوروبية، ومقرها بروكسيل، وضع قيود أشمل تحمي أوروبا كلها.

في يوليو (تموز) ١٩٩١، بعد أكثر من سنتين ونصف سنة من المحادثات بين أصحاب صناعة السيارات الاوروبيين واليابانيين والمسؤولين الحكوميين، وافقت اليابان "طوعاً" على تحديد صادراتها الى السوق الاوروبية بما لا يتعدى ١،٢٣ مليون سيارة سنوياً لمدة سبع سنوات تلي ولادة "السوق الموحدة." وبذلك تكون حصة اليابان نحو ١٦ في المئة من السوق الاوروبية، بما فيها السيارات اليابانية المصنوعة في أوروبا، لفترة انتقالية تنتهي سنة ١٩٩٩، يترتب بعدها على صانعي السيارات في أوروبا أن يدافعوا عن انفسهم بأنفسهم.

ويقول موظف حكومي رفيع يعمل مساعداً لمارتن بانغمان مفوض المجموعة الاوروبية للشؤون الصناعية: "في النهاية، سيتعين على صانعي السيارات في بلداننا التصدي مباشرة للتحدي الياباني."

فوارق حضارية؟ ان اتكال صانعي السيارات الاوروبيين على الحماية جعلهم غير مهيَّئين لهذا الصراع، بل انه أضرَّ بمصالحهم وبمصالح المستهلكين في أوروبا على السواء، ذلك لأن الصناعات المحمية لا تتمتع بحوافز كافية تجعلها أقدر على المنافسة أو خفض الاسعار. وعلى سبيل المثال، تبين للمجلس الاوروبي لحماية المستهلك، ومقره في بروكسيل، أن ثمن سيارة "مازدا ٣٢٣" في بلجيكا حيث لا يعتمد نظام الحصص يبلغ ١٠٦٩٢ إيكو[١] بينما يبلغ ١٥٧٥٢ إيكو في ايطاليا حيث حددت حصة مبيعات السيارات اليابانية بثلاثة في المئة من استهلاك السوق. وأظهرت دراسة أجراها المجلس الوطني للمستهلك في بريطانيا أن القيود المفروضة على مبيعات السيارات اليابانية تكلف المستهلكين نحو ٢،٨ مليار إيكو سنوياً، أي ١٨٢٨ إيكو عن كل سيارة تباع في بلدان المجموعة الاوروبية. وخلصت الدراسة الى أن أسعار السيارات اليابانية المبيعة في المجموعة الاوروبية هي أعلى بنسبة ٢٠ في المئة مما ستكون

(١) الايكو (ecu) هي وحدة النقد الاوروبية.

لو رفعت القيود المفروضة عليها حاليا.

واذا ما أراد صانعو السيارات الاوروبيون حماية متواصلة، فذلك لكونهم منتجين أقل كفاية من اليابانيين. لقد صرف معهد مساتشوستس للتكنولوجيا (MIT) خمس سنوات (١٩٨٤ - ١٩٨٩) وأنفق خمسة ملايين دولار لدراسة صناعة السيارات في ١٤ بلداً. وجاء في معرض تقويمه المثبط: "إن صانعي السيارات الاوروبية هم في مقدم الدعاة الى انتاج جملي محافظ، وعمل مجزأ الى أصغر التفاصيل، ومخزونات هائلة، ومصانع ضخمة." ويبدو مدى تخلف انتاج السيارات في أوروبا واضحا على نحو لافت في احصاءات الانتاج. فبينما يقتضي اليابانيين ١٦ ساعة لصنع سيارة، يستغرق الأمر ٣٥ ساعة في المصانع الاوروبية. وتخرج السيارات اليابانية من خط التجميع وفيها عيوب في التصنيع تقل عما في السيارات الاوروبية بنسبة ٣٧ في المئة. وتسجل نسبة التخلف عن العمل في أوروبا ضعفي ما هي في اليابان. ويستطيع الصناع اليابانيون تطوير طراز جديد في غضون ٤٦ شهراً بالمقارنة مع ٦٠ شهراً للاوروبيين.

ويعزو المديرون هذا التخلف الى أعذار مختلفة، منها ما يعود في الأساس الى الفوارق بين اليابان وأوروبا. ويصرح جاك كالفيه رئيس شركة "بيجو - سيتروين PSA" مدافعا: "ان الاقتصاد الياباني موجه برمته ناحية الارباح، وتترتب على الشركات اليابانية نفقات أدنى للضمان الاجتماعي." ويشير هؤلاء المديرون أيضاً الى حب الاوروبيين للعيش برخاء. ففيما يشتغل العامل الياباني في صناعة السيارات ٢٢٠٠ ساعة في السنة، يشتغل العامل الاوروبي ١٨٠٠ ساعة. ويدعي كارل هان رئيس شركة "فولكسفاغن": "لنا نظرة متباينة الى رخاء العيش. فنحن سعداء وناجحون كما نحن، فلماذا نتخلى عن نمط حياتنا لنتبع أسلوب اليابان في العمل؟"

زواج رائع! غالبا ما أساء الحقد والتوتر في العلاقات بين العمال وأرباب العمل الى منتجي السيارات في المجموعة الاوروبية. يقول لندسي هالستد رئيس شركة "فورد" في أوروبا: "نحن نحمل عبئا تاريخيا ثقيلا. وللمثال، عانينا في بريطانيا من اضراب استمر سبعة أسابيع قبل أن نتمكن من الحصول على موافقة الاتحاد العمالي على قيام العمال بأكثر من مهمة، أسوة بالعمال اليابانيين." ويضيف أحد الاداريين الكبار في شركة "رينو": "لست متأكداً من قدرتنا على تحقيق التوافق مع العمال كاليابانيين. فلأسباب حضارية، لم تتحقق كلياً في فرنسا الثقة المتبادلة بين الادارة والنقابات العمالية."

ويكاد الاتجاه في أوروبا الى التمسك بالوسائل القديمة يصل أحيانا الى حدود سخيفة... ومكلفة. فقد قرر مديرو شركة "بيجو - سيتروين PSA" عام ١٩٨٥

توسيع مبنى "بيجو" الرئيسي القديم في سوشو بشرق فرنسا حيث يقوم عدد من المباني القديمة يعود تاريخها الى العام ١٩١٢، بدل بناء معمل جديد في مكان آخر. ولكي يتم لهم تحقيق مشروعهم تعين عليهم تحويل مجرى نهر آلان المجاور بكلفة بلغت ١،٧ مليار دولار.

ومع أن هذه العوائق حقيقة واقعة فالتغلب عليها ليس مستحيلا. ان العنصر الاساسي لتفوق اليابانيين في صنع السيارات لا يكمن فقط في عدد الساعات التي يصرفونها على العمل أو في عمر مصانعهم. يقول فيكتور ديال الرئيس السابق لقسم المبيعات والتسويق في «PSA»: "ان السبب كامن في قدرة اليابانيين على ادارة أعمالهم بطريقة أفضل." أما اذا اقترن انجاز العمال الاوروبيين بطرائق الانتاج اليابانية – كما تُظهر المعامل اليابانية في بريطانيا – فقد ينجم عن ذلك زواج رائع.

ورشة تحسين. لكي تتسنى لي نظرة قريبة الى طريقة العمل اليابانية زرت معمل "نيسان" في بريطانيا، في بلدة سندرلاند قرب نيوكاسل. فطالعتني على المدخل دمية "داروما" قصيرة ضخمة ذات ملامح متوحّشة، مقامة لجلب الحظ. وفي الداخل ارتدى معظم المديرين والعمال البالغ عددهم ٢٨٠٠ بذلات زرقاء علقت على كتفها اليسرى شارة الشركة. ومن تدابير المساواة المتبعة في المعمل غياب ساعات ضبط وقت الحضور وعدم تخصيص مكاتب للمديرين أو مواقف لسياراتهم. ولا يقوم على خطوط التجميع مراقبون لضبط جودة الانتاج. وعوض ذلك تنمي الشركة لدى موظفيها حسّاً بالنوعية، وتشجّعهم على اطلاق أفكارهم عبر "ورشة التحسين."

أفاد أحد العمال في قسم تجميع هياكل السيارات: "حين أتبين أي خلل في الجودة على خط التجميع، أشدّ حبلا خاصاً وألفت المشرف الى الامر. واذا لم نتمكن من اصلاح العطل فاننا نوقف العمل على الخط، بينما يعود الى الادارة وحدها اتخاذ مثل هذا القرار في معظم المصانع الاخرى."

وفيما كنت أراقب مسار العمل رنّ جرس وومض ضوء أزرق في محطة عمل أخرى. فهرع المشرف الى المكان للتشاور مع العامل الذي شد حبل الانذار. وفجأة توقف الخط عن العمل. وما هي سوى بضع دقائق حتى أصلح العطل وعاد العمل على الخط.

يقول مدير الانتاج جون كوشناغان مشيرا الى العامل والمشرف وهما منهمكان في اصلاح العطل: "ان هؤلاء الناس ملتزمون كليا جودة الانتاج والعمل فريقاً واحداً. وذلك هو مفتاح نجاحنا."

وتختار شركة "نيسان" في سندرلاند فريق عملها بدقة، فمن بين كل ٥٠ طلب عمل ينتقى طلب واحد. ويشارك العمال بحماسة في دورات تدريبية اضافية. ويمكن العامل النموذجي أن يكتسب مهارات ميكانيكية والكترونية

وهيدروليكية. ويتناوب العمال خلال السنة مراكز مختلفة، الامر الذي يجنبهم الضجر الذي يصيب كثيرين من عمال المصانع. أما نسبة التغيّب عن العمل فهي أقل من ثلاثة في المئة، أي انها ثلث النسبة العادية في المصانع البريطانية.

ويبدو عمال شركة "نيسان" ومديروها على أتم وفاق في بريطانيا حيث العلاقات السائدة بين العمال وأرباب العمل هي الاسوأ في أوروبا. وقد لاحظت أن علب الكرتون التي تحوي أجزاء السيارات في خط التجميع الاخير موضبة على حامل مائل في متناول اليد. وشرحت لنا احدى العاملات: "تعبت كثيرات منا من الانحناء والتقاط الاجزاء عن الارض. فتفتقت لنا فكرة: ذهبنا الى ورشة التحسين وصنعنا منصبا لم يكلفنا شيئاً، وها هو الآن معتمد هنا. ولو اتكلنا على أحد المهندسين ليحلّ مشكلتنا لكان لا يزال يرسم ويصمم."

خطوات ملحّة. تنتج شركة "نيسان" في بريطانيا ١٢٠ ألف سيارة "بريميرا" في السنة، ويصدّر ٨٠ في المئة منها الى ٢٩ بلداً بينها اليابان. وهي وفرت فرص عمل كثيرة في المنطقة وحسّنت ميزان التجارة البريطاني. وتقول مارغريت باين الخبيرة الاقتصادية لدى جمعية صناعة السيارات في بريطانيا: "أن المصانع اليابانية هنا ستغير مسار صناعة السيارات في بريطانيا في التسعينات."

لكن هذه المصانع لن تغير مسار صناعات السيارات في بقية أوروبا، وان تكن ثمة دلائل مشجعة على ذلك. ففي مصنع "فيات" في كاسينو بايطاليا تملك الشركة واحداً من أفضل نظم الانتاج الاوتوماتيكية في العالم. وباشرت "فولكسفاغن" أكبر برنامج انفاق في تاريخها. وزادت "بيجو" انتاجيتها في السنوات الخمس الاخيرة بنسبة ٥٠ في المئة. لكن المهمة الرئيسية لم تنجز بعد.

ويحذر مارتن بانغمان مفوض الشؤون الصناعية في المجموعة الاوروبية من أن "على الاوروبيين أن يصيروا قادرين على المنافسة دولياً، فلا مجال لديهم لاهدار مزيد من الوقت."

ويمكن أن تتحقق نتائج سريعة ما ان تتخذ قرارات صعبة. ويتفق الخبراء بصناعة السيارات على أن ثمة حاجة ملحة الى أخذ الخطوات الآتية:

□ تطبيق "الانتاج الناحل المركّز" الذي يعتمد استخدام أقل مما خُصّص من كل شيء لتطوير منتجات جديدة. وذلك يعني اقفال المعامل غير المنتجة، واحالة العمال الاكبر سنا على التقاعد اذا عجزوا عن التكيف، وخفض المخزونات، وتوظيف الرساميل في تعزيز الوسائل الميكانيكية والالكترونية.

□ تقصير "دورات التطوير." يتعين على منتجي السيارات الاوروبية تقديم مجموعة أوسع من الطرازات المجهزة بمواصفات تكنولوجية متطورة تعتبر قياسية وعادية وليست "زوائد." وينبغي توفير ذلك في فترات متقاربة.

□ على منتجي السيارات انفاق مزيد من موازناتهم على البحث والتطوير. فالشركات اليابانية تسجّل براءات اختراع لنماذج جديدة تزيد ثلاثة أضعاف على ما يسجله الأوروبيون. وهي تنجز تجارب البحث والتطوير في وقت أقصر.

□ على صانعي السيارات تعزيز قواهم العاملة عبر جهد منتظم في مجالي التوظيف والتدريب لرفع مستويات المهارة، مما يتيح منح العمال مزيداً من المسؤوليات ويحسن لديهم حوافز العمل. وعلى العمال والمديرين أن يدركوا أن لهم مصلحة مشتركة في انقاذ هذه الصناعة.

دأب صانعو السيارات الاوروبيون طويلا على الكفاح للتمسك بطرق الانتاج القديمة وبالامتيازات التي تضمن لهم حماية حكومية من المنافسة. ولكن اذا عدّلوا موقفهم وواجهوا التحدي الياباني مباشرة، فقد تكون هذه الأزمة فاتحة خير لصناعة السيارات في اوروبا. وتكون الحصيلة سيارات أفضل وأسعاراً أدنى وخيارات أوفر، مما يجعل المستهلكين الاوروبيين المنتصرين الحقيقيين في "حرب السيارات" الدائرة.

جوزف هاريس ■

شركة رابحة

كانت الزوجة دائمة الشكوى لان زوجها يلازم المنزل صامتاً نائماً. وفي محاولة لارضائها، ذهب الزوج لاستشارة طبيب نفساني.

قال له الطبيب: "استلقِ على الاريكة ودعنا نتحدث. اذا خطر شيء ببالك، فذلك حسن، والا ففي الزيارة المقبلة."

تمدد الرجل على الاريكة وسرعان ما استغرق في النوم. وفي نهاية الساعة أيقظه الطبيب قائلا: "هذا يكفي اليوم. مئة دولار من فضلك."

دفع الرجل المبلغ وانصرف، ليعود كل ثلثاء وخميس. وكان كل مرة يستغرق في النوم من دون أن يفوه بكلمة، ثم يستيقظ ويدفع "الاتعاب."

في الاسبوع الثالث وصل الى عيادة الطبيب، وما كاد يجلس على الاريكة حتى انتفض واقفا.فهتف الطبيب: "اخيراً! هل خطر ببالك شيء تقوله؟"

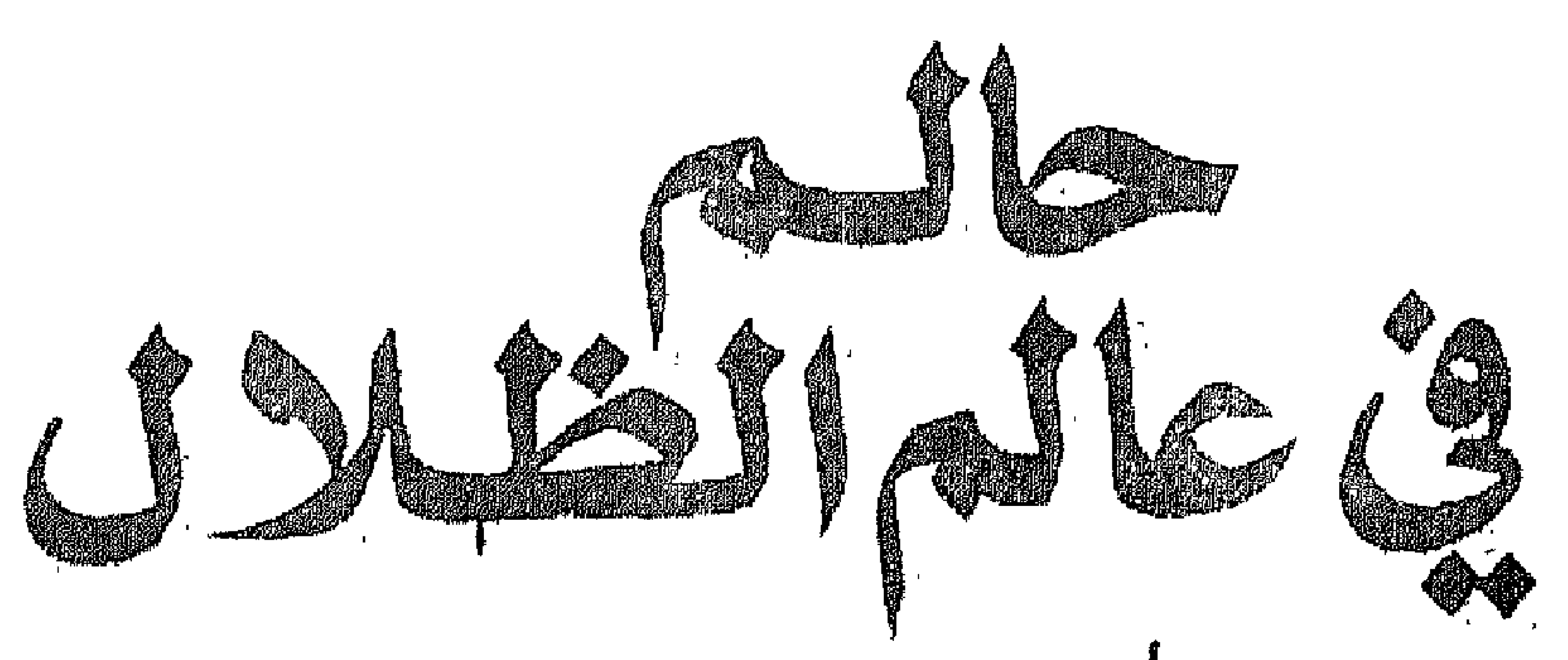
فرد الرجل: "بالتاكيد، هل تحتاج الى شريك؟"

د.ت.

يد حمراء

مرت فترة كانت كل نبتة المسها تذوي بعد حين. وفي يوم عيد ميلادي أهدت الي ابنتي نبتة لبلاب ضخمة تدلت أوراقها خضراء يانعة من جوانب الاناء الذي غرست فيه. وعندما رفعت الاناء ليرى الجميع النبتة، قال زوجي متمتما: "ستحتاجين الى وقت طويل لتميتي هذه يا عزيزتي."

ف.ل.



حين أُوصدت أبواب الحظ في وجهي تعلمت كيف يكون الصمود

كثيراً ما يطلعني شبان على رغبتهم في أن يصبحوا كتّاباً، فأشجعهم دائماً وأقرن تشجيعي بشرح الفارق الشاسع بين الكتابة و"أن يكون المرء كاتباً."

معظم هؤلاء الشبان يحلمون بالثروة والشهرة لا بالساعات الطويلة أمام الآلة الكاتبة. فأقول لهم: "عليكم أن ترغبوا في الكتابة لا في أن تصبحوا كتّاباً."

الكتابة في الواقع عمل خاص موحش شحيح المردود. ففي مقابل كل كاتب ابتسمت له الثروة ألوف ذهبت أعمالهم سدى. حتى أولئك الذين حالفهم الحظ أخيراً، غالبا ما استبد بهم الفقر وطواهم الاهمال والنسيان مدة طويلة. تماماً كما حصل لي.

عندما تركت عملي في خفر السواحل بعد عشرين سنة من الخدمة لاصبح كاتبا حراً، كنت أعقد آمالا على النجاح ولم تكن لي تطلعات الى الربح المادي. كل ما كان لدي صديقٌ مقيم في نيويورك يدعى جورج سيمز، وكنا ترعرعنا معا في بلدة هيننغ بولاية تنيسي. عثر لي جورج على مكان أقيم فيه هو قبو في المبنى حيث كانٍ يعمل ناطوراً. لم أكترث للبرد الذي قضّ مضجعي ولا لعدم توافر حمام في الغرفة، بل سارعت الى شراء آلة كاتبة مستعملة فشعرت اذذاك بأني كاتب حقيقي.

مرت سنة والحظ لم يقرع بابي. فراح الشك يتأكلني. لم يتيسّر لي بيع قصة من تأليفي، فكنت أجني قوتي بشق النفس. لكني كنت راغبا في الكتابة، أحلم بها منذ سنوات طويلة، وقررت ألا أكون واحداً من أولئك الذين يموتون وهم يتساءلون: "ترى كيف كانت حياتي لو فعلت كذا؟" بل سأختبر حلمي دوماً وإن اقتضى ذلك العيش في الشك والخوف من الفشل. فهذا هو عالم ظلال الأمل، وعلى كل

PHOTO: ERNEST COPPOLINO

امرىء حالم أن يتعلم العيش فيه.

ذات يوم تلقيت مكالمة غيرت مسار حياتي. والشخص الذي اتصل بي لم يكن مندوبا ولا ناشراً يعرض علي عقداً رائعا، بل على العكس تماماً، كان الاتصال بمثابة منبه يغويني لكي أتخلى عن حلمي. فقد اتصل بي صديق من خفر السواحل انتقل الى العمل في سان فرنسيسكو، وكان أقرضني بضعة دولارات في ما مضى، فسألني مازحاً: "متى ستعيد الي الخمسة عشر دولاراً يا أليكس؟"

فأجبته: "عندما أوفق ببيعة."

فقال: "لدي فكرة أفضل، فنحن في حاجة الى موظف هنا، وسندفع له ستة آلاف دولار في السنة. الوظيفة لك إن أردتها."

ستة آلاف دولار عام ١٩٦٠! كان ذلك راتبا جيداً يؤمن لي شقة سكنية جميلة وسيارة مستعملة ويسدد ديوني. وقد أستطيع ادخار مبلغ صغير، فضلا عن أني سأتابع الكتابة الى جانب الوظيفة.

وفيما الدولارات تتراقص في مخيلتي لمعت فكرة في رأسي أعادت الي صوابي. وسرعان ما بزغ من أعماقي قرار عنيد لا يلين. فحلمي هو أن أكون كاتبا متفرغا، وهذا ما سأحققه.

وإذا بي أقول لصديقي: "لا، شكراً، سأثابر على الكتابة."

أعدت سماعة الهاتف الى مكانها ورحت أجوب الغرفة ذهابا وايابا شاعرا بأنني فقدت رشدي. ثم توجهت الى الخزانة المسمرة في الحائط وأخرجت منها محتوياتها: علبتي سردين. وغاصت يداي في جيوبي فأخرجت منها ١٨ سنتا. أخذت "ممتلكاتي" ووضعتها داخل كيس من ورق قائلا في نفسي: "هذا كل ما جنيته حتى الآن يا أليكس."

ولا أظنني شعرت بمثل هذا الاحباط من قبل.

كنت أود أن أخبركم بأن الامور أخذت في التحسن فوراً، لكنها لم تتحسن. والحمد لله على أن جورج سيمز كان هنا ليساعدني خلال هذه المحنة.

تعرفت من خلال جورج الى فنانين مكافحين أمثال جو ديلاني، وهو رسام بارع من نوكسفيل غالباً ما كان يفتقر الى ثمن طعامه، فكان يعيش على فتات اللحم والعظام من جاره الجزار وعلى الخضر الذابلة التي يهبه اياها البقال. وكان في البلدة أيضا مغن شاب وسيم المحيا يدعى هاري بيلافونت يدير مطعما

PHOTO: © DAVID LUTTRELL

متعثراً. وكان عندما يدخل زبون مطعمه ويطلب شريحة لحم، يسارع هاري الى شرائها من المخزن القريب.[١]

إن أشخاصاً أمثال ديلاني وبيلافونت باتوا قدوة لي. وأدركت أن على المرء أن يضحي ويعيش بابداع لكي يحقق حلمه. هذا هو قوام الحياة في عالم الظلال.

ولما استوعبت هذا الدرس بدأت أبيع مقالاتي تدريجاً. كنت أكتب عن مواضيع يتجادل فيها كثيرون: الحقوق المدنية، والزنوج الامريكيون، وأفريقيا. وسرعان ما عادت بي الذاكرة الى طفولتي كما تطير العصافير صوب الجنوب. وفي سكون غرفتي تناهت الي أصوات جدتي وابنة عمي جورجيا والعمة بلوس والعمة ليز والعمة تيل وهن يروين قصصاً حول عائلتنا والعبودية.

تلك كانت قصصاً حاول الزنوج الامريكيون تجنبها من قبل، لذا أبقيتها لنفسي طويلاً. ولكن ذات يوم، فيما كنت أتناول طعام الغداء مع محررين في مجلة "ريدرز دايجست"، رويت لهم بعضاً من قصص جدتي وأقاربي وأسررت اليهم بأنني أحلم في تقصي سيرة عائلتي منذ أسر أول سلف لي وانزاله مكبلا بالسلاسل على الشاطىء الامريكي. وانتهى الغداء وغادرت المكان حاملا عقداً ساعدني في أبحاثي وكتاباتي طوال تسع سنوات.

وبدأتُ رحلة طويلة بطيئة انتشلتني من الظلال. ونشر كتابي "جذور"[٢] عام ١٩٧٦ بعد ١٧ سنة على تركي وظيفتي في خفر السواحل. وعرفت شهرة ونجاحاً لم يختبرهما سوى قلة من الكتّاب. وتحولت الظلال أضواء باهرة.

وللمرة الاولى في حياتي امتلأت جيوبي مالا وشرّعت الأبواب في وجهي.

وذات يوم فيما كنت أرتب أمتعتي عثرت على علبة تحوي أشياء امتلكتها قبل سنوات. ووجدت داخلها كيسا من ورق.

فتحت الكيس فعثرت على علبتي سردين صدئتين وقطع نقدية. فاجتاح الماضي مخيلتي ورأيتني منحنياً فوق آلتي الكاتبة في شقتي الجرداء الباردة. وقلت في نفسي: "هذه الاشياء جزء من جذوري أيضاً، ولا يجوز أن أنسى ذلك."

فأرسلتها الى محترَف لوضعها ضمن اطار بلاستيكي أبقيه على مرأى من ناظري. وها هي الآن على طاولة مكتبي في نوكسفيل بولاية تنيسي، الى جانب جائزة "بوليتزر" الادبية وصورة لتسع جوائز "ايمي" نالها المسلسل التلفزيوني "جذور" وميدالية "سبينغارن" التي منحتنيها "الجمعية الوطنية لتقدم الشعوب الملوّنة." ويصعب علي أن أحدد أيا من هذه الجوائز يحمل معنى أبلغ بالنسبة الي. لكن واحدة فقط تذكرني بالشجاعة والمثابرة الضروريتين للصمود في عالم الظلال.

إنها أمثولة الزامية لكل حالم.

اليكس هايلي ■

(١) اصبح بيلافونت مغنيا شهيرا.
(٢) Roots



ابتعدوا عن الدهن تسلموا من البدانة والسرطان

الدهن هو المشكلة، فاليكم بعض الوسائل الناجعة لتفاديه

"لا تأخذوا من الدهن أكثر من ٣٠ في المئة من سعراتكم الحرارية." هذا هو الشعار الذي يرفعه حالياً الخبراء بالصحة آملين وقايتنا من مرض القلب والبدانة والسرطان. وقد يكون هذا الشعار مفهوماً لديهم لكنه يثير لدينا نحن الآخرين ارتباكاً.

اذا استبدت بك رغبة في معرفة نسبة السعرات الحرارية (كالوري) المستمدَّة من الدهن في عشائك، فستحتاجين الى آلة حاسبة وميزان وكتيّب عن مقومات أنواع الطعام ودفتر للحساب ووقت كثير. ويتعين عليك، أولا، أن تقدري عدد السعرات وغرامات الدهن في الحصة الواحدة، ثم تضربي عدد غرامات الدهن في تسعة (عدد السعرات في كل غرام) وتقسمي الحاصل على عدد السعرات التي تحويها الحصة الواحدة وتضربي النتيجة في مئة.

ويمكنك، في المقابل، أن تطوي صفحة الارقام وجدولي الضرب والقسمة وتكتفي باتباع الارشادات السبعة الآتية. فاذا

أوليت معظمها وقتك استطعت ابقاء نسبة سعراتك الحرارية الدهنية دون الـ٣٠ في المئة.

١. قلّلي من اللحم واشتري منه الهبر فقط.

في امكانك تخفيف غذائك بتناول حصص أصغر من اللحوم. ان حصة معقولة من الدجاج هي عادة نصف صدر (القطعة التي تعتقد غالبيتنا أنها صدر كامل) أو فخذ واحدة.

اذا اشتريت شريحة مكتنزة من اللحم، قطعيها حصصاً الواحدة بحجم راحة اليد. ان الوجبة التي تتألف من ٢٨٠ غراماً من اللحم مع رز وبازيلاء وسلطة خالية من التوابل، تحتوي على ٨٠٠ سعرة حرارية منها ٣٤ في المئة دهناً. فاذا خفضت حصة اللحم الى ٨٥ غراماً مقلية مع بازيلاء خضراء، تكونين قد أزلت ٤٢٤ سعرة، وتتدنى نسبة الدهن الى ٢٣ في المئة.

احرصي على الا تتعدى كمية اللحم في غذائك اليومي مقدار ١٧٠ غراماً.

اختاري الشرائح القليلة الدهن، وهي متوافرة في لحم البقر والعجل والحمل، كذلك لحم الطيور الداجنة اذ يصير قليل الدهن حين يجرد من الجلد.

أخيراً، اقشدي الدهن عن الطعام حيثما وجدته. فبمجرد ازالة الجلد عن صدر دجاج تنخفض السعرات الحرارية الدهنية من ٣٦ الى ١٩ في المئة. وقبل تحضير صلصة مرق اللحم من المتقطر منه، اقشدي عنه الشحم. وحين تضعين الحساء أو المرق في الثلاجة انتظري حتى يكتنز الدهن على صفحته ثم اقشديه.

٢. أضيفي مزيداً من الحبوب والخضر والفاكهة الى وجباتك.

لا داعي الى تطبيق قاعدة الـ٣٠ في المئة على كل لقمة. فشريحة لحم البقر تحتوي على ٤٤ في المئة من السعرات الحرارية الدهنية. ولكن يمكنك خفض النسبة الاجمالية في وجبة طعام قوامها اللحم باضافة أطعمة مثل البطاطا المشوية والقنبيط والجزر والملفوف والحمّص والسلطة والفليفلة. أما اذا أغرقت السلطة بالتوابل، والبطاطا بالقشدة، والقنبيط بالزبدة المذابة، فقد ترتفع نسبة السعرات الحرارية الدهنية الى ٤٠ في المئة. ويمكن ان تتدنى النسبة من دون هذه الاضافات الى أقل من ٢٠ في المئة.

٣. انتقي أجباناً وألباناً خفيضة الدسم.

اشربي الحليب واللبن المقشودين أو القليلي الدسم. فالحليب الذي يحتوي على اثنين في المئة دَسَماً، تكون ٣٥ في



المئة من سعراته الحرارية دهناً، بينما ترتفع هذه النسبة في الحليب الكامل الدسم الى نحو ٥٠ في المئة. أما اذا حوى فطورك حليباً فيه واحد في المئة من الدسم، فان نسبة الوحدات الحرارية الدهنية تنخفض من ٣٠ الى ١١ في المئة، الامر الذي يتيح لك تناول شطيرة همبرغر وقت الغداء.

لا تفرطي في تناول الاجبان، فهي تحوي غالباً نسباً من الدهن أكثر مما في اللحوم. حتى الاصناف المصنوعة من حليب مقشود مثل الـ"موتساريـلا" والـ"ريكوتا" تصنف غنية بالدهن.

٤. دققي في نسبة الدهن في الاطعمة الجاهزة.

لا تركُني الى المواصفات المدوّنة على ملصقات الاطعمة الجاهزة مثل "خال من الكولسترول" وغيرها. فذلك لا يعني دائما أن الطعام يحتوي على نسبة قليلة من الدهن.

كذلك، لا تعني عبارة "دهن قليل" على ملصقات اللحوم المعلّبة شيئا سوى أن الصنف يحتوي على نسبة ٢٥ في المئة من الدهن أقل مما يحويه عادة، فقد تحتوي شطيرة نقانق "قليلة الدهن" على ٦٠ في المئة من السعرات الحرارية دهناً، بالمقارنة مع النقانق العادية التي تحوي ٨٠ في المئة سعرات دهنية.

دققي في عدد غرامات الدهن في الوجبات الجاهزة المجلدة ذات الاسماء الموحية أنها خالية من الدهن أو قليلة الدهن، لأن بعضها ليس كذلك.

ولكي تحددي عدد غرامات الدهن الذي يجوز لك استهلاكه يومياً، احسبي عدد السعرات الحرارية التي تستهلكينها يوميا على وجه التقريب، وأسقطي منها الصفر الاخير، ثم اقسمي الحاصل على ثلاثة. يتعين، مثلاً، على المرأة العادية التي تستهلك ١٦٠٠ سعرة حرارية في اليوم، تحديد ما تتناوله من الدهن بما بين ٥٠ و٥٥ غراماً (١٦٠ مقسومة على ٣). وعلى الرجل الكثير الجلوس الذي يجب ألا يستهلك أكثر من ٢٠٠٠ وحدة حرارية في اليوم، التزام حدود ٦٧ غراماً من الدهن. لا تنسي التدقيق واعادة التدقيق في مقدار غرامات الدهن المذكورة على ملصقات الاطعمة.

اذا رغبت في تناول غداء خفيف من الحساء والسلطة، اجتنبي حساء دسماً من الدجاج مع الفطر (فيه ٢٤ غراما من الدهن) والسلطة المتبّلة بالزبدة والمايونيز (تحتوي على ٢١ غراما من الدهن). ثمة خيار أفضل يشتمل على حساء البندورة (٣ غرامات من الدهن) وسلطة بالخل وسعة ملعقة صغيرة من زيت الزيتون (تحتوي على ٤،٥ غرامات

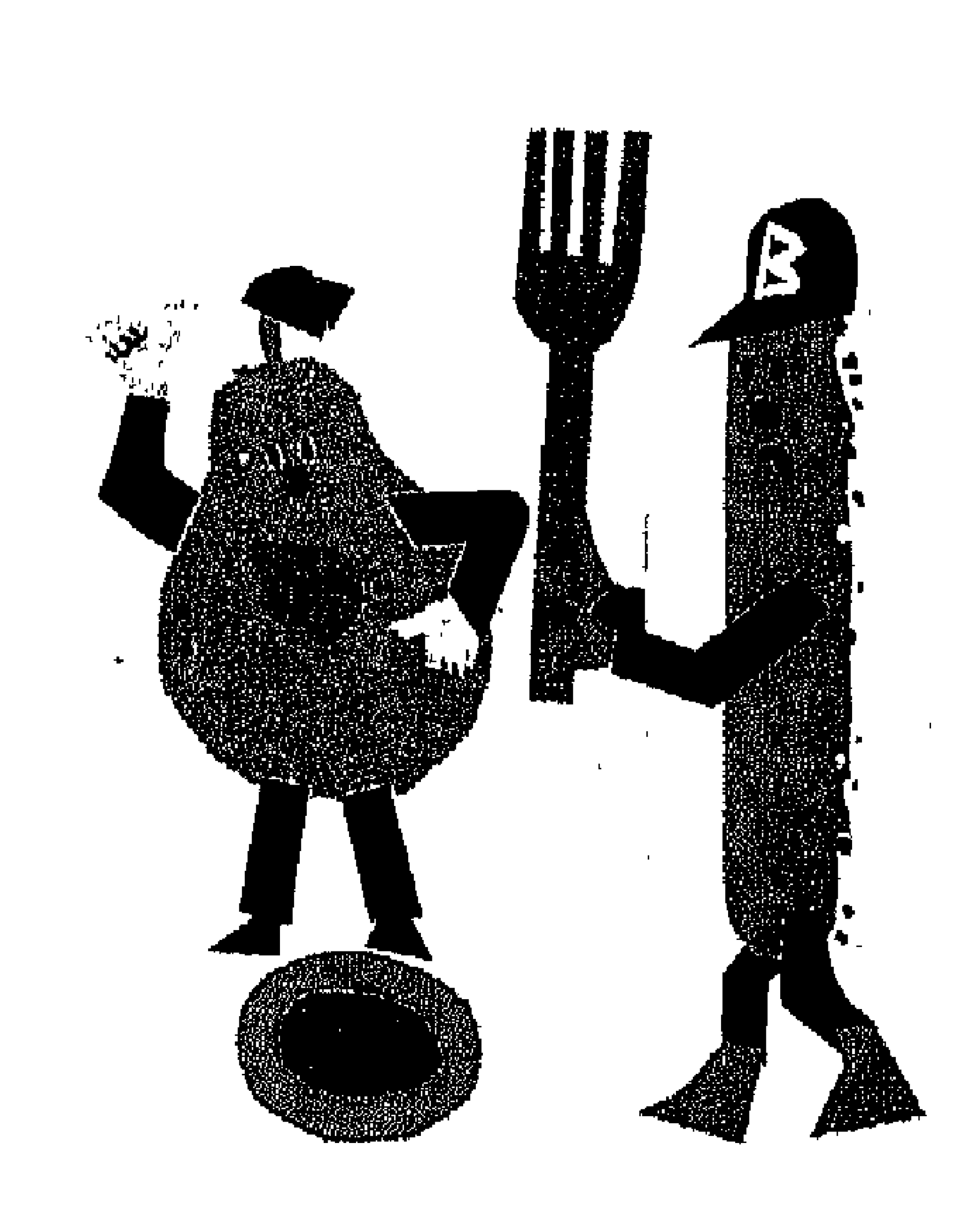
من الدهن) أو توابل خالية من الدهن معبأة في زجاجات.

٥. احرصي على أن تكون وجباتك المفضلة خفيفة.

يتناول معظم الناس وجباتهم المفضّلة اياها أسبوعاً بعد أسبوع. اذا كنت تفضلين اللحم الاحمر، ففي وسعك اضافة وجبة سمك أو وجبة نباتية (مثل حساء الفاصوليا أو طبق معكرونة) الى برنامجك الاسبوعي.

استخدمي بدائل قليلة الدهن في وجباتك المطهوة، مثل الحليب المركز الخالي من الدسم بدل القشدة الغنية، واللبن الخالي من الدهن بدل القشدة الرائبة. ويمكن خفض كمية الزيت المستخدمة في كثير من الاطعمة بمقدار النصف أو أكثر.

وأخيراً، تجنبي القلي. اشوي، حمّصي، اغلي، اسلقي، استخدمي فرن



الميكروويف.[١] وبدلا من تطرية اللحم بالزبدة أو السمن أو الدهن، استخدمي مرقاً خاليا من الدهن أو عصير فواكه.

٦. دققي في أنواع الطعام المقدم خارج المنزل.

يكون الطبق الرئيسي في وجبات معظم المطاعم الحصة الاكبر حجما والاغنى دهنا. فاقتسميه مع صديقتك أو أطلبي نصف حصة أو استعيضي عنه بمقبِّلات وحساء وسلطة.

نقبي في قائمة الطعام عن كلمات "مشوي" و"محمَّص" و"مسلوق." ولا تترددي في طلب الطعام مطهواً بقليل من الشحم أو من دون شحم. دعي جانبا الأطعمة المحضَّرة بالزبدة والقشدة وصفار البيض والخبز والجبن المبروش (غراتان) أكانت مقلية أم لا. فالقريدس المقلي مع شرائح الخبز المشبعة بالزبدة، مثلا، يحتوي على ٤٦ في المئة من السعرات الحرارية دهنا، بينما لا يحتوي القريدس المشوي على سوى عشرة في المئة.

يجب أن تكون الاطباق الجانبية خالية من الدهن ما أمكن. ومن أجل تفادي الخضر المغمَّسة بالزيت، اطلبي توابل السلطة على حدة. واذا وضعت أمامك سلة خبز شهيٍ، فتجاهلي الزبدة المقدمة معها.

في مطاعم الوجبات السريعة، انتقي أطعمة بسيطة. ان شطيرة همبرغر مع

(١) Microwave اي فرن الموجة الصغرى.

علبة بطاطا من الحجم العادي تحتويان على نسبة ٤٠ في المئة من السعرات الحرارية الدهنية. وترتفع هذه النسبة الى ٥٠ في المئة في الشطيرة الكبيرة. اطلبي مكمّلات من الخس والبندورة (الطماطم) بدل الجبن والخردل، والكاتشاب بدلا من المايونيز.

٧. لا تقلقي اذا انغمست أحياناً في مآكل غنية وشهية.

قد تكون المناسبة عشاء تقليديا يلم شمل العائلة مرة كل سنة ويشمل ديكاً رومياً مع صلصة من مرق اللحم وبطاطا مهروسة مع الزبدة وحلوى بالقشدة، وفيها ٤٠ في المئة من السعرات الحرارية دهناً. وقد تكون المناسبة غداء تقيمه الشركة التي تعملين فيها ويتضمن لحما مشويا (باربكيو) وبطاطا وسلطة وجيلاتي (آيس كريم)، وفيها أكثر من ٦٥ في المئة من السعرات الحرارية دهناً.

ما دمت لا تحتفلين بالمناسبات يوميا فلا ضرر من هذه المآكل الشهية. صحيح أن الخبراء ينصحون باستهلاك أقل من عشرة في المئة من السعرات الحرارية من الدهن المشبع[٢] المتوافر بكثرة في الآيس كريم ولحم الضلوع، ولكن اذا حافظت على مجموع الوحدات الحرارية الدهنية دون مستوى الـ٣٠ في المئة، فستكونين أقرب الى مستوى العشرة في المئة المحددة للدهن المشبع أيضاً.

باتريشا لونغ ■

(٢) Saturated Fat

زوجة ضائعة

حجز زوجي على الهاتف غرفة مزدوجة تطل على مناظر طبيعية، لكننا فوجئنا لدى وصولنا الى الفندق بغرفة مفردة لا تطل على شيء. فابلغ زوجي الامر الى مكتب الاستقبال، ثم غادر الفندق لحضور مؤتمر.

خلال غيابه نُقلتُ الى غرفة جديدة. ولدى عودته قيل له ان جهاز الكمبيوتر قد تعطل وعليه الانتظار لمعرفة رقم الغرفة التي نقلت اليها. لكنه تذكر كلاماً سمعه مصادفة، فركب المصعد الى الطبقة السابعة عشرة وقرع باب الغرفة ١٧١١ من دون تردد.

فتحت الباب لاجده واقفاً يبتسم. قال: "الكمبيوتر معطل ولا أحد يعرف أين انت."

سألته: "وكيف عثرت علي اذا؟"

اجاب: "سمعت حمالا يخبر زميله ساخراً انه نقل امتعة امراة من غرفة الى أخرى وأن زوجها لن يعثر عليها أبداً في الغرفة ١٧١١."

د.ل.

عندما تحصل على شيء من دون مقابل، فاغلب الظن انك لم تتلقَّ الفاتورة بعد.

ف.ج.



"ليت الشباب..."

■ اقام ابني حفلة لاصدقائه، وكنت ترددت كثيراً قبل السماح له بدعوة مراهقين الى منزلنا. لكني دهشت لحسن تصرفهم ولياقتهم وإطرائهم نشاطي ومظهر شبابي (عمري ٣٤ عاماً).
وبعد انتهاء الحفلة اعربت لابني عن سروري بأصدقائه وحسن سلوكهم واطرائهم اياي. فتبسم وسألني ان كنت شعرت بانني عدت مراهقة.
فاجبته: "نعم، ويا لهذا الشعور الرائع!"
فقال: "اني سعيد جداً بذلك. بالمناسبة، لقد اخبرت الجميع انك في الرابعة والخمسين من عمرك."

ك.ت.

الارادة الجبارة

■ حين عملت مديراً لأحد المتاجر طلبت موظفاً يقوم بالاعمال الشاقة. فتقدم للوظيفة شاب ضعيف البنية لم اقبله، وشرحت له السبب، فقال لي: "إنني في حاجة ماسة الى هذا العمل. وانا واثق بانني ساعوض، بارادتي القوية، ما ينقصني من قوة بدنية."
فوظّفته. ولم اندم على ذلك ابداً، لأنه بعد بضعة اشهر اصبح احد افضل الباعة في المؤسسة.

هـ.م.

عادات الامهات

■ بعد رحلة طويلة مضنية لزيارة والدتها، اوت صديقتي الى فراشها باكراً. وراحت تقرأ حتى ساعة متقدمة من الليل.
واذا بوالدتها تقرع الباب قائلة: "حان لك التوقف عن القراءة، فنحن في منتصف الليل."
فردت صديقتي على والدتها البالغة من العمر ٩٧ عاماً: "يا امي العزيزة، لي من العمر ٦٢ عاماً، وقد بتّ راشدة ويجوز لي السهر الى ما اشاء!"

ر.م.

كهرباء تحت الطلب

■ ذات يوم بعيد انتقالنا الى بلدة صغيرة طرق بابنا عامل من شركة الكهرباء لابلاغنا أن التيار سيقطع لفترة ساعة. فهتفت: "اوه، لقد وضعت اربعة ارغفة في الفرن قبل لحظات!"
فسألني العامل كم يستغرق خبزها. ثم قال: "حسناً، ساجري بعض الاصلاحات في الناحية الأخرى من البلدة، ثم اعود."
لكن التيار لم ينقطع في ذلك اليوم ولا في اليوم التالي. وبعد بضعة ايام جاءني العامل ذاته سائلاً: "هل تخبزين اليوم يا سيدتي؟"

ل.ت.

ماريو بوتا



خيمة الاحتفالات بالذكرى المئوية السابعة لقيام سويسرا.

لمعماري الجريء

تصاميمه ابداعية صارخة
ومبانيه كأنها من بنات الاساطير



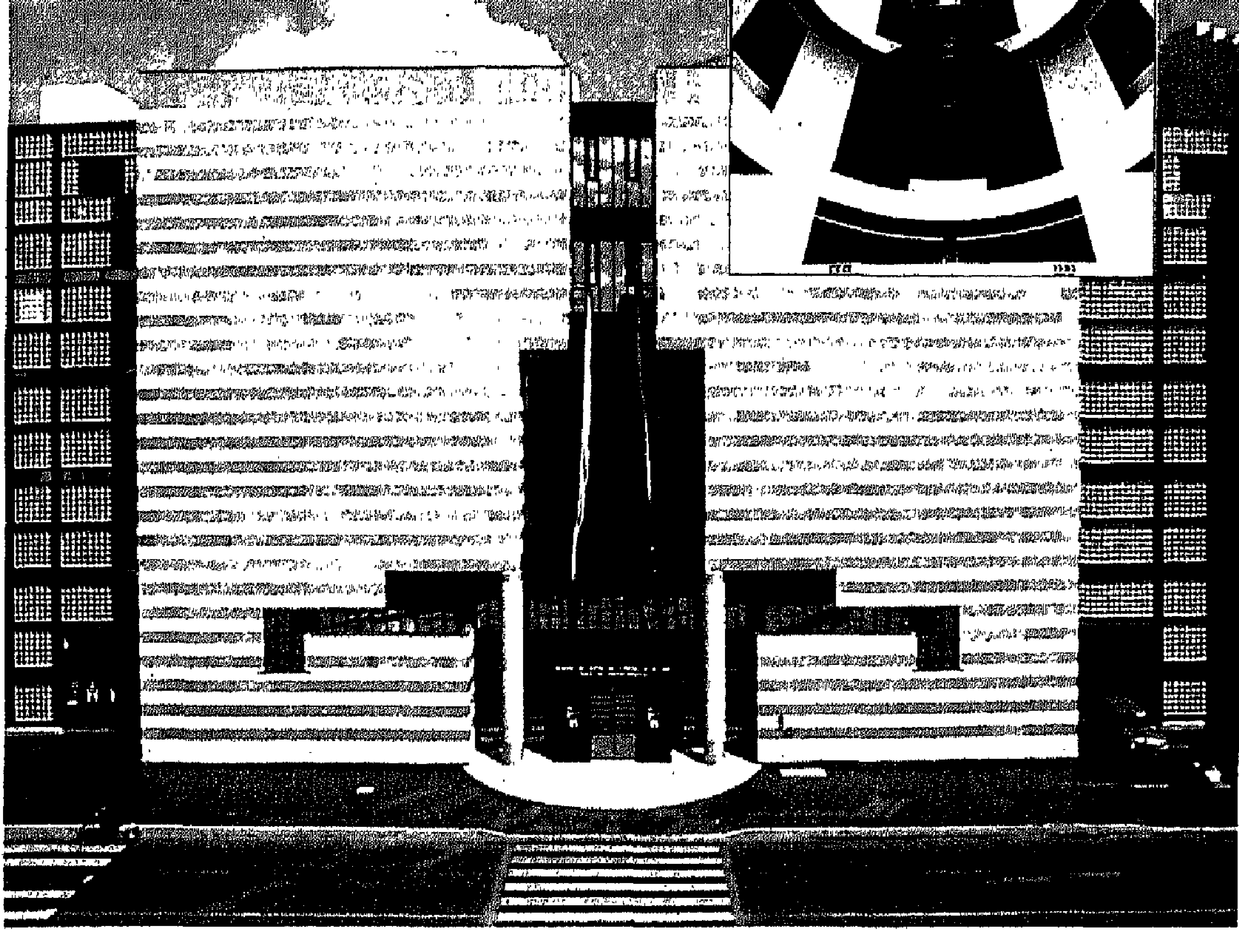
تتميز احتفالات هذه السنة بالذكرى المئوية السابعة لتأسيس سويسرا بمركز رمزي هو خيمة فضية اللون فريدة الشكل صممها ماريو بوتا، تجول على سبع مدن سويسرية لاستضافة الوقائع الاحتفالية. ويبدو هذا الهيكل الذي يبلغ ارتفاعه ١٨ متراً وعرضه ٤٤ متراً بزواياه الثلاث عشرة مثل تاج عملاق أو قصر من قصور الاساطير. ويقول فيه ماركو سولاري عضو المجلس الاتحادي المسؤول عن الاحتفالات: "انه نتاج عبقري."

ولدت فكرة الخيمة بعد ظهر يوم من سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩ اذ التقى سولاري مصادفة صديقه بوتا على شاطىء بحيرة جنيف، وسأله أمراً "يبدو مشكلة مستعصية. فالمجلس لا يريد اقامة احتفالات ضخمة مكلفة، بل سلسلة من العروض التاريخية والثقافية القيِّمة في مناطق مختلفة، وهو لا يملك المال لاقامة مبان جديدة." ومع ذلك كان سولاري

PHOTOS: (SPREAD) KEYCOLOR; (INSET) KEYSTONE PINO MUSI



الـ"ميدياتيك" (بيت الإعلام) في فيلوربان بفرنسا مثل صارخ على تلاعب ماريو بوتا بالاشكال الهندسية.



يرى أن المناسبة تستدعي موقع احتفالات مميزاً.

وعده بوتا بأن ينظر في الامر. وبعد ثلاثة أيام سلمه التصاميم الاولية لخيمة الاحتفالات.

يقول بوتا: "كان تصميم الخيمة سهلا، فقد أردت استحداث مكان يستطيع الناس الالتقاء فيه للاحتفال بماضيهم السعيد." ويضيف بابتسامة ماكرة: "أردت أيضاً أن أذهلهم قليلا بجعل الخيمة كأنها سقطت من القمر."

وتتميز خيمة بوتا عن غيرها من الخيم العادية بأنها هيكل ثابت. وبدل أن يستخدم الصواري التي تقوم عليها خيمة السيرك عادة، استعان بـ١٢ دعامة من أنابيب الفولاذ ثبتت في الارض وارتفعت لتحتضن سقفاً تاجي الشكل تمسك بجنباته حبال مزركشة. ويلاحظ بوتا متأملا: "ولكن عندما نصبت الخيمة في فناء "كاستيل غراندي"، القلعة القديمة الهائلة في بلينزونا، بدت موقتة بالفعل، ودفعت الزوار الى القاء نظرة جديدة على

قلعتهم الصامدة التي بنيت لتخلد." وهو راض، لان تحفته الجديدة تجعل الناس أيضاً يعيدون تقويم مبان قائمة حاليا في برن ولوزان وبرونين وسيلزماريا وجنيف وبال وهي المدن السويسرية الاخرى حيث سترتفع الخيمة.

والواقع أن التصاميم المذهلة الخارجة على المألوف جعلت من بوتا أشهر مهندس عمارة في سويسرا. وهو اختير عضوا فخريا في "المعهد الامريكي للمهندسين المعماريين" وصنوه في ألمانيا. وفي ١٩٨٦ أقام متحف نيويورك للفن الحديث عرضا لصور فوتوغرافية ورسوم وخرائط للمباني التي شادها بوتا. ولحظ الكتيب الذي أعد للمعرض أن "أعمال ماريو بوتا أدت دورا أساسيا في اعادة الحياة الى فن العمارة الحديث،" مشيدا بمبانيه الجميلة وأشكالها الهندسية الرائعة.

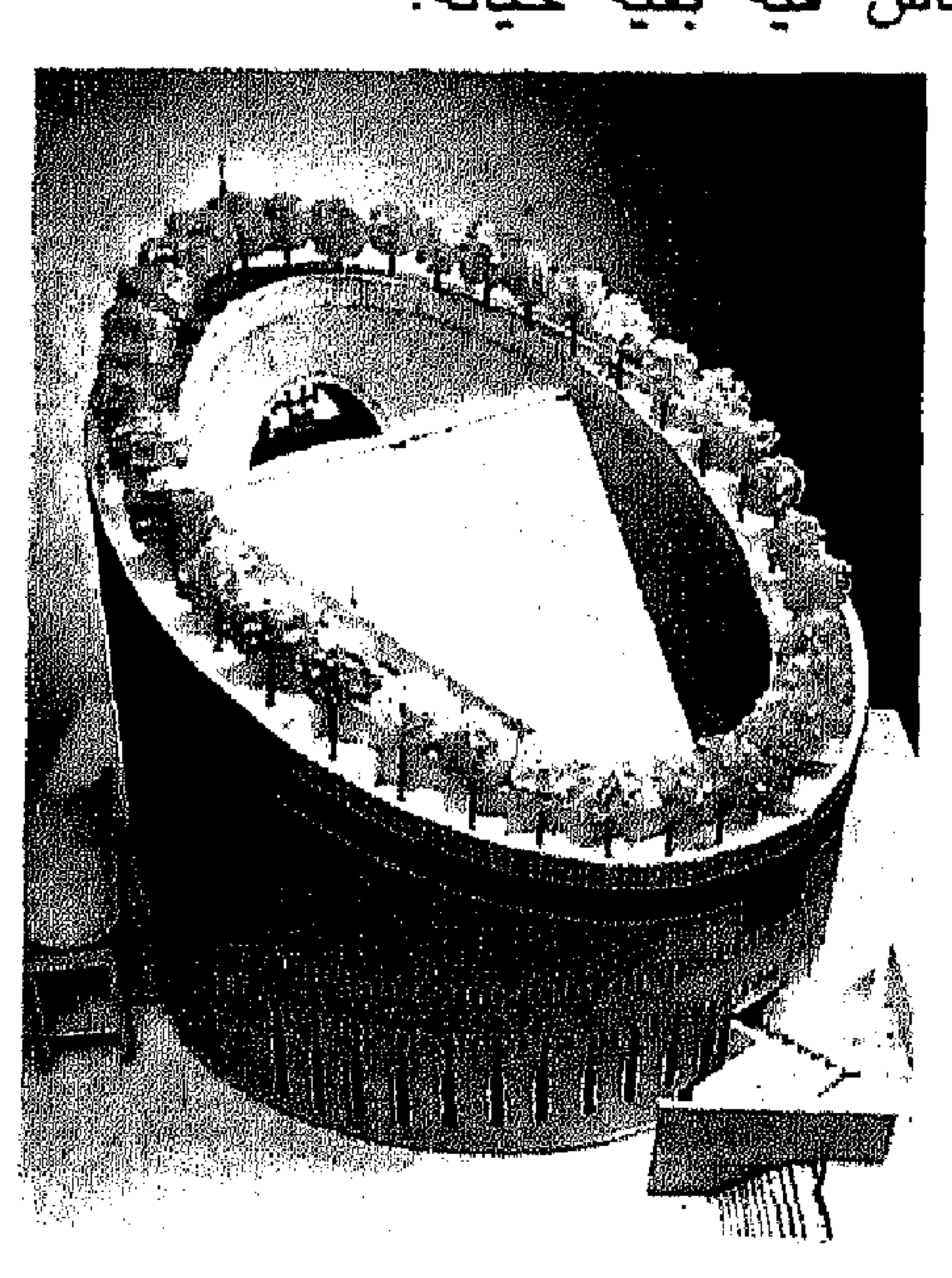
"يا لقوّتي!" ولد بوتا في أول ابريل (نيسان) ١٩٤٣ في مندريسيو بمنطقة تيتشينو، وأمضى طفولته في قرية جنستريريو. ترك والده المنزل وهو في السابعة من عمره، ويقول بوتا عن والدته: "كانت امرأة شجاعة ذات ايمان راسخ. علمتني قيمة العمل لمصلحة الجماعة، وجعلتني أدرك أن العلاقة الوثيقة بالطبيعة هي سر الرضى."

كان ماريو يصمم بيوتا في وقت كان رفاقه يلعبون كرة القدم. وترك المدرسة وهو في السادسة عشرة ليتعلم الصنعة في مكتب تيتا كارلوني ولويجي كامينيش للهندسة في لوغانو. وبعد بضعة أشهر أحس أنه بات يملك الخبرة الكافية لبناء منزل. وأتاح له هذه الفرصة قريبُهُ غيدو كريفيلي الذي طلب منه تصميم منزل له في قرية جبلية في موربيو سوبريوري على مسافة ٢٠ كيلومترا جنوبا من لوغانو. وقال له هذا: "انت لا تزال ولدا، لكنني أرى أنك تعلمت مهنتك. ومع أن أصدقائي يعتقدون انني أرتكب خطأ كبيرا، فسأعهد اليك في بناء منزلي."

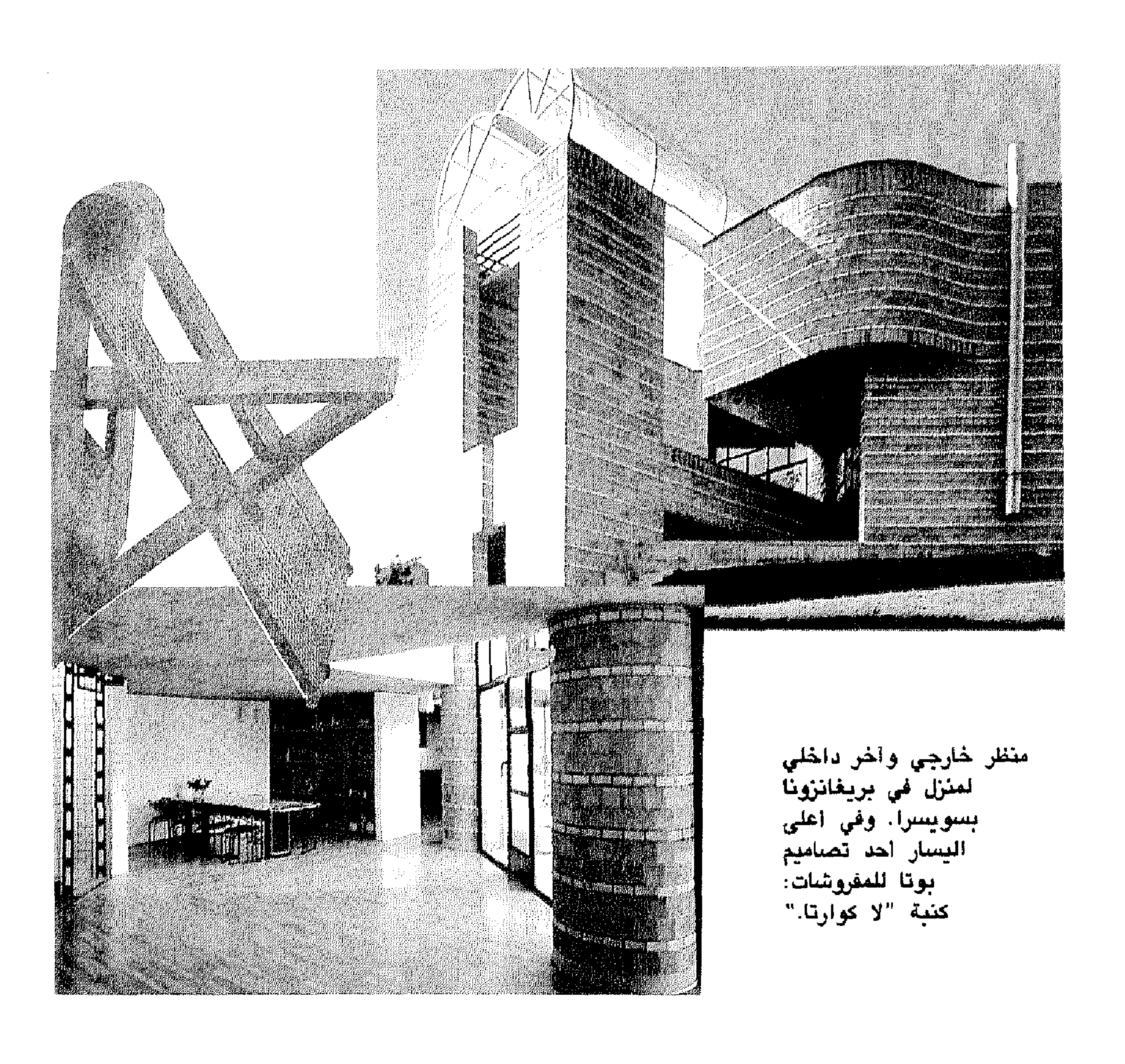
ولم يضع ماريو وقتا.

يقول بشيء من التعجب: "رأيت الجدران ترتفع حيث كانت الحشائش تغطي الارض قبل أيام. البيت الذي كنت أشيده أجبر العشب على التراجع. كنت مأخوذا. يا لقوتي!"

سر قريبه بالمنزل بعدما أنجز بناؤه، وعاش فيه بقية حياته.



نموذج صرح ايفري في فرنسا.



منظر خارجي وآخر داخلي لمنزل في بريغانزونا بسويسرا. وفي اعلى اليسار احد تصاميم بوتا للمفروشات: كنبة "لا كوارتا."

بعد ثلاث سنوات من العمل مع كارلوني انتقل ماريو عام ١٩٦٢ الى ميلانو للتحضير لشهادة البكالوريا التي تؤهله للالتحاق بكلية الهندسة المعمارية في جامعة البندقية. وفي البندقية وظفه اثنان من كبار المعماريين في العالم هما لو كوربوزييه ولوي كان، وكل منهما يتولى تنفيذ مشروع هناك. فصرف ماريو سنته الاولى في المدينة مع لو كوربوزييه في بناء مستشفى البندقية، ثم مع كان في بناء مقر المؤتمرات.

تزوج بوتا عام ١٩٦٨ ماريا ديلا كازا التي كان التقاها في قطار قبل ست سنوات. وبعد سنة تخرج في كلية الهندسة المعمارية وافتتح مكتباً في لوغانو. وراح يشترك في مباريات هندسية مدفوعاً بطموح متفجر الى الانطلاق في مشاريع البناء، لكن الجوائز كانت تذهب الى آخرين قدموا تصاميم معمارية ذات مواصفات تقليدية أكثر من تصاميمه. ويستعيد بوتا تلك الايام القاسية: "ان عزيمة ماريا مكنتني من الاستمرار."

PHOTOS: (HOUSE) PINO MUSI; (CHAIR) ALDO BALLO

شهرة مفاجئة. في العام ١٩٧٢، اتصل به صديقه كارلو بيانكي قائلا: "انا وزوجتي لا نملك مالا كثيرا، لكننا نرغب في امتلاك منزل. هل يمكنك تصميم بيت لنا يمنحنا وأولادنا الثلاثة خصوصية وقربى ويبقي التكاليف مخفوضة؟"

باشر بوتا العمل فوراً. وهو يتذكر: "حرصت جداً على مراعاة عاداتهم اليومية وأنا أضع التصاميم الاولية، وكان هدفي بناء منزل يكونون فيه سعداء." وبعدما أنجز بناء المنزل ظهرت صورة له في مجلة مرموقة تعنى بشؤون العمارة، وذاعت شهرة بوتا عالمياً بين ليلة وضحاها.

يقوم المبنى في قرية ريفا سان فيتالي على موقع منحدر يواجه بحيرة لوغانو. ويتألف من برج ذي اطار مكعب يرتكز على أعمدة من الاسمنت. مدخله في الطبقة العليا عبر جسر طويل فولاذي أحمر. وخلافاً للشكل الخارجي الضخم، يتألف الداخل من ممرات كثيرة ويوحي دفئاً وألفة. يقول بيانكي: "اننا نعيش في بيت ذي أربع طبقات تحوطها شرفات واسعة مفتوحة. لقد منحنا ماريو ما نرغب فيه تماماً."

أغرقت الشهرة الجديدة بوتا في طوفان من العقود لمشاريع كبيرة. ففي منتصف السبعينات صمم مكتبة تحت الارض في فناء دير في لوغانو يرقى الى القرن السابع عشر. ويوضح جيوفاني بوتزي: "لقد رغبنا في أن نضع في تصرف الجمهور كتبنا المئة ألف التي كانت مخزنة في الطبقة العليا. لكننا لم نشأ أن نخلَّ بتناسق الفن المعماري القديم. ان تصاميم بوتا الواسعة الخيال جعلت الامر ممكناً."

يواجه الزائر الذي يدخل ردهة مكتبة الدير عبر جناحه الغربي الموسَّع عالماً من الصفاء والسكون. ويطل من شرفة واسعة على قاعة للمطالعة من طبقتين مجهزة بمقاعد وطاولات سود. وتنعكس أشعة الشمس المتدفقة من منور واسع على الجدران البيض مانحة احساساً مؤثراً.

منازل حميمة. اشترك بوتا عام ١٩٨٢ في مباراة أعلنت عنها مدينة شامبري الفرنسية التي شيدت في القرون الوسطى، لبناء مركز ثقافي داخل ثكنة ضخمة رباعية الشكل بنيت في عهد نابوليون. وفاز بالجائزة الاولى لتصميمه الذي دمج مسرحاً يضم ٩٥٠ مقعداً وصالة سينما صغيرة ضمن الهيكل القائم. ويقول بوتا مبتسماً: "كانت عملية مزج عناصر متنافرة جدا لصنع وحدة متكاملة سببا اضافيا حفزني على قبول التحدي."

افتتح المسرح النصف الدائري عام ١٩٨٧. وهو بارتفاع ثلاث طبقات سكنية، ويترك لدى الناظر اليه من الخارج انطباعاً بأنه قلعة من القرون الوسطى اقتُلعت أجزاء من جدرانها بطريقة "غامضة" ليظهر خلفها صف من النوافذ المصنوعة من الفولاذ والزجاج. وتقول

دومينيك جامبون مديرة المركز: "ان مواطنينا فخورون جداً بهذا المبنى العام الحديث، وهو الاول والوحيد في المدينة."

في هذه الاثناء، استمر بوتا في تصميم المنازل، ومنها واحد أثار عاصفة من المعارضة. ففي ربيع ١٩٨٣ طلب الزوجان ليونيلو وصونيا جينيني من بوتا بناء منزل لهما في بريغانزونا خارج لوغانو. وهما ابتهجا بتصميم المنزل الذي يماثل شكل حرف اللام باللاتينية (L) والقائم على قاعدة مربعة، مثل قلعة مشرفة على منظر طبيعي ومفتوحة كصدفة. كذلك أُعجبا بوسطه الذي ضم شرفات وبالمنور الذي بدا على شكل أسطوانة مقسومة جزءين. كان التصميم مبتكراً ومدهشاً الى حد أنه ظهر على غلاف الكتيِّب المخصص لمعرض بوتا في متحف نيويورك للفن الحديث. لكن أحد الجيران رفض الموافقة على المشروع عند تقديم التصميم الى لجنة الاهالي للموافقة عليه، بحجة أن المنزل كبير الى حد غير مقبول ولا يتلاءم والمحيط. وتبنت السلطات المحلية هذا الرأي. في تلك الاثناء أعدَّ بوتا تصميما معدلا. وتلا ذلك معركة قانونية انتهت عام ١٩٨٨ بموافقة المحكمة السويسرية العليا على السماح للزوجين ببناء منزلهما وفق التصميم الجديد.

تقول صونيا جينيني: "لقد تحسنت نوعية حياتنا كثيراً منذ انتقلنا الى هنا. ان منزلنا الرائع يمنحنا رضى تاما. فباستثناء غرفتي نوم مستقلتين، ليس فيه سوى مساحات مفتوحة بكل الاشكال المختلفة التي يمكن تخيلها. وهو يطل على مناظر للجبال والبحيرة تحبس الانفاس. وتضيف السيدة جينيني: "ان بساطة البيت وتناسقه واتساعه تعكس كلها خصائص تفكير ماريو."

يقول بوتا: "يجب أن يكون هناك حوار مستمر بين المنزل وساكنيه." ويضيف ضاحكاً من الاعماق: "لهذا لا يمكنني أن أعيش في منزل من تصميمي، فالمرء لا يمكن أن يقيم حواراً مع نفسه."

ويعيش بوتا وزوجته في دير سابق في موربيو سوبريور مع أولادهما الثلاثة جوديتا (٢٠ عاماً) وتوبيا (١٦ عاما) وتوماسو (١٤ عاماً). وبيتهم المكون من عشرين غرفة مفروش ببساطة عملية، وفيه مقاعد ومناضد ومصابيح من تصميم ماريو.

مهندس طيّار. ماريو الديناميكي هو الآن في الثامنة والاربعين من عمره وفي ذروة حياته المهنية. وهو غارق دائماً في عقود من كل أطراف العالم. وفيما كنت أحادثه في مكتبه في لوغانو، اتصل به رجل أعمال كوري يسأله اذا كان في امكانه التوجه الى سيول لمناقشة تصميم مبنى تجاري، فأجابه بوتا موافقاً. وهو يذهب الى سان فرنسيسكو مراراً كل سنة لمعالجة تفاصيل تتعلق بمتحف الفن الحديث الذي يعتزم بناءه في تلك المدينة. وهو أنجز في سبتمبر (أيلول)

١٩٩٠ مبنى متحف "واتاري" للفن الحديث في طوكيو، الذي تطلّب التعرف الى قوانين البناء اليابانية الصارمة ونُظُم الوقاية من الهزات الارضية. وهو يقول: "أعددت ألوف التصاميم الاولية قبل أن أتوصل الى الشكل المناسب لذلك المبنى." أما أشهر مجلات اليابان لفن العمارة "ايكون" فكتبت: "يمتاز متحف واتاري الذي صممه بوتا بأنه مثال على المثابرة التي نجحت في المحافظة على كمال تصميم رائع."

ويقر المهندس المعماري وعيناه السوداوان تتقدان حماسة: "لدي دافع لا يقاوم للتعبير عن نفسي. قلمي هو لغتي، ومن حسن حظي أنها لغة عالمية. عندما تخطر لي فكرة اسارع الى ترجمتها على الورق ولا أستريح قبل أن تتخذ شكلها النهائي."

يصل بوتا الى مكتبه في الثامنة صباحاً، ونادراً ما يغادره قبل الثامنة مساء. وهو يغتنم ساعات الطيران الطويلة في رحلاته ليستنبط افكارا جديدة لتصاميم مفروشات أو مصابيح، ثم يوزع الأوراق التي تحمل أفكاره الاولية على مساعديه العشرين طالبا وضع تصاميم مفصّلة لها. ويقول موريتسيو بيلي: "لدى تقديمنا عملنا اليه، يبدو الامر كأنه امتحان عسير. وهو قد يسحق أحدنا بالسؤال: أهذا حقا أفضل ما تستطيعه؟ ثم يعود بعد دقائق ودوداً ومشجعا."

بوتا منشغل الآن بكاتدرائية صممها لبلدة ايفري الصناعية الفرنسية على مسافة ٣٠ كيلومتراً من باريس. وهي الاولى تبنى في فرنسا منذ ١٨٥٢، وقد وضع الحجر الاساس في مارس (آذار) ١٩٩١.

في الليالي المقمرة يحلو لبوتا أن يتجول في حديقته متأملا. ويقول: "على الانسان أن يواجه ذلك الفضاء المترامي، وأن يكتشف في نفسه ثانية ذلك الطفل المحدق بدهشة الى معجزات العالم المحيط بنا. اننا جميعا في حاجة الى أن نحلم. هكذا تتشكل الافكار..."

ليلي فولدز ■



ترتيب لا ينفع

اعتادت ابنتي أن تترك حذاءها حيث تخلعه: تحت السرير او تحت المقعد او تحت طاولة الطعام، فأضعه أنا في خزانة الاحذية.

وذات صباح سمعت زعقتها: "أين حذائي يا أمي؟"

فسألتها: "هل بحثت عنه في خزانة الاحذية؟"

صمتت برهة ثم عاد الي صوتها: "كيف تتوقعين مني أن أجده ما دمت تصرين على وضعه في مكانه؟"

ف.ج.



قطاف جوز الهند

القرود تبز الرجال في القطاف وتجني من المال أكثر مما يجنون

في قرية بيلادو الصغيرة الواقعة على الساحل الشرقي لشبه جزيرة ملقة[1] في الشرق الاقصى، وقف رجلان وراحا يناديان قروداً اعتلت رؤوس أشجار جوز الهند. ثم ثار أحد الرجلين وصاح بقرد غاضباً: "ما نفع يديك هاتين؟" ولم يلبث أن لان وراح يناشده: "هيا، كن قرداً لطيفاً واقطف الجوزة."

وصرخ الرجل الثاني بقرد آخر: "انظر إليّ! هيا انظر إليّ." وأمسك برأسه وراح يلويه يمنة ويسرة ممثلاً للقرد ما يريد منه. ولما ازرقّت أذنا الرجل حدق اليه القرد وصفّق بيديه فرحاً مقرراً التعاون، ثم قطف جوزة هند ورماها الى معلمه.

يقدّر محصول جوز الهند في ماليزيا بنحو ١٢٥ مليون ثمرة سنوياً. وعلى مر القرون تولّى ماليزيّو الساحل الشرقي القطاف بأنفسهم متسلقين بجهد جذوع

(١) Malay Peninsula. وهي تضم ماليزيا وسنغافورة وجزءاً من تايلند.

الاشجار السامقة المترجحة وصولا الى الثمار. أما اليوم فقد حلّت قرود المكّاك[2] الكبيرة المحمرّة اللون محل كثيرين. وبرهنت هذه القرود المستوطنة غابات جنوب شرق آسيا المطيرة أنها قوة عاملة أكثر فاعلية من الانسان. ويبلغ طول الذكر منها نحو ٦٠ سنتيمتراً من الرأس حتى الردفين، ويزن نحو ١٣،٥ كيلوغراماً.

تُربط هذه القرود عند القطاف الى "معلميها" البشر بواسطة حبال طويلة رفيعة. والقرد النشط قادر على قطف ما بين ٣٠٠ و٤٠٠ ثمرة قبل اشتداد حرارة شمس الظهيرة. ولما كانت مواسم القطاف الناجحة تعزز الاقتصاد الريفيّ، فقد أولى القرويون هذه الثدييات الرشيقة الذكية اهتماماً كبيراً.

بزغ الفجر في بيلادو، كما في غيرها من قرى ولاية تيرينغانو، على زقزقة عصافير المربوك السجينة في الأقفاص. وتراكض الأولاد والماعز والدجاج خارج منزل طاهر بن امبونغ في منطقة تعج بالشجيرات والاكواخ.

طاهر والقرد. بدأ طاهر العمل في السادسة والنصف صباحاً بعد صلاة الفجر. وكان أمضى ٣٤ سنة من الشراكة الناجحة مع القردة. وإذ وقف على عتبة كوخه يسوّي عقدة السارنغ[3] على خصره، راح سكان القرية يتهامسون: "طاهر بروك، طاهر بروك." وكلمة "بروك" في اللغة الماليزية تعني قرد المكّاك، وهو لقب ينمّ عن احترام. فطاهر رائد في تدريب القردة ويملك القرد "بيتوك" أحد أشرس القردة وأنشطها قطافاً في المنطقة. لكن بيتوك متكدر المزاج اليوم، فاختار طاهر "هيثم" وهو قرد أصغر سناً قُيِّد بحبل الى عمود يعلو خمسة أمتار قرب المنزل. استكان هيثم فيما طاهر يطوقه برسن العمل. ثم امتطيا معاً دراجة جلس هيثم على مقودها، وانطلقا الى أيكة جوز هند تبعد بضعة كيلومترات.

وكان طاهر عقد اتفاقاً مع احدى الكامبونغات[4] يتيح له قطف ٣٠ نخلة جوز هند منتشرة بين الأكواخ. وعندما وصل الى القرية نظر الى العناقيد المتدلية على علو ١٢ متراً. ثم اقتاد هيثم الى أول شجرة، فتسلقها هذا بسرعة فيما طاهر يرخي الرسن، حتى وصل القرد الى الثمار وراح يتمايل وسط السعف. وسرعان ما راحت الشجرة تهتز فيما هيثم يجهد في اقتلاع جوزة هند من عنقها القاسي. فجأة راحت الثمار تتساقط على الارض الناعمة وطاهر يتحرك بسرعة لتفاديها. وبعد قطف خمس جوزات أو ست شدّ طاهر الرسن اشارة الى هيثم لكي ينزل وينتقل الى الشجرة التالية على بعد حوالى تسعة أمتار.

تدريب القردة. يتّبع طاهر وغيره من القرويين أسلوبا خاصا في تدريب قردة جوز الهند. أولا، يربط المدرب طوق القرد

(٢) Macaca nemestrina
(٣) السارُنغ هو اللباس التقليدي لكلا الجنسين في ماليزيا، ويتألف من قطعة قماش تكتنف الجسم.
(٤) الكامبونغ قرية صغيرة.

الى رسن ويقربه منه، ثم يدلّي أمامه جوزة هند يانعة ما زالت عالقة بفرعها ويبين له كيف أنَّ ليّ الثمرة يؤدي الى اسقاطها. ثم يضع المدرب يدي القرد على الجوزة، فيقلد القرد الحركات التي شاهدها، وتقع الثمرة. وفي نهاية الدرس يقطع المدرب جوزة الهند ويتقاسمها والقرد.

وفي اليوم الثاني تُربط جوزة الهند الى شجرة صغيرة وتُكرر تمارين الامس بفارق واحد هو أن يتسلق القرد الشجرة هذه المرة. واذا ما نجح في قطف الجوزة حظي بأخرى مكافأة له. وفي اليوم الثالث يكرر القرد الدرس السابق، ثم يلحق بمدربه الى شجرة أطول فيتسلقها لدى سماعه كلمة "جي!" (هيا!) ورسنه الطويل يتدلى الى المدرب في الاسفل.

ويطلق المدرب صوتاً كالنخير فيما القرد يتلمس الثمار المتفاوتة النضج. ويغير الرجل نبرة صوته لدى عثور القرد على جوزة ناضجة ويصرخ: "ها ها! أوليك، أوليك!" أي جيد، رائع. وبعد ٢٠ يوماً من التمرين، يصبح القرد مدرَّباً تماماً وقادراً على العمل ست ساعات متواصلة.

يقول مكايل كافاناغ وهو عالم بالثدييات الرئيسة[٥] يعمل في "الصندوق العالمي للطبيعة"[٦] في ماليزيا: "قرود المكّاك حيوانات ذكية، سياسية. وهي، كأكثر الثدييات الرئيسة، تتميز في البرية بتماسك جيد بين الام والصغير وتفاعل متين بين الاتراب في العشرة واللعب."

وبالتالي، يقول كافاناغ، فان الذين يدربون المكّاك على قطف جوز الهند هم بحاجة الى فهم سياسة القردة ولغتها الجسدية، لأن الامر يتعدى مجرد تقليد القرد لمعلمه. وعلى المدرب الجيد أن يُقنع القرد بأن قطف جوز الهند هو لمصلحته أيضاً. لكن غالبية المدربين لا يعتبرون أن قرودهم تعمل لنيل مكافأة فحسب، ويرون من الضروري نسج روابط صداقة وثيقة مع القردة. يقول طاهر: "اني أولي قرودي عطفاً كل يوم، فأجلس معها وأهتم بها



قرد ومدربه يستريحان بعد تمارين تنمّي المهارة والثقة المشتركة.

(٥) Primates

(٦) World Wild Fund for Nature

ونهتم بي ونتقاسم الثمار أو نسير الى النهر للاستحمام."

"**أسرع من أي قرد.**" للقردة القاطفة ميزتان ضروريتان هما القوة والذكاء. والجميع تقريباً يقر بأن قرود المكّاك تبزّ الانسان براعة في القطاف. وحده داود يخالف هذا الرأي ويدّعي أنه "أسرع من أي قرد." وإذ بلغ به الأمر حد التحدي، تسابق وأحد القردة الى شجرتين وتمكن من قطف ثلاث جوزات قبل أن يقطف القرد واحدة، ثم نزل الى الارض وتجرّع ابريقا من الماء متأملا بحبور خطوات خصمه البطيئة. لكنه ما لبث أن انكفأ الى ظل كوخ متلوياً من الالم، وراح ينزع النمل الاحمر اللاسع عن جسمه. وكان ما يزال جالساً هناك يضمد جروحه عندما تسلق القرد الشجرة الثانية، ففراؤه الكثيف يحميه من لسعات النحل والنمل.

لذلك ليس عجباً أن يتقاعد قرويون كثيرون من هذا العمل الشاق. فارتفاع الاشجار يشكل خطراً كبيراً، والقش في أعلى الشجرة غالباً ما يخبىء النمل والنحل والافاعي أحياناً.

ما زالت بعض قرى الساحل الشرقي لشبه جزيرة ملقة تعتمد على القردة العاملة. يقول زرينا مجيد وهو اختصاصي بعلم الانسان (انثروبولوجيا): "ان جوز الهند عنصر أساسي في نظامنا الغذائي، فنحن نشرب ماءه ونطبخ بزيته ونحضر الحلوى والمرق من لبّه وحليبه." ونسغ الجوز مشروب رائج في الجالية الهندية، كما تُصنع من الشجرة لوازم كثيرة للحياة اليومية من دواء وصابون ووقود وحبال وخميرة وأصبغة وأسمدة وفلين وزبدة وأكواب وآلات موسيقية وزينة وحلى. ويراوح سعر مئة ثمرة من الجوز البني الناضج بين ٥ دولارات و١٥ دولاراً، فيما تباع الثمرة الخضراء بما لا يقل عن ٢٥ سنتاً. وفي بلد حيث متوسط الدخل الفردي نحو ١٨٠٠ دولار سنوياً (اقلّ كثيراً في القرى) يساهم جوز الهند في زيادة دخل الاسرة.

وقد درج بعض صيادي السمك على تربية قرد أو اثنين لقطف جوز الهند وزيادة دخلهم عندما تمنعهم الانواء من الصيد.

جلس زكريا، وهو صياد سمك في بانتاي مالاوي، أمام كوخه فيما قرد صغير يلعب بين طيّات السارنغ الذي ارتداه. قال: "تستطيع هذه القردة العمل في أي وقت تقريباً. ويعتقد البعض ان القرد حيوان مدلل عندنا، لكن هذا غير صحيح، فالقردة رفيقتنا وشريكتنا وليست حيوانات مدللة لا نفع فيها." وأضاف أن العلاقة بين الانسان وقرده تنمو ببطء، ولكن متى توطدت فلا يبقى أمر لا يفعله القرد خدمة لصاحبه. والعكس صحيح أيضا. ويروي زكريا أن قرداً له انقض يوماً على كلب مسعور ليمنعه من عضه، وأن قردة رباها كانت تزعق لتحذره من الأفاعي السامة. وفي المقابل كان زكريا يعتني بقروده ويداويها عندما تمرض.

فحين كُسرت قدم احداها جبرها لها وأطعمها بنفسه طوال أسابيع وكأنها طفل صغير.

أشجع الشجعان. تحظى قرود المكّاك في ماليزيا بحماية السلطات بحيث أن أسرها يستلزم رخصة خاصة. بيد أن المسؤولين عن الحياة البرية، وقاطفي جوز الهند، يعترفون ضمنا بأنْ ليس لدى كل صائد قرود رخصة، كما أن الوسائل المتبعة في "أسر" القرود ليست دائماً انسانية الطابع، فبعض الصيادين يطلقون النار على القردة المرضعة لاختطاف صغارها وبيعها. ويرى المدربون المخلصون أن هذه الطريقة العنيفة وغير المشروعة منافية لمعتقداتهم الاسلامية. يقول طاهر بن امبونغ: "لا تجوز معاملة القرود بوحشية. فهي تستحق منا الصبر واللطف."

ويشرح الحاج اندوت الذي يعامل قرده بعطف خاص: "انه يداي، ولعلي أحتاج اليه أكثر مما يحتاج هو الي." وقد حضت مثل هذه الاحاسيس كثيراً من المدربين على البحث عن سبل أكثر انسانية لاقتناء القرود الصغيرة.

وبحسب الكاتبة الماليزية فاطمة بوزو، التي تستلهم أبطال قصصها من القردة، هناك أمر شبه مسرحي في العلاقة بين القرد ومدربه، فهي تشبه مشاهدة سِيرك بما فيه من بهلوانيات وأخطار وتشويق في ترويض حيوان متوحش، "ومن وقت الى آخر يجد أحدهم قرداً مميزاً يستقطب اهتمام القرية كلها."

وبيتوك، قرد طاهر بن امبونغ، له صفات كهذه. فهو يتحرك كالعنكبوت، ويمتاز عن سواه بقدرته على القفز من شجرة الى أخرى وقطف ما يربو على ٦٠٠ ثمرة في يوم عمل. إن رؤية هذا القرد مترجِّحا فوق الاشجار على ارتفاع عشرة أمتار أو أكثر وهو يرمي الجوز كوابل مطر في اعصار، لأمر يثير الهلع في قلوب المتفرجين. وتخاله أحيانا يمثل أمام جمهور، اذ يجثم على سعفة بعد قفزة خطرة ثم يطلق صوتا راعداً: "موا!" وهو يهز الشجرة بعنف.

ضحك أحد المتفرجين إذ رأى بيتوك واقفا على غرار رامبو[٧] وقال: "انظروا اليه، انه أشجع الشجعان." لكن المتفرجين لم يَفُتْهم أن بيتوك قطف لتوه ما قيمته ٤٠ دولاراً من جوز الهند.

وبدا الرسن المتدلي الى يد طاهر كخيط من ذهب في نور الشمس الباهر.

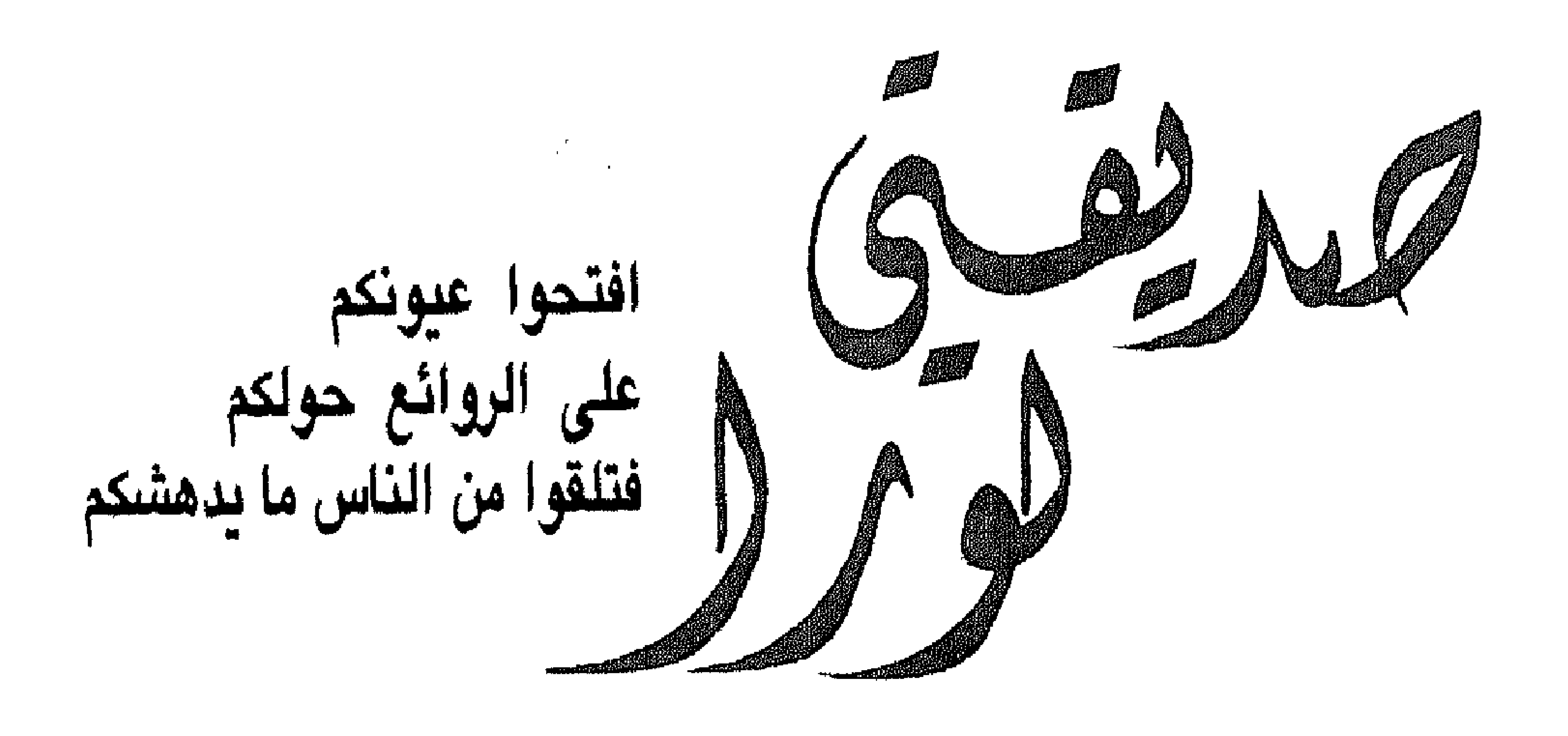
راندال بفر ■

(٧) رامبو بطل افلام سينمائية عدة.

ابن شاطر

قال رجل لصديقه: "لقد التحق ابني بالجامعة بناء على اتفاق عمل ودراسة... أنا أعمل وهو يدرس."

ر.ر.



صادفتها للمرّة الاولى ذات يوم خريفي من العام ١٩٧٦ في حافلة هادرة تعبر الجادة الخامسة في نيويورك. ففي احدى المحطات كان راكب هرم يلاقي صعوبة بالغة في هبوط الدرجة الأخيرة من الحافلة الى الارض، واذا بصوت امرأة خلفي يزعق بالسائق: "ايّها الشاب، هذه حافلة قابلة للخفض،* هلاّ تفضّلتَ وخفضتها قليلا؟"

أنزل السائق مقدّم الحافلة منزعجاً. ولم أتمالك عن الابتسام، اذ انّ صاحبة ذلك الصوت الجهوري كانت عجوزاً تجاوزت الثمانين.

التقيتها ثانية في أحد مخازن الأغذية ذات يوم جمعة. كان بصرها شحيحاً الى حد أنّها عجزت عن عدّ المبلغ المتوجّب عليها ثمناً لما ابتاعته. اقتربتُ منها واخترت قطع النقد المناسبة من يدها قائلة: "تفضّلي يا سيّدتي، هذا ما يتوجب عليك." فشكرتني ودفعت وانصرفتْ.

حين رأيتها ثالثة كانت تنوء بحمل رزمة كبيرة. عرضتُ عليها المساعدة، فقبلت. وفي الطريق عرفتُ أنّ اسمها لورا وأن منزلها قريب من مبنى مهاجع الطالبات في جامعتي.

تلاحقت المصادفات التي جمعتنا خلال الأسابيع والاشهر التي تلت، لتنشأ بيننا علاقة صداقة في منتهى الغرابة كوّنتْها أحاديث مقتضبة تبادلناها ولقاءات لم تكن لتخطر على بال. ثم التقينا لتناول العشاء في أحد المطاعم. وهناك أبدت اهتماما بالغا في طموحي الى أن أكون

(*) نوع من الحافلات يمكن خفض مقدمه هوائيا لتسهيل الدخول والخروج.

كاتبة. أمّا أنا فكنت أشعر بأن لطافتي تسعد عجوزاً متوحّدة.

دعتني ذات شتاء الى شقتها الدافئة الصغيرة المزدحمة بالكتب وقصاصات الصحف وصناديق الرسائل. ثم أحضرَتْ بريدها وناولتني مجلّة شعر وقالت: "لا يمكنني أن أقرأها، أفيها شيء لي؟".

لورا شاعرة؟ نظرتُ، فاذا اسمها مدرج على غلاف المجلّة. فأجبتُها: "نعم! نعم! خلّيتُ الاشجار تدرك أنني كنتُ هناك."

فعلت وجهها ابتسامة وتلت القصيدة بكاملها عن ظهر قلب.

لم يكن ذلك سوى بداية اندهاشي. حين وضعتُ المجلّة على الرف لمحت نسخة من مجلّد "الملك داود" للكاتب الأمريكي ستيفن فنسنت بينيت، مزينة بأحرف ذهبية ناتئة، وهي النسخة الاولى التي خرجت من المطابع عام ١٩٢٣ وتحمل اهداء بينيت الى أهله.

فسألتُ لورا: "كيف تمكّنتِ من الحصول على هذا الكتاب؟"

أجابت ببساطة: "تيبي هو شقيقي الأصغر."

كانت لورا شقيقة ستيفن فنسنت بينيت الكبرى وتبلغ من العمر اثنين وتسعين عاماً.

واذ أحسّت انذهالي تطلّعتْ اليّ بعينين تتراقص فيهما البهجة وقالت: "يا عزيزتي، عليك دائما أن تتيحي للآخرين أن يفاجئوك. وإن لم تفعلي فسوف يتصرّفون كما توقعتهم أن يفعلوا، أي بكثير من التفاهة."

كانت ملأى بالنخوة على رغم انحطاط جسدها. وكثيراً ما اتصلت بي في أوقات غير متوقّعة لتقول لي مذعورة: "بين يديّ فاتورة لا أستطيع قراءتها، ويبدو أنّها مهمّة، فماذا أفعل؟"

فأتنهد قائلة: "أوه يا لورا!" لكنني لم أتردد مرّة في الذهاب اليها لقراءة بريدها وترتيب فواتيرها وحسابها المصرفي، ثم نتجاذب أطراف الحديث لتملأني بالمفاجآت. لكم شاهدت هاتان العينان، شبه المعتمتين الآن، شعوبا وأماكن لم أعرفها قط، تنسج منها لورا أروع الحكايات. كانت هذه المرأة ذات الشعر المعقوص تحت قبعة أنيقة تعلّمني عن عالم الأدب ما لم أتعلمه من أي أستاذ آخر.

كانت عائلة بينيت منذ ستين عاماً من طليعيّات العائلات الأدبيّة في الولايات المتحدة. ولورا نفسها ألفت ما يربو على عشرين كتابا، من سِيَر حياة وكتب أطفال وقصائد، كما عملتْ مساعدة اجتماعية في بداية هذا القرن. كانت تقول لي: "الله يهتمّ بنا وينتظر منّا أن يهتم بعضنا ببعض."

وكنتُ، ككلّ الكتّاب المبتدئين، أخاف الفشل وأشتكي الى لورا قائلة: "هنالك مؤلّف مسرحيات من منطقتي بلغ أوج الشهرة وتصدرت أخباره صفحات الجرائد، فكيف أتوقع شيئاً ازاءه؟"

فتجيبني بحدّة: "عليك أن تقرري يا عزيزتي ما اذا كنت تريدين أن تكوني كاتبة أو امرأة شهيرة. فالامران مختلفان.

خذي مثلا سكوت فيتزجيرالد. حين قرر ان يكتب، كان كاتبا عظيما. أما حين شغل نفسه بالشهرة فكان أغبى رجل شاهدتُه في حياتي. ما يريده الله منّا هو ان نمهر في ما نفعل فنستثمر مواهبنا ونواظب على أعمالنا يوماً بعد يوم باذلين جهداً أكبر في كل مرّة، في عملنا كما في حياتنا."

صباح يوم أحد طرقت باب لورا فلم تفتح لي. فهرعت الى البواب قلقة. كانت مخاوفي في محلّها، فقد أصيبت لورا بنوبة قلبية تلك الليلة وكانت في غرفتها وحيدة، فوقعتْ وكسرتْ وركها وبقيتْ ملقاة على الأرض طوال الليل عاجزة عن الزحف الى الهاتف. وقال لي البواب: "وجدناها هذا الصباح، وهي الآن في المستشفى."

أسرعتُ الى المستشفى. فسألتني موظفة الاستقبال ما اذا كنتُ من أنسبائها، فأجبتها بنعم من دون تردد. دخلت اليها في قسم العناية المركَّزة الخاص باصابات القلب وأمسكتُ بيدها قائلة: "لورا، أنا أحبكِ."

خرجت لورا من المستشفى بعد أيام، لكنها لم تستطع العودة الى شقتها. فانتقلتْ الى دار قريبة للعجزة. كانت تفتقد حرّيتها السابقة، لكنّها حاولت وسعها تقبُّل المساعدة التي غدت في حاجة اليها.

بعد فترة وجيزة كنت واحدى صديقاتي نتناول طعام الغداء. فجأة، وقبل أن أنهي طعامي، دفعتُ كرسيَّ الى الوراء وهببتُ على قدميّ وقلت لصديقتي: "لقد سررتُ جدّاً برؤيتك، ولكن عليّ أن أذهب الآن." ولم تكن دهشتها أكبر من دهشتي أنا حين لبست معطفي ودفعت الحساب وأسرعت خارجا.

قفزتُ درجات سلّم دار العجزة اثنتين اثنتين. وحين بلغت غرفة لورا أدركتُ للحال ما الذي أتى بي. كانت لورا تتنفس بواسطة قناع أوكسيجين. وأومأتْ اليّ الممرّضة بالاقتراب، فهمستُ: "لورا، انا أحبكِ."

وفيما عيناها تغمضان للمرّة الأخيرة، تركتُ أصابعي تداعب شعرها الرمادي الناعم.

لم أشأ أن أغادر المكان. توقفتُ في أعلى السلّم محدّقة الى الساحة والى الناس المسرعين وزحمة السير الصاخبة. كان شيء ما آخذاً في التغيّر. فجأة أبصرت أمامي العالم الذي كانت لورا تشاهده كل يوم من سنواتها الأربع والتسعين: عالما من الروعة والشعر، عالما تتبدل فيه حياة امرىء في حافلة تعبر الجادّة الخامسة في نيويورك.

شرعت في هبوط درجات السلم. لم أكن أعرف ماذا ينتظرني من مفاجآت، لكنني أدركتُ أنني، بفضل لورا، مستعدة لكلّ شيء.

شارن لينيا ■

لا ترمِ دلوك القديم حتى تتأكد من أن الجديد لا يسرّب الماء.

مثل اسوجي

بعد فراق طال أربعة عقود تستعيد المدينة الموحدة دورها عاصمة للفنون

استقبلني وليم كولر من "غاليري برلين" في ضاحية دالم مرحّباً: "أتيت في وقت ميمون. فالمدينة تستعيد دورها كواحدة من أغنى خزائن الاعمال الفنية."

فقد باشرت متاحف كثيرة في برلين مفاوضات اندماج بعدما باعدت الحرب العالمية الثانية بين مجموعاتها الفنية، وابتهج موظفو هذه المتاحف لاحتمال اعادة جمع موجوداتها. فهل تعود عاصمة ألمانيا الموحدة "ضرورة" لعشاق الفن؟

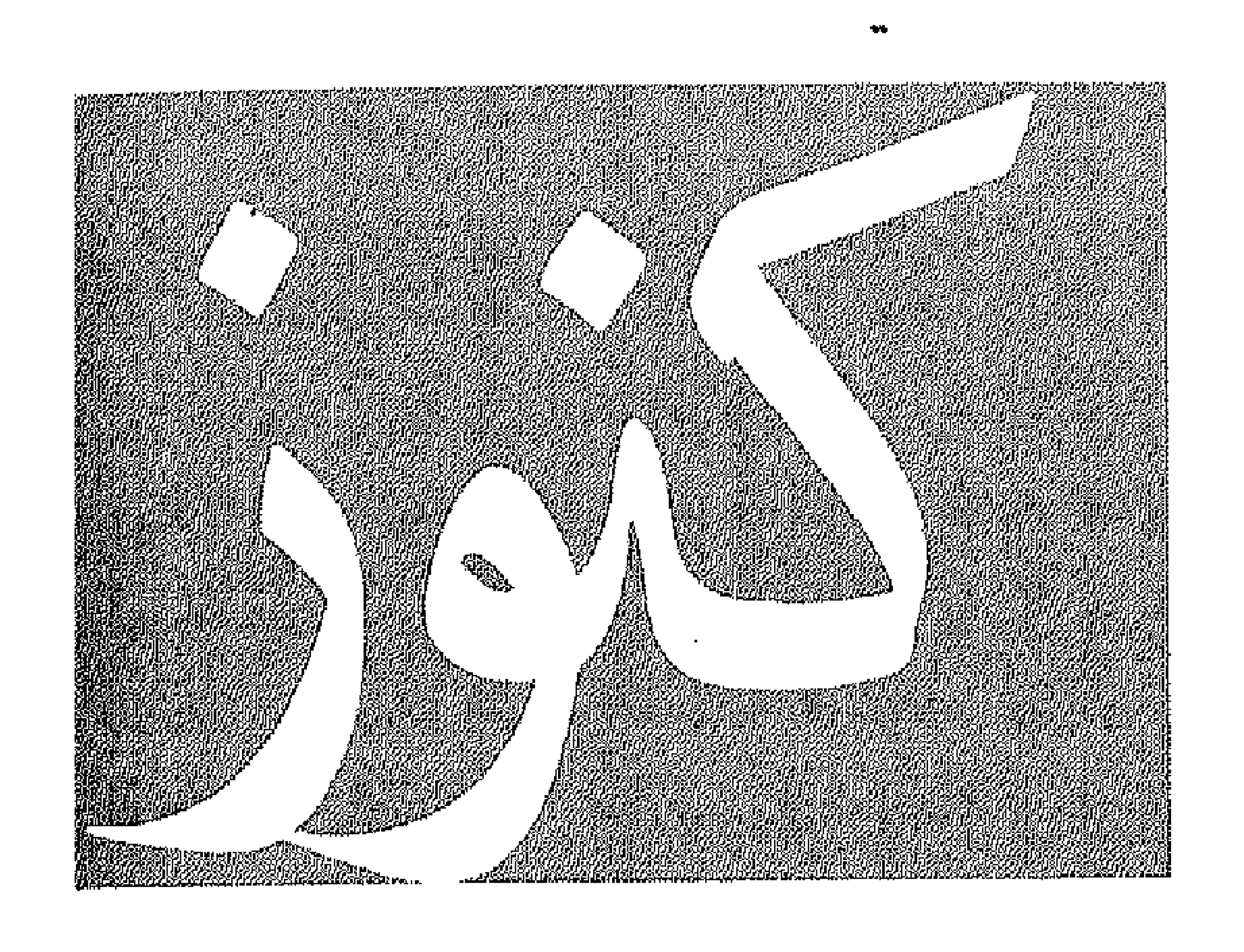
جئت الى برلين لأتبين الأمر.

لم أزر برلين منذ أوائل الستينات حين رافقت اقامة الجدار نوبة عارمة من الكآبة واليأس. ففوجئت في زيارتي هذه بأجواء الثقة والأمل التي عمت المدينة.

ان "برلين الكبرى"، بمراكزها الثقافية الوافرة التي تشمل أكثر من ٥٠ مسرحاً وداري أوبرا وصالتي حفلات موسيقية ونحو ٣٠٠ مكتبة، هي حقاً اطار مؤثر في احتواء ثروتها الفنية. وقد جُمعت كنوز المدينة في نحو ٨٠ متحفاً، وهي تراوح زمنياً بين العصر الحجري وبيكاسو و"البدائيين الجدد."*

وانتهى الجزء الاكبر من لوحات مشاهير الرسامين القدامى في غاليري دالم حيث فرض ضيق المساحة عرض ٧٠٠ لوحة فقط من أصل ١٧٠٠. ومع ذلك فهي تخلف في ذهن الزائر انطباعاً لا يمحى. وتؤلف لوحات ديورر وهولباين وفان ايك وتيتيان وغينسبورو وبوسان كوكبة من الفن الاوروبي.


من أشهر معروضات دالم لوحة "الرجل ذي الخوذة الذهبية" التي ساد الظن زمناً طويلا أنها من رسوم رامبرانت. وكانت لوحة مقلدة لها معلّقة في منزل جدّي، ولطالما تأثرت بالكآبة البادية على وجه المحارب الهرم الذي سئم القتال. واذا كان النقاد ينسبونها اليوم الى أحد تلاميذ رامبرانت المجهولين، فذلك لن يقلل من روعتها بالنسبة إليّ.



ينبوع الشباب. تابعت جولتي فرأيت لوحة جان فرمير "شابة بعقد لؤلؤ" وفيها غرفة تنيرها أشعة الشمس تعكس بحبوحة الطبقة الوسطى في العصر الذهبي لبناء الامبراطورية الهولندية في القرن السابع عشر. وتنظر الشابة من

تحفتان نفيستان من شطري المدينة: بوابة عشتار البابلية وتمثال الملكة المصرية نفرتيتي.

(*) Neuen Wilden


برلين

النافذة وهي غارقة في أفكارها، وحول عنقها عقد من اللؤلؤ. فهل جلب لها حبيبها هذه اللآلىء من جزر الانتيل؟ وهل ستضع العقد في حفلة زواجها؟ بدا واضحاً أنها متيَّمة حبا.

في الطبقة السفلى انضممت الى معجبين تسمروا أمام لوحة "ينبوع الشباب" التي رسمها لوكاس كراناش الأكبر عام ١٥٤٦. ويبدا في اللوحة المستوحاة من أسطورة قديمة حوض فضي قاربته من اليسار نساء طاعنات في السن، ثم خرجن من اليمين وهن في ريعان الشباب ومضين يحتفلن مبتهجات مع فرسان وسيمين استعادوا شبابهم هم أيضاً. وترمز هذه اللوحة، في رأيي، الى برلين – المدينة التي تعيش انبعاثاً عجيبا.

غادرت دالم متوجهاً الى "المعرض الوطني الجديد" وهو بناء عصري من الزجاج والفولاذ في تيرغارتن تُعرض فيه لوحات أكثر حداثة. وقد جمع بين أعمال الانطباعيين الفرنسيين أمثال كلود مونيه وادوار مانيه، والتعبيريين الالمان أمثال أوتو ديكس وماكس بكمان وارنست لودفيك كيرشنر، فضلا عن العملاق الاسباني بابلو بيكاسو ولوحته "المرأة الجالسة في كرسي" التي رسمها عام ١٩٠٩ وكانت إحدى أولى لوحاتــه التكعيبية.



"شابة بعقد لؤلؤ" للهولندي يان فرمير فان دلت.

نفرتيتي وحَماتها. في الجزء الغربي من برلين يرتفع قصر شارلوتنبرغ قبالة بناءين جميلين كانا في السابق ثكنتين لضباط الحرس الملكي. ويضم الجناح الأيمن من القصر "متحف العصور القديمة" فيما يضم الجناح الأيسر "المتحف المصري" الذي استقبلني مديره البروفسور ديتريش فيلدانغ بلباس صحراوي يرتديه خلال رحلات التنقيب عن الآثار في دلتا النيل. ورأيت في الخارج حافلات تنزل مئات من المتفرجين. قال لي فيلدانغ: "انهم آتون لزيارة نفرتيتي،" مشيراً الى الملكة التي حكمت مصر قرابة العام ١٣٤٠ قبل الميلاد.

PHOTO: GEMÄLDEGALERIE STAATLICHE MUSEEN PREUSSISCHER KULTURBESITZ, BERLIN

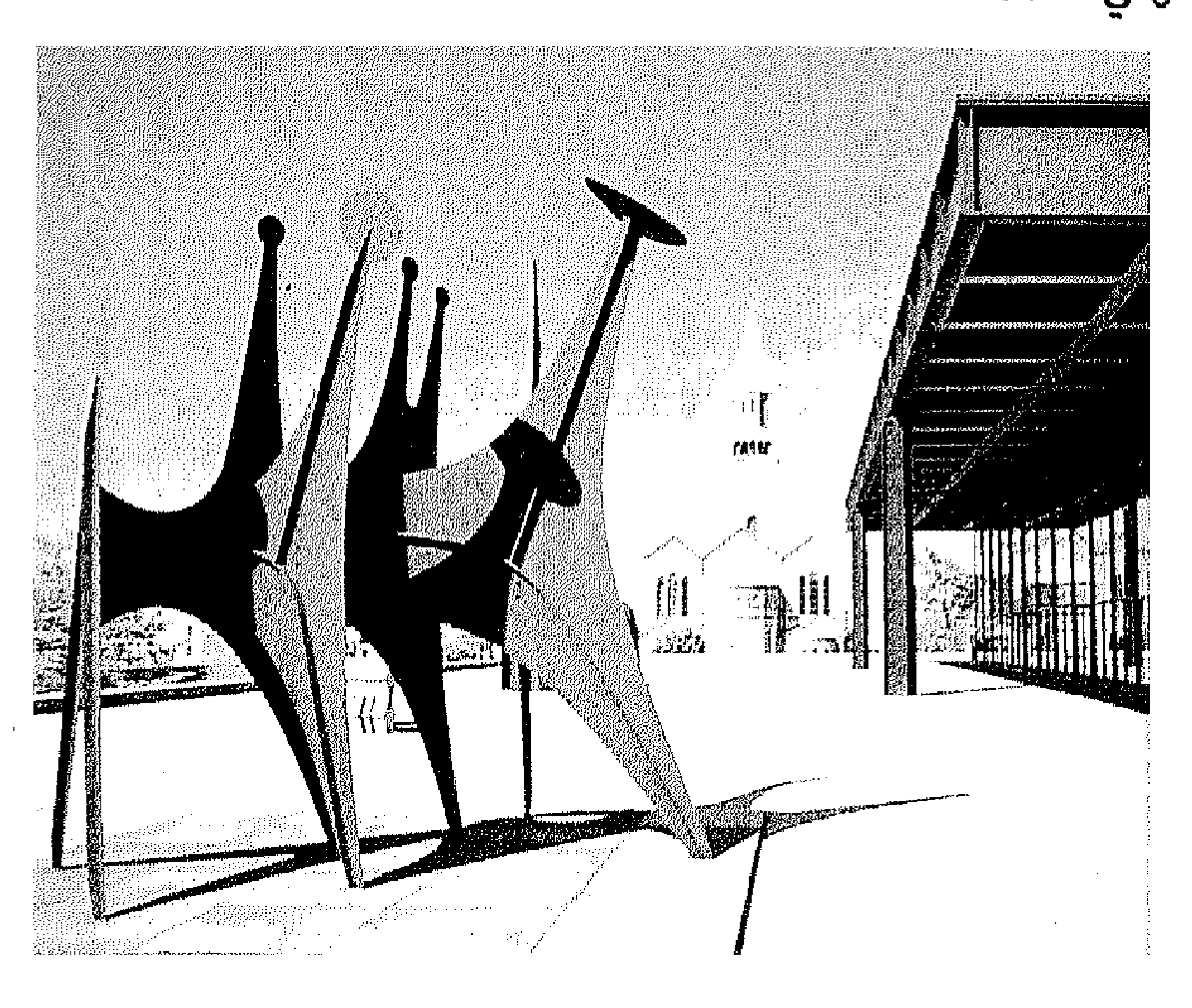
على قاعدة في غرفة مظلمة كشفت أنوار قوية تمثالا من حجر الجير المطلي بلغ طوله ٥٠ سنتيمتراً أظهر نفرتيتي بحاجبيها المقوسين ووجنتيها العاليتين وذقنها العنيد. لقد ولدت لتكون أميرة. وأضفى عليها عنقها الأفعواني أناقة صقيلة تسلب الالباب.

عثر فريق الماني باحث عن الآثار على هذا التمثال النصفي عام ١٩١٢ في تل العمارنة على بعد ٣٠٠ كيلومتر من جنوب القاهرة. وكان تل العمارنة مركزاً لطائفة تميزت بأسلوب فني ثائر يعبر عنه تمثال نفرتيتي.

أضاف فيلدانغ: "لدينا قطعة أفضل من هذه." ثم اقتادني الى رأس خشبي لا يزيد حجمه على قبضة طفل يمثل الملكة تيي والدة الفرعون أخناتون زوج نفرتيتي، وهي تظهر للوهلة الاولى أقل جاذبية كثيراً من زوجة ابنها. كما تبدو، بشفتيها الناتئتين استياء، متقدة غضباً، بل قاسية. وقيمة هذه القطعة الصغيرة لا تقبل الجدل، فهي من روائع فن النحت الواقعي.

وذكرني فيلدانغ بالتماثيل الفرعونية العظيمة ومخطوطات ورق البَرْديّ التي لا تقدر بثمن المحفوظة في متحف بود ببرلين "الشرقية". قال: "يحق لبرلين أن تتباهى بامتلاكها إحدى أبرز مجموعات الفن المصري."

بوابة بابل. في رحلة خاطفة على متن قطار "إس – بان" المكتظ بالركاب، وصلتُ الى قلب برلين "الشرقية" حيث جزيرة المتاحف القائمة على قطعة أرض تشبه سفينة وسط "ذراعين" من نهر سبري. في هذا المكان افتتح عام ١٨٣٠



منحوتة للامريكي الكسندر كالدر تزين شرفة "المعرض الوطني الجديد."

أول متحف فني للعموم في برلين، وهو لا يزال يعرف بـ"المتحف القديم." وأتبع بأربعة أبنية حديثة هي "المتحف الجديد" و"المعرض الوطني" و"متحف بود" و"متحف برغامون." ولكن خلال الحرب العالمية الثانية تضررت جميع هذه المتاحف بفعل القنابل. وما زال المتحف الجديد خرابا حتى اليوم. وتشهد الصدوع في الجدران والطلاء المتقشر كم كانت العناية بهذه الابنية سيئة. ولكن يبقى الجزء الشرقي من المدينة محتفظا بكنوز لا تقدر بثمن.

افتتح متحف برغامون عام ١٩٣٠ ليستقبل، الى أشياء أخرى، المذبح الشهير الذي نُبش ما بين ١٨٧٨ و١٨٨٦ في برغاموم (في تركيا اليوم). بناه الملك يومنس الثاني في القرن الثاني قبل الميلاد تخليداً لانتصاراته. وقد اعتبر في الأزمنة القديمة من عجائب العالم إذ بلغ طوله أكثر من ٣٦ متراً وعرضه أكثر من ٣٤ متراً وارتفاعه حوالى ١٢ متراً. ويدلّ الجزء المعروض منه على حجمه الاساسي. وعلى افريز المرمر الذي يحوط قاعدته منحوتات مضخّمة نُقشت بمهارة فائقة.

قبيل انتهاء الحرب أصيبت القاعة الكبرى بقنبلة تسببت في أضرار فادحة. ولحسن الحظ كانت المنحوتات محفوظة خارج جزيرة المتاحف. ونقلها السوفييت بعد الحرب الى لينينغراد (بطرسبرج حاليا) ثم أعادوها عام ١٩٥٨.

جُلت بين هذه المنحوتات ترافقني نائبة مدير النقوش القديمة هيوبرتا هرز وهي عالمة آثار شاركت في حفريات برغاموم. وجلسنا على مقعد قبالة الصرح نشاهد معركة خيالية بين عمالقة.

ولجتُ لاحقاً الجناح الجنوبي من المبنى، فإذا بي أغوص في حقبة العهد القديم وأرى عظمة بابل مجسدة في بوابتها العملاقة التي بناها نبوخذنصّر الثاني ونبشها علماء آثار ألمان ما بين ١٨٩٩ و ١٩١٧ على ضفة الفرات اليسرى. تغلِّف البوابة رقاقات صقيلة من الآجرّ الملون، وتزينها رسوم ثيران وتنانين في خلفيَّة فيروزية داكنة. نادرة هي الاعمال التي تعبر عن القوة الصارخة بمثل هذه الفاعلية.

أثينا الصاخبة. محطتي الاخيرة في البحث عن الكنوز كانت في "المعرض الوطني القديم" القائم في الجانب الشرقي والمبني على الطراز الكورنثي. هنا تُعرض أعمال أوسكار كوكوشكا وماكس ليبرمان ومنزيل، كما في الجانب الغربي من المدينة. وقد استُهلت بعض الخطوات لاعادة توحيد المجموعات المتكاملة. وفي ٣٠ أغسطس (آب) ١٩٩٠ بدأ المعرضان الوطنيان مشروعهما المشترك الاول، فعرضت أعمال الرومنطيقي كارل بليشين في المعرض الوطني الجديد الى جانب لوحات كاسبار ديفيد فريدريش وسواه من المعاصرين. وسجل العرض بداية عصر جديد.

ان مشكلة تقسيم ارث المدينة لا تعالج بين ليلة وضحاها. ففي "ساحة الثقافة" على طرف تيرغارتن ستبنى صالة عرض للرسوم الزيتية، تتبعها أخرى للمنحوتات. ويهدف مشروع آخر الى إعادة بناء المتحف الجديد وتوحيد المجموعتين المصريتين.

يتفق جميع الخبراء الذين التقيتهم على أن برلين هي اليوم مدينة مميزة جداً. يقول فيلدانغ: "ثمة شيء في الاجواء يجعل عملنا مثيراً."

مع التئام شمل المجموعات الفنية الرائعة ستتمكن المدينة من استعادة لقبها الشرفي القديم المحبب "أثينا الصاخبة." يقول كريستوفر براون القيم على "الغاليري الوطني" في لندن: "نأمل أن تكون لنا نشاطات مشتركة مع برلين التي أصبحت بتوحدها أحد أعظم المراكز الفنية في أوروبا."

ليس عجبا أن أهوى برلين، أنا الذي أعشق الفن. واني أخطط لزيارتي التالية الى هذا الموئل الفني النابض. فإلى اللقاء يا برلين!

ارنست هوسر ■



تعالوا نتكلم الفرنسية

كان زوجي فخوراً بلغته الفرنسية التي تعلمها خلال سني دراسته، ولكن لم تسنح له فرصة لاستخدامها حتى زيارتنا كندا. كنا نقود السيارة في مونريال محاولين العثور على المتحف الوطني، وسرعان ما ضللنا الطريق. فلمح زوجي رجلا يقف وحيداً على رصيف، فاوقف السيارة الى جانبه وتنحنح ثم سأله بالفرنسية: "من فضلك، هل يمكن أن تدلنا الى طريق المتحف الوطني؟"

بدا الارتباك على الرجل للحظة ثم قال بالانكليزية: "آسف يا سيدي، فانا لا اتكلم الفرنسية."

رفع زوجي زجاج النافذة وقد بدا عليه الارتياح ثم استرخى في مقعده وقال لي. "انه لا يتكلم الفرنسية يا عزيزتي. سنضطر الى سؤال شخص آخر!"

ش.ك.

ربة بيت

كانت ضيفة لقاء اذاعي محلي امرأة تملك مؤسسة لتنظيف المنازل. وبعدما اوضحت الضيفة أنواع الخدمات التي تقدمها المؤسسة، بدأت المحطة تلقّي اسئلة المستمعين. وكانت المتصلة الاولى ربة بيت سألت الضيفة بارتياب: "ما هي كمية التنظيف التي ستتوجب علي قبل أن يلبي موظفوك طلبي؟"

ك.ش.

تستضيف برشلونة المباريات الاولمبية في الفروسية سنة ١٩٩٢ فماذا فعلت السلطات الاسبانية لكبح وباء الخيول الافريقية الذي فتك بألوف الجياد في اسبانيا والبرتغال؟



أنقذوا خيول الأندلس

حين رن جرس الهاتف في مكتب البروفسور مانويل رودريغز في جامعة مدريد، المجاور لمختبرات الباثولوجيا الحيوانية التي يشرف عليها، كان رودريغز يحلم بركوب دراجة على طريق جبلية متلوِّية. فتنهد، وأسف مرة أخرى للقرار الذي أخذه بتمضية العطلة تحت وطأة حرارة مدريد الخانقة تحضيراً للبرنامج التعليمي في السنة المقبلة.

في ذلك اليوم، الجمعة ٢١ أغسطس (آب) ١٩٨٧، اتصلت به تلميذته السابقة الطبيبة البيطرية آنا خونكو لاستشارته في مسألة غريبة. فمنذ يوليو (تموز) من

PHOTO: J.C. COUTAUSSE / EDITING

ذلك العام نفقت تسعة جياد وحمار وحشي أسيوي في حديقة حيوان "ألديا دل فرسنو" الواقعة على بعد ٦٠ كيلومترا جنوب غرب مدريد. والغريب في الامر ان هذه الحيوانات نفقت بالطريقة نفسها. كانت تبدو سليمة معافاة، ثم تتصلب فجأة وتفقد توازنها وتتهادى حول مربطها مترنحة الى أن تنهار وتنفق. في البداية عزت خونكو السبب الى مغص غير مألوف. ثم اشتبهت في وجود تسمم. ولكن عندما نفقت الحيوانات متوالية أدركت خونكو أن السبب يكمن في شيء آخر. أيعقل أن تكون هذه الحيوانات ضحايا مرض نادر ومعد؟

سألت رودريغز: "أنت خبير بالجياد، فهلا ساعدتني في تشريح جواد نافق في المستقبل؟"

فوعد رودريغز بمساعدتها.

تمتد حديقة حيوان "إل رنكون" على مساحة ١٠٠ هكتار في أرض منخفضة تتناثر فيها الصخور. وفي العام ١٩٨٧ قرر مالكو الحديقة زيادة الحيوانات فيها، فاشتروا ستة حُمُر وحشية من ناميبيا. وبعد توقف في لواندا عاصمة أنغولا، نُقلت الحيوانات على ظهر سفينة الى البرتغال، وأنزلت في لشبونة في ١٦ يونيو (حزيران) على رغم تحريم السلطات البرتغالية استيراد الحُمُر الوحشية. وهناك أودعت حديقة حيوان مدة ثلاثة أيام، شحنت بعدها برا الى اسبانيا حيث أغفل المسؤولون اخضاعها للحجر الصحي. هكذا وصلت الحُمُر الوحشية الستة الى "إل رنكون" في ٢٠ يونيو (حزيران).

وبعد ٣٢ يوما بدأت تتهاوى نافقة.

فيروس قاتل. كالمتْ آنا خونكو البروفسور مانويل رودريغز ثانية لتعلمه بنفوق حمار آخر. وعلى الفور، توجه رودريغز مع زميلته ماريا كاستانو لمعاينة الجيفة. وفي الايام التالية واصل الاثنان زياراتهما إثر نفوق خيول أخرى. ويذكر رودريغز: "في جميع الحالات، كان التجويف الشغافي حول القلب غارقا في السوائل، والرئتان متضخمتين، والأعضاء الداخلية متضررة جدا."

تذكّر رودريغز صورا لحالات مشابهة في كتاب عن الطب البيطري يصف "داء الخيول الافريقية"[١] (AHS) المتأتي عن فيروس تنقله حشرة صغيرة من فصيلة البعوض اسمها "كوليكويدس إميكولا"[٢] وتعرف بالذبابة اللاسعة. فعندما تلسع هذه الذبابة حيوانا مريضا، تمتص من دمه نزرا زاخرا بالفيروس الذي يتطلب مدة تراوح بين ثمانية أيام وعشرة للمرور عبر جهاز الذبابة والاستقرار في غددها اللعابية حيث يتكاثر. وتتحول الحشرة، خلال ما تبقّى من أسابيع عمرها الثلاثة، حاملة تيفوس[٣] مجنّحة يكفي ٠,٠٠٠١ مليمتر من لعابها للقضاء على جواد معافى زنته ٥٠٠ كيلوغرام. لذلك فان أكثر

(١) African horse sickness
(٢) Culicoides imicola
(٣) التيفوس هو مرض التيفوئيد.

من ٩٠ في المئة من الجياد التي تصاب بالداء هالكة لامحالة.

صنّف العلماء تسعة أنواع مختلفة من الفيروس «AHS» الذي لا يصيب البشر. وتبين أن الحُمُر الوحشية والحمير الافريقية هي من الحيوانات الحاملة للفيروس، مع أنها نادراً ما تصاب بهذا المرض الذي يكاد يكون مجهولا خارج أفريقيا على رغم تصنيفه معدياً في "المكتب الدولي للأوبئة الحيوانية" في باريس.

ولدى مراجعة القرائن تأكد رودريغز من أن الحيوانات نفقت نتيجة إصابتها بالفيروس. وفي ١٢ سبتمبر (أيلول) أكد "المختبر الوطني للصحة الحيوانية" في بلدة ألخيتي المجاورة لمدريد هذا التشخيص، كما تبين لاحقاً أن المرض القاتل هو النوع الرابع من فيروس «AHS» المكون من فيروسات متنوعة لم يعثر عليها سابقاً الا في جنوب أفريقيا ووسطها. فكيف وصل الى اسبانيا؟

يقول رودريغز: "من المحتمل جداً أن تكون الحُمُر الوحشية أتت به الى هنا." وعندما فحص دم هذه الحمر تبين أن اثنين منها يحملان الفيروس.

دورة أولمبية. حتى ٥ سبتمبر (أيلول) كان المرض حصد ٢٩ جواداً في حديقة حيوان "إل رنكون." كما تدفقت على وزارة الزراعة تقارير يومية عن جياد مريضة ونافقة في مواقع أخرى، أكدت استشراء وباء حيواني في اسبانيا.

وفي محاولة لاحتواء "وباء الخيول"، كما سمي الفيروس «AHS»، منعت السلطات نقل الخيول وجميع النشاطات المتصلة بها، بما في ذلك مصارعة الثيران. كما ألزمت الاطباء البيطريين التبليغ عن نفوق الجياد وإرسال عينات من طحالها ودمها الى المختبر الوطني للصحة الحيوانية لتحليلها. الى ذلك، قضت التدابير بذبح الخيول التي ترتفع حرارتها الى ٤٠ درجة مئوية أو أكثر، ودفنها في حفر كلسية مخافة احتضانها المرض. كما بُخِّرت الاسطبلات والمستنقعات تكراراً لتطهيرها من بؤر الذباب اللاسع.

لكن كثيرين من مربي الخيول والبغال ومزارعي المواشي والرعاة والعاملين في حصاد الفلّين تحدو القرار ونجحوا في الافلات من العقوبة. ولم يصدر قرار وزارة الزراعة بالقضاء على الحمر الوحشية والجياد المتبقية في حديقة "إل رنكون" الا في ٢٤ سبتمبر (أيلول) بعدما استشرى المرض في مقاطعات مدريد وتوليدو (طليطلة) وأفيلا.

وأكثر ما أثار الجدل في برنامج الحكومة كان حملة التلقيح المحدودة التي رافقته. ولهذه الغاية وفد الى اسبانيا الطبيب الجنوب - أفريقي بالتوس اراسموس، وهو المرجع العالمي الاول بالفيروس «AHS» ومطور اللقاح الوحيد للنوع الرابع منه، واقترح حملة تلقيح واسعة النطاق في المقاطعات الثلاث.

وطالب مربو خيول أمثال ألفارو دوميك،

وهو من أبرز المربين ومؤسس "مدرسة الفروسية الاندلسية" الشهيرة في بلدة خرين، بحملة تلقيح تغطي البلاد من أقصاها الى اقصاها. قال دوميك: "علينا ان نقنع العالم بأن أحصنتنا لا تشكل خطراً على بنات جنسها."

مع ذلك، استُوردت خمسون ألف جرعة لقاح فقط من جنوب افريقيا وأعطيت للخيول والبغال والحمر الصغيرة ضمن شعاع ٢٥ كيلومتراً من كل من المناطق الثماني المتضررة. كان ذلك بديلا هزيلا من حملة اللقاح العامة، وقراراً سياسياً الى حد كبير، لأن من شأن تلقيح خيول البلاد التي يبلغ تعدادها مليونا أن يصنِّف اسبانيا – بحسب قوانين مكتب الأوبئة الحيوانية أنذاك – بلداً استوطن فيه الفيروس «AHS»، مما قد يحول دون استضافة برشلونة مباريات الفروسية الاولمبية سنة ١٩٩٢.

"ليس لدينا لقاح." يتفق الخبراء على أن زوال الوباء يستلزم موسمين خاليين من الامراض. ومع ذلك، ففي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٧، بعد مرور أقل من ثلاثة أشهر على اعلان سقوط الضحية الرقم ١٦٢، أعلنت السلطات تمام "القضاء" على وباء الخيول ورفعت جميع القيود عن نشاطاتها. وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٨، بعد عشرة أشهر فقط على هذا الاعلان، ظهر المرض مجدداً في الاندلس، موئل الخيول الاسبانية.

وقعت المسؤولية، هذه المرة، على عاتق الحكومة المحلية المستقلة ذاتيا ومقرها اشبيلية. فعمدت باديء الأمر الى طلب ١٥ ألف جرعة من اللقاح لمعالجة نحو ٢٠٠ ألف جواد موزعة في ثمانية أقاليم. واعتمدت في حملتها تدابير محدودة في مجالات الحجر الصحي واللقاحات ورش المبيدات لاحتواء الوباء. فارتفعت الخسائر باطراد الى أن بلغت ٢٠٠ جواد في مقاطعتي قادس وملقة الاندلسيتين.

في أوائل أبريل (نيسان) ١٩٨٩، في وقت استبق اقامة معرض اشبيلية (وما يدره من أرباح سياحية)، أعلنت حكومة الأندلس فجأة "القضاء" على الوباء، ثانية، فكان لاعلانها وقع الصاعقة على مربي الخيول الاندلسيين. وأكدت وزارة الزراعة هذا الاعلان في يوليو (تموز). فاعتبر مانويل نوفاليز، رئيس "الجمعية الاسبانية لمربي الخيول الاصيلة" آنذاك، أن هذا التصرف مناف للعقل وحذر من مغبة الانجرار وراء هذا التهور.

في أواخر الربيع سرت اشاعات في مقاطعة هولفه الاندلسية حول نفوق أحصنة في مستنقعات نهر الوادي الكبير، وتناهت الى مسمع فرنسيسكو لازو في مزرعته الواقعة في بلدة هويفار على بعد ٣٠ كيلومتراً شرقاً. فتوجه الى مقر الحكومة في اشبيلية حيث قال: "انني أملك ١٠٠ حصان أندلسي ثمين، ويقلقني ألا أجد لقاحا ضد وباء الخيول." فقيل له: "ليس لدينا لقاح."

لا أمل. ابتداء من أوائل أغسطس (آب) راقب لازو بغضب متزايد نفوق ١٩ حصاناً اندلسياً أصيلاً من خيوله بفيروس «AHS». وهي خيول تتسم بأعناق رائعة وعيون براقة وأعراف طويلة متهدلة، ويراوح ثمن الواحد منها بين ١٥ ألف دولار و٣٠ ألفاً. قال لازو متفجعاً: "لم تكن هذه الاحصنة مورد رزقي فحسب، بل موضع فخري وبهجتي."

وعانى آخرون تجارب مماثلة، فمنذ فصل الربيع ظل ديفيد ستيرلنغ، رئيس نادي البولو[٤] في سوتو غراندي بمقاطعة قادس، يلح على الحكومة المحلية طالباً إعطاءه لقاحاً يكفي ٤٢ جواداً جيء بها من الاوروغواي للمشاركة في دورة بولو دولية تبدأ في الاول من أغسطس (آب). وعلى رغم التقارير المتواصلة عن فتك فيروس «AHS» بجياد المنطقة قيل له أن اللقاح غير ضروري. ولكن في ٣١ يوليو (تموز) زار الطبيب البيطري كارلوس دلغادو إسطبلات نادي البولو خلال احدى جولاته اليومية، وعندما وقع نظره على الحصان في المربط ١٥، اتصل فوراً بمقر الحكومة في اشبيلية مناشداً: "عليكم إيفاد مسؤول بسرعة، فلدينا حصان مصاب بوباء الخيول." وعلى رغم اسراع السلطات في ارسال بقايا لقاح، فقد نفقت سبعة أحصنة. ومع ذلك لم يُطلب مزيد من اللقاح الا منتصف أغسطس (آب).

في هذه الأثناء كان الداء انتشر في جنوب اسبانيا كاللهب المستعر. وبلغ عدد الخيول النافقة في الأندلس ذلك الخريف أكثر من ألف. أما الضربة القاسية فحلت في منطقة موغير بمقاطعة هويلفا وذهب ضحيتها ٤٠٠ حصان. يقول خوسيه انجيل رويز الطبيب البيطري في موغير: "يشعر المرء بالعجز اذ يرى الحيوان يخر أمامه."

افلاس وشيك. على رغم تفشي الوباء لم تتوافر في البرتغال المجاورة لقاحات مضادة يوم عثر في ٢٦ سبتمبر (أيلول) على بغل نافق في الجانب البرتغالي من نهر غواديانا. فأرسلت عاجلاً من جنوب أفريقيا شحنة لقاحات الى لشبونة. لكنها وصلت متأخرة ولم تحُل دون تفشي الوباء. وبحلول نهاية العام قضى اكثر من ٢٠٠ حصان.

قال فرنسيسكو ابرو، وهو مدرب خيل عالمي المستوى يدير مركزاً للفروسية في شمال لشبونة: "كل ما أملكه مرتبط بهذا المركز. قبل تفشي الوباء في اسبانيا كان نصف الاحصنة الواردة على المركز يأتي من مصادر أجنبية. أما الآن وقد أُغلقت الحدود، فقد صرت مرغماً على الاكتفاء بالسوق البرتغالية الضيقة. نحن نكافح للاستمرار، لكن أدنى ضربة للوباء هنا ستجرنا الى الافلاس."

وفي فبراير (شباط) ١٩٩٠ قررت الحكومة البرتغالية تلقيح جميع الاحصنة في البلاد وعددها ١٧٠ ألفاً.

---

(٤) البولو لعبة رياضية شبيهة بالهوكي تمارس على متون الخيل بمضارب طويلة وكرة خشبية.

وفي الاندلس كلّف نحو ١٥٠ طبيبا بيطريا تلقيح ١٦٠ ألف دابة عام ١٩٨٩. كذلك أخضعت الحكومة المحلية في الأندلس جميع جياد المنطقة لحجر صحي صارم وحصرتها ضمن شعاع بلغ ستة كيلومترات انطلاقا من اسطبلاتها. كما ألغت جميع مباريات الفروسية. ومع ذلك أفيد في أوائل سبتمبر (أيلول) ١٩٩٠ عن تفشّ جديد للوباء في مقاطعة ملقة قضى خلال شهر على أكثر من ١٨٠ حيوانا غالبيتها من المُهُر غير الملقحة.

وفي يوليو (تموز) ١٩٩٠ وضعت فرنسا رقابة شديدة على الخيول المقيمة أو العابرة في أراضيها المتاخمة للحدود الاسبانية. كما فرضت الابلاغ عن ولادة أي من هذه الخيول أو نفوقها أو ذبحها. يقول جورج بيديس، وهو نائب مدير في وزارة الزراعة الفرنسية: "هذا شيء لا يذكر بالمقارنة بما سنفعله إذا ما وقعت إصابة واحدة على هذا الجانب من الحدود."

منذ أواخر العام ١٩٩٠، بعد تأكيد اختيار برشلونة مضيفة لدورة الفروسية الاولمبية سنة ١٩٩٢، تجرى عملية تلقيح سريعة للجياد في الاندلس، لكن اسبانيا لا تزال تواجه احتمال مقاطعة بعض كبار مربي الخيل لهذه الدورة.

باختصار، لن يُغفل مربو الخيل الاخطار الناجمة عن إرسال جيادهم الى برشلونة. ويتساءل فرنسيسكو ابرو: "اذا كنت تملك حصانا يساوي مليون دولار، فهل تخاطر بارساله الى هناك؟"

خلال ثلاث سنوات ونصف سنة قضى الوباء على نحو ١٨٠٠ حصان وبغل وحمار صغير في اسبانيا والبرتغال على رغم انفاق ملايين الدولارات لمكافحة المرض المتفشي. وشُلّت مصالح تربية الخيول التي تدر سنويا على اسبانيا زهاء ٥٠ مليون دولار. أما أكثر ما يثير الحزن فهو انه كان من الممكن انقاذ مئات الحيوانات وتفادي كثير من القهر لو أن حكومتي اسبانيا والاندلس أفادتا باكرا من الوسائل المتاحة.

تشارلز بارميتر ■

مشحونة

شقيقي رجل جدي رصين، لذا بدا تصرفه غريبا امام شباك التدقيق في تذاكر السفر في المطار.

فبينما كان وزوجته يضعان حقائبهما على حزام الامتعة المتحرك، سقطت حقيبة يدها على الحزام. فحاولت التقاطها لكنها لم تدركها في الوقت المناسب. فتسلقت الحزام محاولة الوصول اليها. وفيما هي توشك ان تختفي مع الحقائب عبر الباب راح شقيقي يلوّح بيديه محتدا ويصرخ: "لا، لا يا عزيزتي، كل شيء على ما يرام، لقد اشترينا تذاكر هذه المرة!"

غ.ك.

ثري كريم وعجوز شهم وباحث لا يخاف الموت

• نخوة الرجال •

ديفيد مارتينيز (٩٤ عاما) جندي قديم في سلاح المدفعية قُلّد وسام الشجاعة لاستبساله في الحرب العالمية الاولى. لكن هذا كان في الماضي.

وفي ٧ فبراير (شباط) ١٩٩١ جلس مارتينيز في غرفته يحدق عبر النافذة يائساً راجياً أن يختصر الله سني عجزه فيموت بسلام. فجأة رأى كلبا شارداً يقترب من ابن الجيران شون تروسو وهو صبي في السادسة من عمره. حاول شون التقاط الطوق المحلول عن عنق الكلب آملا ان يصطحبه الى بيته.

تملك الرعب مارتينيز العجوز عندما هجم الكلب على الطفل وألقاه أرضا وراح ينهشه. فهرع الى الخارج، وهو في العادة لا يقوى على السير من دون عصاه. وركض مسافة ٢٠ متراً الى الصبي الطريح وراح يضرب الكلب بعصاه الى أن هرب تاركاً شون مخضبا بدمه. وبعد دقائق وصل فريق طبي الى المكان وباشر عملية الاسعاف.

وأفاد الاطباء لاحقا أن الصبي أنقذ في الوقت المناسب وكان سينزف حتى الموت لو استمر الكلب في نهشه لبضع ثوان.

لقد انقذ العجوز حياة شون. ويتذكر مارتينيز "تلك الضربات الحاسمة بعصاي على رأس الكلب." وترتسم على وجهه نظرة من أنجز أمراً عظيماً.

ويقول ابنه دان: "لقد يئس والدي من الحياة في الفترة الاخيرة، وكان كئيباً. أما اليوم فهو يشكر الله لأنه ما زال حياً. ان انقاذ الصبي ألهب مشاعره ونفخ فيه حب الحياة."

دنيس ماكارثي

في "ديلي نيوز"

• ليلة لا تنسى •

يحبّ دون برونز لعبة البايسبول (كرة القاعدة) وهو من أنصار فريق "سينسيناتي ريدز." ويشاركه ابنه آرون في هذا الاعجاب. وفي عيد ميلاده الحادي عشر قرر والده أن يصطحبه لمشاهدة المباراة الاولى في بطولة العالم للعام ١٩٩٠ في مدينة سينسيناتي على بعد ساعتين بالسيارة. لم تكن لديهما

بطاقات، لكنهما أملا الحصول على اثنتين من "السوق السوداء."

ولدى وصولهما الى الملعب حملا لافتة كتبا عليها: "نريد بطاقتين للمباراة." ويذكر دون: "كان هناك باعة كثيرون، لكن سعر البطاقة الواحدة تجاوز موازنتنا إذ بلغ ١٧٥ دولاراً. وقد تفهم أرون الموقف."

بعد مضي ساعتين وهما يجوبان الشوارع، اقترب منهما مايكل تيتشر العامل في شركة لانتاج برامج تلفزيونية خاصة بالبايسبول، وقدم اليهما بطاقتين. ولما سأله دون عن ثمنهما أجاب: "لا، لا، شكرا. استمتعا باللعبة."

سُئل تيتشر لاحقا عن سبب بادرته فقال: "انني أعمل لدى شخص يدعى جو بوديستا لم يفوِّت مباراة واحدة في البطولة العالمية على امتداد ١٦ عاماً. لكنه أصيب هذه السنة بنوبة قلبية منعته من الحضور. وطلب مني أن أهب البطاقتين، مشترطا أن تكونا من نصيب شخصين يطيران فرحا بهما."

جال تيتشر في البلدة ساعات، قبل أن يلتقي دون وابنه. وبدا له أن معظم الذين التقاهم كانوا "سيأخذون البطاقتين ويبيعونهما... الى أن رأيت هذا الرجل وابنه الوسيم النحيف الذي يضع نظارتين، وهو بدا لي حزينا ومحبطا. ذكّراني بوالدي وبي يوم كنت صبيا متحمسا للقيام بأي شيء في مقابل مشاهدة هذه المباراة التي لم أحضرها قط."

أما دون برونز فيقول: "لن ننسى في حياتنا هذا الحدث. كنت كل بضع دقائق أنظر الى ابني وينظر هو الي ونحن غير مصدقين أننا نحضر المباراة. لن ننسى تلك الليلة."

بوب غرين

في "شيكاغو تريبيون"

• دَين مستحق •

علق حوت أحدب* في شبكة شفافة على مسافة ٢٧ كيلومتراً من شرق غلوستر في ولاية مساتشوستس. والتفّت الشبكة حول منخره وزعانفه فأعاقت تنفسه ومنعته من الحراك والأكل.

كان مصير الحوت موتا محتما لو حدث ذلك في الماضي. إلا أن الأحد اختلف في ١٦ يوليو (تموز) من العام ١٩٩٠ بفضل تشارلز مايو أحد مؤسسي "مركز الدراسات الساحلية" في بروفينستاون ومدير قسم الابحاث فيه ورئيس فريق تخليص الحيتان التابع له. وهو عالم بالاحياء البحرية في السابعة والاربعين من العمر.

قاد مايو مركب الانقاذ الى مكان الحادث. وتعرف الى الحوت على أنه "مالارد" الذي يتردد على الشاطىء. يقول مايو في وصفه: "طوله ١٢ مترا ووزنه ٣٠ طناً. وهو فضولي، مرح، ودود.

(*) Megaptera

يقصد المركب الذي نجري فيه أبحاثنا ويحدق الينا بوقاحة."

ربط رجال الانقاذ عوامات ثقيلة بالشبكة التي علق فيها مالارد، مما أضعف مقاومته ومكّن رئيس الفريق من الدنو أكثر من ذلك الكائن البحري الذي يفوقه حجماً ٣٠٠ مرة. وكان مايو ومعاونوه يركبون آنذاك زوارق مطاطية صغيرة.

اقترب مايو خائفاً من الحوت الذي بدا مرهقاً ومتألماً، وراح يقطع الشبك بسكين كبيرة وينزع جدائل الحبل واحدة تلو أخرى. وكان مالارد في هذه الاثناء طيعاً. ولكن عندما وصل مايو الى الجزء الذي يغطي منخره قفز في الهواء وكاد يقع على الزورق. ثم هدأ فجأة متيحاً لمايو مواصلة مهمته المضنية.

وعندما حُلَّت الجديلة الاخيرة في الشبك تراجع الجميع اذ ظهر أمامهم حوت أحدب آخر بدا كأنه يطمئن رفيقه ويقول له: "انطلق، أنت حر الآن." فزمجر مالارد وتقلب في المياه، ثم رفع ذيله في الهواء وغطس الى الاعماق نافخاً رذاذاً هلّل له مايو ورفاقه.

هناك نحو ٦٠٠ حوت أحدب في خليج ماين بالولايات المتحدة. ومالارد هو تاسع الحيتان التي أنقذها فريق مايو. وجدير بالذكر أن عائلة مايو كانت اشتهرت بصيد الحيتان الكبيرة، وهو يعلّق على ذلك قائلا: "ان علاقتي بالحيتان وراثية، فقد كان أسلافي يقتلون أسلافها. وأنا أعتقد أنني بانقاذي اياها أسدد ديناً مستحقاً."

كريستوفر فيليبس

في "باريد"

عروس وعريس

كانت الطفلة تحضر حفلة زفاف للمرة الاولى. فهمست في اذن والدتها: "لماذا ترتدي العروس ثوباً أبيض يا ماما؟"

أجابت الأم: "لان الابيض هو لون السعادة، وهذا أسعد يوم في حياة العروس."

فكرت الصغيرة لحظة ثم عادت تسأل: "ولماذا يرتدي العريس ثياباً سوداء؟"

ج.س.

فنون الصيد

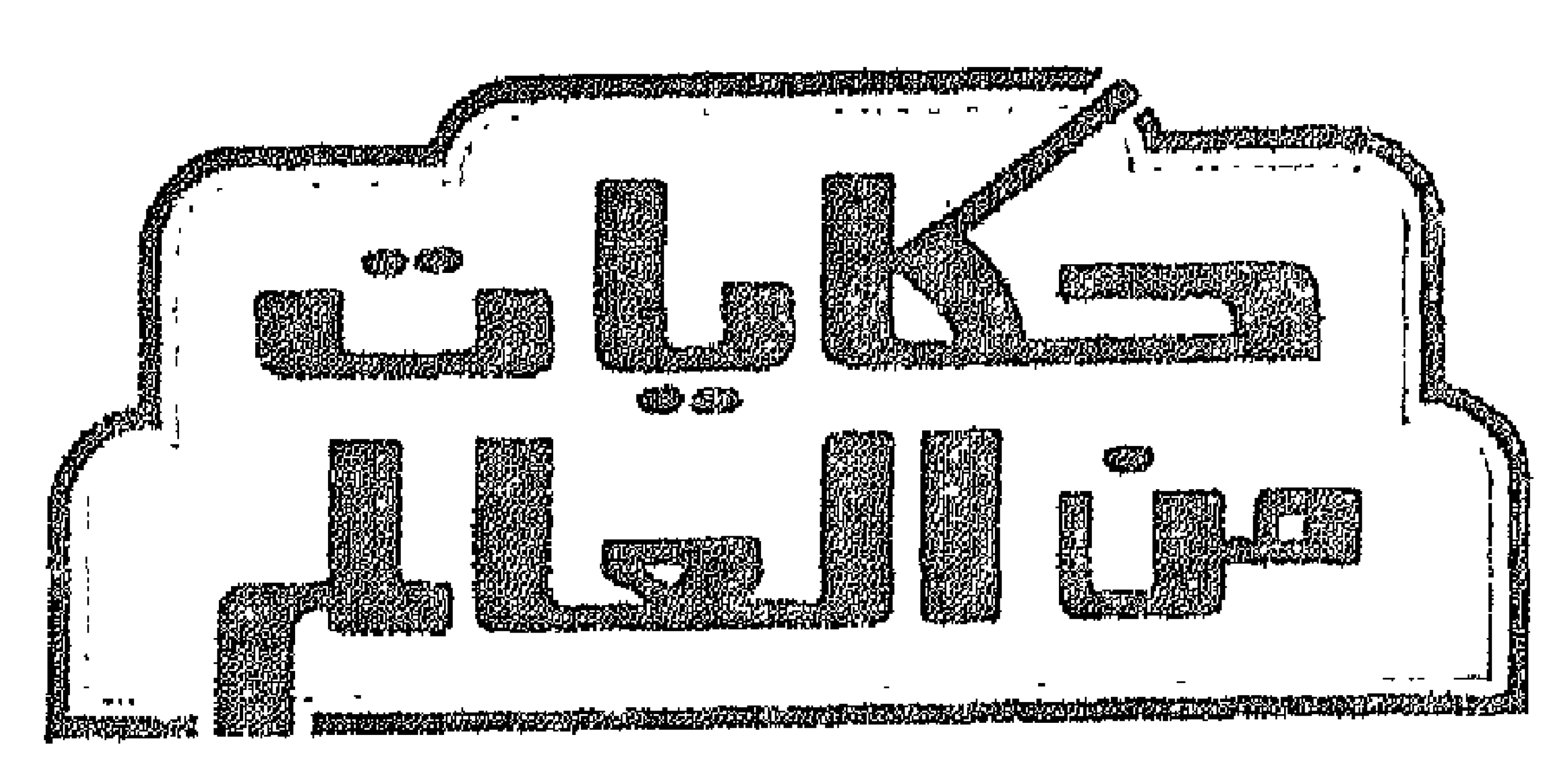
ذهبت شلة من الاصدقاء لاصطياد الغزلان، وانقسموا اثنين اثنين. وفي المساء عاد احدهم الى المخيم وحيداً ينوء تحت حمل غزال كبير، فسأله صياد آخر: "أين جهاد؟"

أجاب: "لقد أغمي عليه في الطريق."

– وتركته هناك وحيداً لتعود بالغزال؟

"كان ذلك خياراً صعباً. لكنني افترضت أن احداً لن يقدم على سرقة جهاد."

ذ.ج.



صفير الكناري

□■ الصفير لغة ثانية في غوميرا، احدى جزر الكناري السبع الماهولة. وحين ينوي احد المزارعين التكلم مع صديق له عبر واد، يضم شفتيه ويصفر. ويشبه ممارسو هذا الاتصال البعيد طيور الكنار. يقول دومينغو دارياس بادرون الذي تعلم لغة الصفير المسمّاة "سيلبو" وهو صبي: "في امكانك ان تقول اي شيء بواسطة الصفير. وفي الطقس الجيد يسمع الصفير على بعد ثلاثة كيلومترات."

القاعدة سهلة، فلكل حرف صوت صفيري مرادف. وتتدفّق الكلمات من بين شفاه المواطنين سريعة سلسة، تعلو نبراتها وتهبط كغناء الكنار. وكما ان في الكلام لهجة ولكنة، فلكل قرية في غوميرا "لكنة" صفير خاصة.

وكالة "رويتر"

الفقمة الكندية

□■ في الماضي كان الوحيدون الذين يغامرون في الوصول الى الاطواف الجليدية قبالة جزر ماغدالين في كيبيك هم صيادو الفقمة (عجل البحر) القاطنون في تلك الجزر، فيضربون صغار الفقمة على رؤوسها حتى تنفق ويسلخون جلودها الفرائية البيضاء. كما كانت تقصد تلك الجزر جماعات من انصار البيئة والحيوان بهدف وضع حد لهذه المجزرة.

وفي العام ١٩٨٧ صدر قانون في كندا يحرّم قتل صغار الفقمة لاغراض تجارية. والآن يطير السياح الى تلك الجزر النائية لمشاهدة هذه الحيوانات اللطيفة. وبذلك شملت الفائدة الجميع: فالفقمة باتت بمنجاة من القتل، والسكان المحليون يربحون من السياحة، والسياح يصادقون احد الحيوانات الثديية المحبّبة.

مجلة "ترافل هوليداي"

تصفيق في الاوروغواي

□■ كنت ازور عمتي في منتجع "بونتا دل استي" على شاطىء البحر. وذات مساء سمعت في احدى اسواق الصناعات الحرفية تصفيقا إيقاعيا عاليا. فشرحت لي عمتي الامر: "هناك ولد ضائع. عندما يضيع احد الصغار ويشاهد تائها في مكان عام، يتجمع المارة حوله ويشرعون في التصفيق حتى ياتي ولي امره ويتسلمه."

اليزابيث شيل

أشباح النروج

□■ في اواسط النروج بين غيرنغر وغروتلي طريق جبلية قديمة العهد يحكى انها "مسكونة." وفي سبيل تحذير السائقين من مغبة رؤية مناظر غريبة وسماع اصوات غامضة، عمد المسؤولون المحليون الى رفع لافتات ليس لها مثيل في العالم، تنبه السائقين الى احتمال ظهور أشباح فجاة قد تروعهم فتنقلب بهم سياراتهم.

مجلة "بابليك اينوفيشن ابرود"

اعتقادات خاطئة

هل يرنّ هاتفك كلما دخلت الحمام؟ وهل ينجب الازواج العقماء اذا تبنوا أطفالا؟

يعتقد معظم لاعبي كرة السلة وهواتها بما يدعى "اليد الحامية." ويتصوّرون أن اللاعب ما ان يبدأ بتحقيق اصابتين أو ثلاث اصابات حتى يصبح حظه كبيراً في مواصلة التسجيل، أما اللاعب الذي يفشل تباعا في التسديد فيُعتبر أنه "برد" وسيخيب في محاولاته التالية.

قررنا أنا وزملائي أن ندرس هذا الاعتقاد عن كثب. فاستندنا الى أرقام فريق "فيلادلفيا – ٧٦" لكرة السلة* خلال موسم ١٩٨٠ – ١٩٨١. وخلافا لكل افتراضات "اليد الحامية" بدا لنا أن اللاعبين كانوا يسددون ضربات أفضل بعد كل ضربة ضائعة. فقد تبين أن ٥٤ في المئة من التسديدات الناجحة تحققت بعد تسديدات خاسرة، كما أن احتمال تحقيق رمية صائبة ازداد بعد خسارة رميتين أو ثلاث رميات.

هذه الدراسة، ودراسات أخرى أكثر تفصيلا، تناقض تماماً مقولة أن لاعبي كرة السلة يسجّلون اصاباتهم الرابحة تواليا. لكن معظم الناس يصرّون على صحة نظرية "اليد الحامية" حتى بعد مواجهتهم بهذه الوقائع.

وليس سهلا اقتلاع الأوهام من مخيّلة البشر. فالبعض، مثلا، يؤمن ايمانا راسخاً بأن للزوجين العقيمين حظاً حقيقيا في الانجاب بعد أن يتبنيا طفلا. أما التبرير المتّبع فهو أن الزوجين يكفّان بعد التبنّي عن انهاك انفسهما في محاولة الانجاب، فتعزز حال الصفاء الذهني التي أدركاها فرصهما في تحقيق حدث سعيد. لكن الابحاث الطبية تنفي هذه النظرية.

وتؤكد ممرّضات في أجنحة المواليد الجدد أن الولادات تزداد على نحو ملحوظ حين يكون القمر بدراً. لكنهن على خطأ.

(*) كان فريق "فيلادلفيا – ٧٦" آنئذ الوحيد الذي يسجل، تراتبيا، اصابات كل لاعب واخطاءه.

أما كيف يمكن البشر أن يتشبثوا بمعتقدات مريبة كهذه، فليس ذلك لأنهم أغبياء أو مغفّلون. نحن عادة نتمسك باعتقادات خاطئة لأننا ندرك أمور الحياة على نحو مجتزأ ومبهم. لذلك فان محاولاتنا الناقصة لفهم المعلومات المتضاربة والمشوشة تجعلنا نصدق أشياء في غير محلها.

وهذه هي الحال في الاعتقاد السائد حول الأزواج العقماء. فنحن نسمع عن أزواج أنجبوا بعد تبنّيهم ولداً، لأن حظّهم الحسن لفت انتباهنا. أما حالات الأزواج الذين يتبنّون ولداً ولا ينجبون، أو أولئك الذين ينجبون من غير تبنٍ، فهي تبقى في الظلّ.

اذاً، لماذا يأخذ الناس بفكرة "اليد الحامية" في كرة السلة؟

يحدث كثيراً أن يصيب اللاعب في خمسين في المئة من رمياته، وأن يحرز عشرين اصابة في مباراة واحدة، لذلك قد يحالفه الحظ في تحقيق أربعة أهداف أو خمسة متتالية، وهذا ما يبدو للآخرين سلسلة متتابعة لا تنقطع. لكن الأمر في حقيقته لا يتعدى قوانين الارجحيّة العادية جداً. فالناس، مثلاً، يتوقعون من قطعة نقد تُنقف في الهواء أن ترسو متعاقبة بين "الطرّة" و"النقشة" أكثر مما يحصل في الواقع. فهبوطها على جهة "النقشة" أربع أو خمس مرات متتالية يتنافى وتوقعاتنا، مع أنه في عشرين نقفة متتالية يكون الاحتمال ٥٠ في المئة بهبوط القطعة على جهة "النقشة" أربع مرّات و٢٥ في المئة بهبوطها على الجهة ذاتها خمس مرّات. ويأتي "قانون المعدّلات" الذي يسميه الاحصائيون "قانون الاعداد الكبيرة"، ليضمن التساوي المتوقع بعد عدد كبير جداً من النقفات.

ويكمن خطأ لاعبي كرة السلّة وهواتها في ترجمتهم لما يرون. فتوالي الاصابات أو الاخفاقات أمر لافت يعلق في الذاكرة. في حين أن تسجيل اصابة وسط اخفاقات متكررة، أو العكس، أي الاخفاق في التسجيل وسط سلسلة من الاصابات الناجحة، أمر قد يمرّ من دون ملاحظة. ويحدث أن تدور الكرة طويلا داخل الحلقة المعدنية ثم تعود وتقع خارج السلة. فاذا كان اللاعب الذي أطلقها اصاب في ضرباته الأخيرة، اعتبرت ضربته هذه "فرصة قريبة." أما اذا كان أخطأ في رمياته السابقة فتُحتسب هذه دليلا على برودته الواضحة.

ويتأثر الناس أكثر بالدلائل التي تشير الى علاقة ما بين الأحداث. فنجد أشخاصا مقتنعين بأن أحلامهم رؤىً لأن بعضا منها تحقق، ناسين أو متناسين أن كثيراً منها لم يتحقق بتاتا.

يقول بعضهم ان الهاتف لا يرنّ إلا وهم يستحمّون. والحقيقة أن الهاتف عندما يرنّ ونحن في الحمّام، يكون في الحدث من الازعاج والغرابة ما يطبعه في الذاكرة. وإن لم يرنّ الهاتف ونحن في الحمّام، فان "اللاحدث" يمرّ من دون أن يلاحَظ.

يريد الناس أن يروا نظاما ونمطا ومغزى في العالم. وحتى حين تُثبت الاحصاءات بعض القواعد والانظمة، فكثيراً ما نبالغ في محاولة القراءة بين السطور.

لنأخذ أيضاً الاعتقاد الشائع أن المصائب، كالنكبات الشخصية والوفيات وحوادث تحطّم الطائرات، تحدث "ثلاثاً." وينتج هذا الاعتقاد من رغبة البشر في أن يجعلوا الحادث الثالث الذي يقع مقياساً لتحديد "فترة الكوارث." فاذا وقعت ثلاثة من حوادث تحطّم الطائرات خلال شهر، فان النطاق الزمني الذي يعتبر فترة كوارث جوية متعاقبة هو شهر. امّا اذا وقعت هذه الحوادث خلال سنة، فان نطاقها الزمني يتّسع تلقائياً.

ونحن نتجه الى تصديق ما نريد تصديقه. فغالبية الناس يعتقدون أنهم يقودون سياراتهم على نحو أذكى وأوسع أفقاً وأمهر من السائقين المتوسطين. ويعود أحد أسباب اعتدادنا بأنفسنا الى اعتمادنا مقاييس هي في مصلحتنا. وفي هذا الصدد، يقول الاقتصادي توماس شيلنغ: "كل شخص يصنّف نفسه عالياً في المزايا التي يقدّرها. فالسائقون الحذرون يقدّرون الحذر، والسائقون المهرة يقدّرون المهارة، والسائقون المهذّبون يقدّرون اللياقة." وهكذا يصنّف كل شخص نفسه عالياً وفقا لمقياسه الخاص.

ولعل أهم عادة فكرية يمكننا تعلّمها هي توخّي الحذر في استخلاص النتائج، اذ ان "البيّنات" التي نراها في حياتنا اليومية لا تقودنا دائماً في الاتجاه الصحيح. نحن هنا نحارب نزعة الفكر الانساني الى توهم رابط منطقي وبنيوي بين أنماط عشوائية والانبهار بالادلة المؤكدة والتعامي عن التناقضات والتأثر غير الموضوعي بأفضلياتنا ومعتقداتنا. علينا أن نعيد النظر في افتراضاتنا ونتحدّى ما نعتقد أننا نعرفه جيداً.

توماس جيلوفيتش ■

ومن الحرص ما جنى

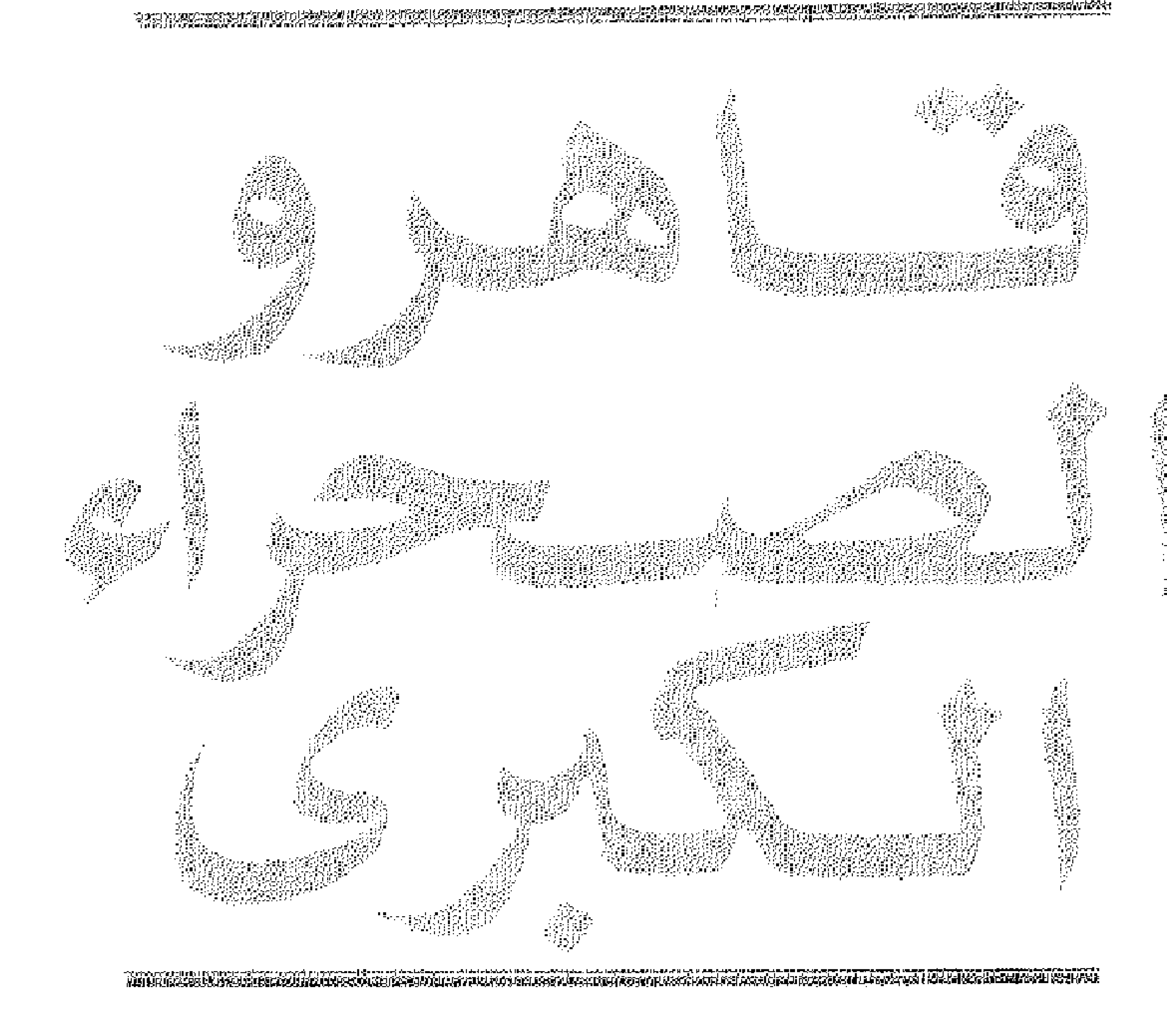
حجزت وصديقة لي غرفة مشتركة في فندق أثناء تمضية عطلتنا في أحد المنتجعات. ولما لم نكن معتادتين الفنادق الكبيرة فقد كنا قلقتين على سلامتنا. في الليلة الاولى دعمنا الباب من الداخل بكرسي اثقلناه بحقائبنا. وكلمسة اخيرة، وضعنا سلة المهملات فوق الحقائب، حتى اذا حاول أحدهم الدخول سمعناه بالتأكيد.

قرابة الاولى بعد منتصف الليل سمعنا طرقاً على الباب. فسألت صديقتي بعصبية: "من هناك؟"

فهتفت امرأة من الجانب الآخر: "يا عزيزتي، لقد تركت المفتاح في الباب!"

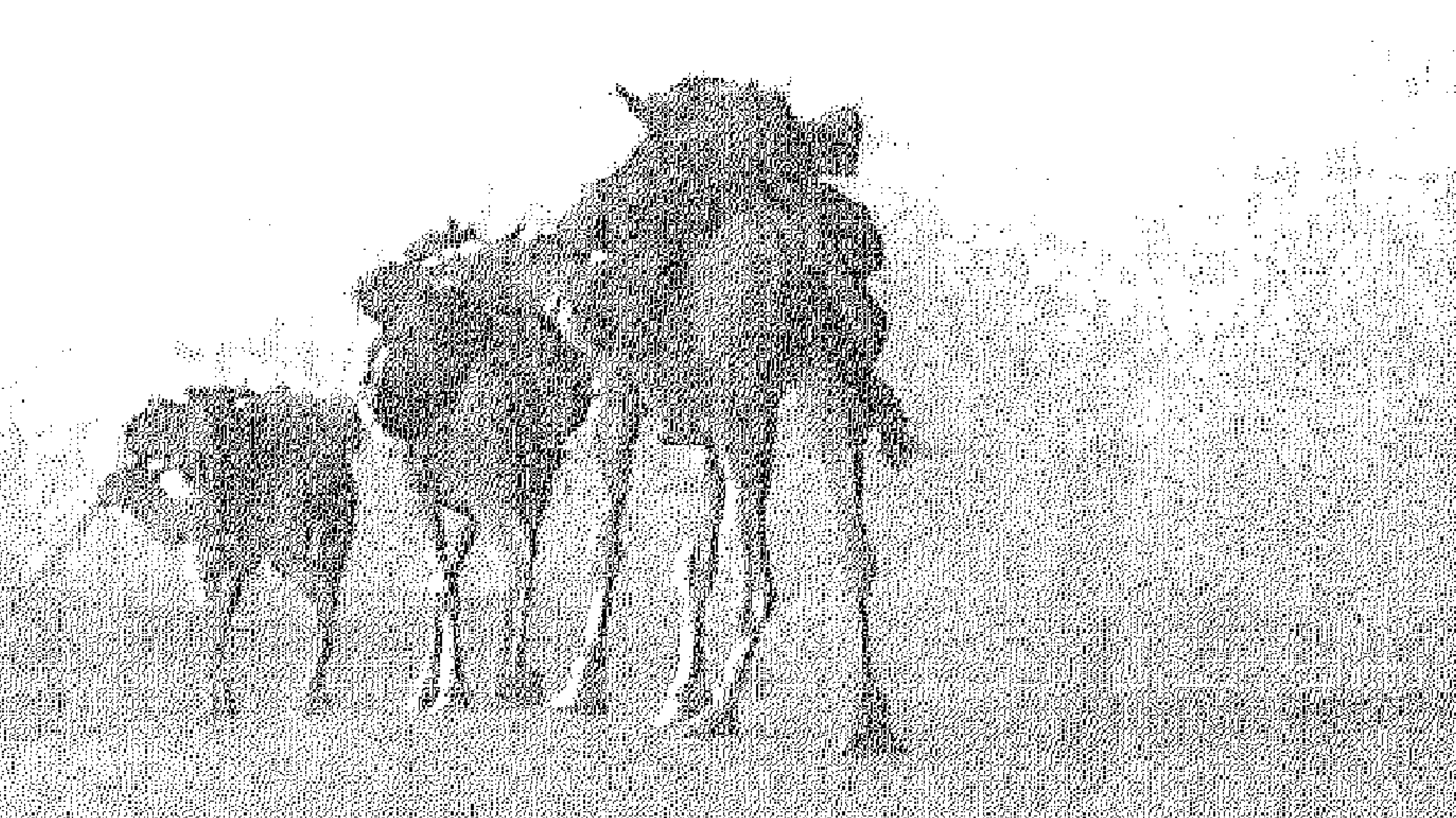
ب.ب.

كتاب الشهر



قاهرو الصحراء الكبرى

ملخص من كتاب "الرحلة المستحيلة:
اثنان يقتحمان الصحراء" بقلم مايكل آشر





قاهرو الصحراء الكبرى

كتب أحد رواد الصحراء الكبرى: "ان هذه الارض القاسية تأسرك بسحرها." وهذا السحر أسر مايكل آشر كما أسر آخرين قبله. فمنذ وقع نظره على تلك الصحراء الواسعة الموحشة استبدت به رغبة ملحة في كشف ما وراء أفقها البعيد.

حلم آشر بقطع الصحراء الكبرى من أقصاها الى أقصاها على متون الجمال. وتلك مغامرة لم يقدم عليها غربي قبله. كان التحدي كبيراً بحجم المغامرة التي تستنزف أقصى طاقات الشجاعة والاحتمال والتي اعتزم الشاب البريطاني خوضها مع عروسه الايطالية. وهما اختبرا في رحلتهما معنى المثل العربي: "يفعل اثنان ما يعجز عنه واحد."



اجتياز الصحراء الكبرى
على متون الجمال
من واحة تشينغيتي
الى نهر النيل.

وقفنا أمام باب منزلنا في واحة تشينغيتي على الطرف الغربي للصحراء الكبرى. وامتد أمامنا خضمّ من كثبان الرمل المنحدرة الى الوادي حيث تنتصب أشجار النخيل وينبسط الرمل أبيض ناعما كالثلج.

أنهضنا الجمال فأخذت ترغو وتهدر. فالتقط دليلنا محفوظ رسن جمل الطليعة وصاح: "بسم الله الرحمن الرحيم. هيا بنا، الطريق طويلة!"

وفيما انطلقت القافلة سمعنا هتافات داعية: "مع السلامة." ورافقنا سيد احمد، شيخ تشينغيتي ومالك المنزل، الى طرف الوادي حيث صافحنا مودعاً: "الله معكما. ابعثا الي برسالة لدى وصولكما الى نهر النيل." فودعناه وسرنا على بركة الله، وتركناه منتصباً على حدود ملكه، محارباً عجوزاً صلب العود فخوراً.

وما هي الا لحظات حتى اكتنفتنا كثبان الرمل وغابت بلدة تشينغيتي الصحراوية القديمة عن عيوننا الى الأبد. قالت لي زوجتي ماريا نتونيتا: "أشعر كأني في بطن حوت."

سرنا الصباح كله بين كثبان محدودبة شكّلتها الرياح وصخور طمرتها الرمال ولم يظهر منها الا أطرافها المسنّنة الحادة. واجتزنا جسوراً من الرمل حيث تعثرت جمالنا الثلاثة وانحرفت داخل ممرات ضيقة ارتفعت فيها جدران الرمال مقزّمة قافلتنا الصغيرة المتغطرسة الطامعة بقهر الصحراء الكبرى.

توقفتُ والتقطت رأس سهم شائك. وتساءلت كم من السنين مضى وذلك الرأس مدفون هناك. ألعلّه لأحد الصيادين الذين جابوا الصحراء يوم كانت غابة خضراء؟ لقد

زالت الغابة وزال الصيادون، لكن السكان تشبثوا بالارض وعدّلوا نمط حياتهم فصمدوا وبقوا أحياء. فان تكيَّفنا نحن وشظف العيش في الصحراء فسيتاح لنا البقاء أحياء مثلهم.

كان الهجير لاهبا، فجف فمي وكنت أرطبه كل نصف ساعة برشفة ماء. كذلك فعلت ماريا نتونيتا. قالت لي: "يا لهذا الماء! طعمه كالعسل! لم أذق مثله في حياتي."

مرّت ساعات ونحن نطوي مواكب من الكثبان الرملية. وقبيل غياب الشمس بلغنا سهلا مرتفعاً من الحجر الأسود، فتابعنا سيرنا بصمت الى أن غابت الشمس وتلاشى وهجها وراء الافق وأطبق ظلام دامس على السهل.

زوجة ورفيقة

أقمنا مخيَّمنا تلك الليلة. وجمع محفوظ بعض الحطب وأشعل النار وحضّر الشاي فيما كنا منهمكين بترتيب عدتنا. وقال معتذراً: "يجب أن أشرب الشاي أولا، والا ثار غضبي."

بعد تناول الطعام والشاي اللذيذ شعرنا جميعاً بحال أفضل. فجلسنا على الرمل الدافىء نراقب النار تخبو رويداً. كانت السماء مرصعة بالنجوم، وسمعنا حفيف خفاف الجمال القريبة التي حجبها الظلام وهي تتنقل متلمسة طعامها من الاعشاب النامية.

تنسّم محفوظ الهواء فتوقع مطراً. قال: "غداً سيهطل بعض المطر الذي يتبع اشتداد الحرارة في هذا الوقت من السنة. وسيترك بركا في الارض. وحين يتوافر الماء لا يخشى الحرّ. الماء نعمة من الله."

ثم تناول حرامه وابتعد عنا لينام على الرمل. وبسطت أنا وماريا نتونيتا حرامينا ونمنا متلاصقين. قلت معلقا: "حسناً، هذا هو اليوم الاول من رحلتنا، فهل تعتقدين أننا سنصل الى النيل؟"

أجابت: "نعم." وبعد دقائق استسلمت للنوم.

لكني بقيت مستيقظا. وفي أفق خيالي جُبت ٧٠٠٠ كيلومتر عبر الرمال الافريقية وصولا الى السودان حيث نهر النيل هدفنا المنشود. فاستذكرت المياه العميقة المتدافعة، ونور الشمس يداعب رقرقة الموج، والمياه المزبدة البيضاء المقرقرة من الشلالات، ومشهد الصحراء للمرة الاولى عن ضفاف النيل، وكيف خفق قلبي إثارة وتشوقاً لاستكشاف تلك الارض الغامضة المترامية وراء الأفق.

وتذكرت لقائي ماريا نتونيتا للمرة الاولى.

في مدينة الخرطوم عاصمة السودان وقع نظري للمرة الاولى على المرأة التي أصبحت زوجتي. كان ذلك في مارس (آذار) ١٩٨٥ وقد مرّت ست سنوات على اقامتي

في البلاد حيث علَّمت الانكليزية، لغتي الام، وارتحلت مع بدو الكبابيش. وأثناء مروري بالخرطوم ذات يوم تلقيت رسالة من أحد ممثلي منظمة الامم المتحدة للطفولة (يونيسف) يطلب نصيحتي في شأن استخدام الجمال في مشروع إغاثة. وطلب مني التكلم مع ماريا نتونيتا بيرو. وهكذا التقيت تلك الايطالية الناعمة التي سافرت الى كثير من أقطار الارض وأتقنت لغات عدة.

قالت بعدما نظرت الى سروالي الجينز ومظهري المشوَّش: "اذاً أنت هو الكاتب الخبير بالجمال! هل كانت رحلتك في السيارة طويلة الى هنا؟"

أجبتها: "لم آت في السيارة، فليست لدي واحدة. جئت ماشيا."

قالت: "أوه، أرى ذلك." ورمقت سروالي الجينز ثانية، فخيل الي أن أنفها شُكل خصوصا لاظهار الازدراء.

ثم أخذت تطلعني على عملها مع اليونيسف وهي مقطبة الحاجبين. أحسست رغبة ملحة في الخروج من مكتبها. وبعد انتهائها من الشرح استدرتُ ماشيا الى الباب، فانقطع رباط لاصق في حذائي، فتعثرت واحمر وجهي ارتباكا.

واذا بي أسمع قهقهة صبيانية عذبة صافية غيرت الجو وغيرت حياتي. قالت لي ماريا نتونيتا: "لا عليك، أنا سأصلحه." وأتت بدبوس صغير أزرق كتبت عليه عبارة "يونيسف هي للاولاد." وأنقذ الدبوس الموقف، وأسرتني تلك الضحكة المنعشة. ولا شك في أني وقعت في حب ماريا نتونيتا بيرو تلك اللحظة.

لم أطلعها الا لاحقاً على خطتي لاقتحام الصحراء الكبرى على ظهور الجمال عبر ستة من أشدّ بلدان العالم جفافا وقحلا، وكانت الحرب مستعرة في إحداها. وهي لم توافق على الزواج بي فحسب، بل صممت أيضاً على مرافقتي في مغامرتي.

ترددت طويلا وقلت لها: "ستكون الرحلة محفوفة بالمخاطر في قلب الصحراء الواسعة، برمالها المحرقة وشمسها اللاهبة وعواصفها الرملية وبردها القارس ليلا، وبالطعام الرتيب والماء الآسن والسير المتعثر يوماً بعد يوم في متاهات من الهضاب والوهاد والنجود والسراب الخادع. إنها مغامرة لم يقدم عليها أحد قبلنا... ولاسيما من اهل الغرب."

احتجَّت ماريا نتونيتا: "انني أصلب وأشد مما أبدو لك. لا أريد أن أقضي حياتي كلها وأنا أعلِّم البدو. أريد أن أتعلَّم مما عندهم."

كان في اصطحابها فوائد جمة، منها أنها تتكلم الفرنسية والعربية، اضافة الى أنها مصورة ممتازة. وأهم من ذلك أني أحبها. فأقنعت نفسي بأن اصطحابها فكرة صائبة.

كنت حددت واحة تشينغيتي في موريتانيا نقطة لانطلاقنا نتوجه منها جنوبيا – شرقا الى مالي حيث نتوقف في تمبكتو، بلدة القوافل الأسطورية القديمة، ومن ثمّ ننعطف

شرقاً الى النيجر مخترقين جبال آر وبحر الرمال في تينيري. ثم يتعين علينا استكشاف طريق لعبور التشاد حيث تحتم علينا الحرب الناشبة في الشمال الانحراف مسافة طويلة عن الطريق الرئيسية. بعد ذلك نصل الى السودان حيث نكون في سلامة وأمان نسبيين، ونتابع من هناك مسيرتنا الى نهر النيل.

خطّطنا لاستئجار أدلاّء والاستعانة بالخرائط والبوصلات. لكن اعتماد التكنولوجيا المتطورة لم يحطّ من الروح الوثابة التي دفعتنا الى التحدي والمغامرة.

اعتزمنا الانطلاق في شهر أغسطس (آب) القائظ لكي لا نَعْلق خلال فصل الحر التالي في الجزء الشرقي الأقحل من الصحراء الكبرى حيث يكون الجفاف والحرارة على أشدهما ونكون نحن في أدنى دركات الضعف. وحتى إن هطل المطر فلن يكون لنا منه الا فرج موقت. واذا قدَّرنا أن متوسط المسافة التي نجتازها يوميا على ظهور الجمال هي ٤٠ كيلومتراً، مع ما يرافق ذلك من تأخر وتوقف للاستسقاء، فستستغرق الرحلة قرابة تسعة أشهر.

في قلب الصحراء

في ٢٠ إبريل (نيسان) ١٩٨٦، بعد نحو سنة على لقائنا الاول، نزلت وماريا نتونيتا في موريتانيا الحارة حيث اعتزمنا قضاء ثلاثة أشهر نتدرب خلالها على العيش في مناخ الصحراء. ولكن ما لبث أحدهم أن أخبرنا أن اجتياز الصحراء على متون الجمال بات مستحيلا بسبب نضب عدد كبير من الآبار.

ارتاع الشيخ سيد أحمد حين بلغه عزمنا على السفر في فصل الصيف، وهتف: "السفر في الصحراء الكبرى محرم في هذا الفصل من السنة. فما من مغربيّ يعرف الصحراء يقدم على هذا العمل."

وحين خاب فأله في اقناعنا بالعدول عن رحلتنا الجنونية ضحك وقال: "ستكون هذه المغامرة امتحاناً عسيراً لكما." ثم علَّمنا كيف نشدّ الرحل المغربي على ظهور جمالنا في شكل كرسي بذراعين، وكيف نربط قِرَب الماء بحيث تتدلى على جانبي الجمل. كانت تلك القرب أثمن ما لدينا من متاع. وقال لنا سيد أحمد: "من دون الماء لن تعيشا يوماً واحداً في هذا الحر الحارق."

وأتانا بدليل اسمه محفوظ، وهو بدوي رقيق القوام متين البنية كأن صدره لفّ بأمراس من فولاذ. كان محفوظ يعمل مع القوافل، وجهه أسمر لوحته الشمس والابتسامة لا تفارق ثغره. وهو وافق على مرافقتنا داخل موريتانيا وصولا الى بلدة والاتا قرب الحدود مع مالي.

في ٧ أغسطس (آب) ١٩٨٦، اليوم التالي لانطلاقنا، طالعنا نذير عاصفة. فاكفهر

الجو بالغيوم وحملت الريح رطوبة. فجأة التمع ومض برق في الطريق أمامنا متشعبا كشجرة كهربائية زرقاء اخترقت الارض، وتلاه قصف رعد.

نصحنا محفوظ: "يستحسن أن ننصب مخيمنا."

قلت: "كلا، دعنا نجازف ونواصل السير حتى غياب الشمس."

في ذلك المساء نصبنا خيمتنا العربية. ولم يهطل المطر الا في الخامسة صباحاً، لكنه ضرب خيمتنا بعنف كانفجار. وتغلغلت الريح داخل خيمتنا وقلبتها بهبة واحدة. وبين الفينة والفينة كان وميض البرق يشق حجب الظلام، ويدمدم الرعد فوق رؤوسنا كأنه قصف مدفعي. وكان الظلام لا يزال مخيماً، وتدفق المطر بغزارة مخترقاً الرمل ومتسربا الى كل شيء.

بزغ الفجر كئيباً باهتاً، وتوقف المطر فعصفت ريح صرصر جليدية. فطفقنا نرتجف لاإراديا لشدة الصقيع، فيما انهمك محفوظ في إشعال النار لتهيئة شاي الصباح. قال إن علينا تجفيف كل شيء قبل الانطلاق، خصوصا الارحال التي تتمزق اذا استخدمت وهي مبللة.

قالت ماريا نتونيتا ضاحكة: "لم أشهد في حياتي ليلة كهذه".

فرد محفوظ: "الله كريم." ثم ضحك هو أيضا.

في الايام الثلاثة التالية اجتزنا أرضا عملت فيها مياه المطر فشقت في الرمل قنوات انساب فيها الماء الى برك بين الصخور. فكنا كلما سنحت لنا فرصة كهذه نملأ قربنا. ورأى محفوظ أن مياه المطر أفضل من مياه الآبار لانها ليست مالحة ولا كبريتية. ولا بأس لديه في أن يكون طعمها ملوّثاً بروث الجمال.

واذ أمعنا في السفر ازداد كل منا معرفة بعادات الآخرين. كان على محفوظ الاهتمام بأمور كثيرة. وكان يراقبني هازاً رأسه في الصباح وأنا أحاول ربط أمتعتنا بمتانة كما يفعل هو. قال لي مرة: "لا تقلق يا عمر" — وهو الاسم الذي كان العرب ينادونني به — "كل واحد يحتاج الى أن يتعلم."

كنا نمشي الساعات الثلاث الاولى من يومنا ثم نمتطي الجمال حتى الظهيرة، وعندئذ نبحث في كل اتجاه عن شجرة ننصب خيمتنا تحتها. ولم نكن نرى سوى أشجار قليلة عارية أشبه بهياكل عظمية، لكن شدة الحر كانت تدفعنا في النهاية الى القبول باحداها.

كانت ماريا نتونيتا تحضر طعام الغداء مما لدينا من الرز والمعكرونة والكوسكوس والسردين المعلب ولحم الغزال المقدّد. وكانت الحرارة تبلغ أشدها في منتصف النهار، فتقل شهيتنا للطعام ونرمي ما تبقى منه في الرمل، وهذا ما أثار محفوظ فكان يعبر عن إستيائه بهز رأسه. لكنه بدا أشد استياء لدى مشاهدته ماريا نتونيتا ترمي ماء القدر.

فقال لها مرة: "الماء عزيز جداً في الصحراء، ورميه جزافا جريمة نكراء."
حين وصلنا الى تيجيكجا، الواحة الاولى في طريقنا، ضحكت ماريا نتونيتا وبادرتني: "قلت اني لن أقوى على القيام بالرحلة!"
بعد الواحة الخضراء اجتزنا مفازة بدت كأنها مقبرة واسعة. فقد انتصبت فيها أشجار عارية كأنها هياكل من فولاذ. وكانت الارض مكسوة بعظام الجمال والماعز المبيضة المبعثرة هنا وهناك. فتعبت جمالنا الثلاثة وحلّ بها الظمأ وقلت مؤونتنا من الماء ونال منا الحر الشديد. حتى محفوظ نفسه هتف لائعاً: "والله العظيم انه ليوم حار!"

أين الجمال؟

كانت الجمال تتعثر نزولا في منحدرات رملية حادة وتخوض أغواراً طويلة من الرمال العميقة. واذا بجمل ماريا نتونيتا يكبو فجأة ويقتعد الرمل ويطبق فكيه على رسنه. فأدركت أنه لولا تألمه لما فعل ذلك. واذ لم يسعنا أن نتوقف أرغمناه على النهوض ركلا وشداً وتابعنا مسيرتنا المضنية. وحين توقفنا لاحقاً تفحصناه فوجدنا بثرتين ملتهبتين في جانبيه مبعثهما احتكاك الرحل بالجلد.
ثبتُّ رأس الجمل بين يدي فيما استل محفوظ سكينا من جيبه وبَضع الجلد ثلاث بضعات في كل من الجانبين لكي يتسرب السم من الورم. ولما انتهينا أطلق الجمل "غورقاف" نهدة حارة فيما كنا نترقب أن يزمجر غضباً.
كان ذلك أحرّ الايام في أحرّ فصول السنة. بدت الارض كأنها كتلة مشتعلة. وكانت الريح تصفعنا بهبات كأنها شعلات منبعثة من قاذفات لهب. وقرابة انتصاف النهار رحنا نبحث عن شجرة نستظلّ بها فلم نعثر على واحدة. ولشدة الرمضاء استحال علينا الوقوف على الرمل الحارق، فنصبنا خيمتنا ولجأنا اليها، لكن الجو داخلها كان خانقاً. فهيأت لنا ماريا نتونيتا شراباً مغربياً يسمى "زريغ" محضراً من الحليب المجفف والسكر والماء. ثم ركعنا وطفقنا نصلي لكي يبعد الله عنا هذا الجحيم المستعر.
قالت ماريا نتونيتا: "يتكرر في مخيلتي ذلك الاعلان عن مشروب مرطب حيث تغطس فتاة في حوض سباحة أزرق وينفجر عصير الليمون المحلى من زجاجة هناك. وأرى أيضاً أطباق السلطة اللذيذة التي كانت أمي تهيئها لنا، بل اني أستطيع شمها."
ضحكتُ، وخيل الي أنا أيضا أني أشمها.
في منتصف الطريق بين تيجيكجا وولاتا ازداد قلق محفوظ فقال: "من هنا الى ولاتا نجتاز أصعب المراحل. فلا واحات ولا مخيمات. ها نحن منفردون نواجه قدرنا بأنفسنا." وحجب ضباب العاصفة الرملية معالم الطريق وزاد تقدمنا صعوبة.



وصول القافلة الى واحة ديبيلا في النيجر.

وما أن توقفنا في الظهيرة وأنزلنا أمتعتنا عن ظهور الجمال حتى اختفى محفوظ في عباب الضباب الرملي. قالت ماريا نتونيتا: "انه قلق، لا شك في ذلك." ومرت ساعة ولم يبن لمحفوظ أثر، فعزمت على البحث عنه، لكن ماريا نتونيتا ردعتني قائلة: "إنه يعرف طريق العودة."

وما عتم محفوظ أن ظهر كأنه انبثق من العدم، وأكبَّ من فوره على اعداد الشاي. واذا بقسمات وجهه الدقيق المستطيل تنفرج عن ابتسامة عريضة، قال لنا: "لا تقلقا، سنعثر على بئر نرتوي منها."

تابعنا سيرنا متعثرين في الكثبان والضباب الرملي يلفنا والجمال تزحر جاهدة متسلقة المنحدرات الناعمة.

في تلك الليلة تعذَّر المرعى على الجمال فأطعمناها حبوباً وتركناها على الكثبان القريبة. وقبيل الفجر دوى الرعد فجأة وسطَّرت البروق أخاديد مضيئة في سماء الليل وذرّت الريح الرمال على النجود والهضاب. لكن المطر انحبس. وفجأة صاحت ماريا نتونيتا: "أين الجمال؟"

تبادلت ومحفوظ نظرات يائسة اذ لم نكن لاحظنا اختفاء الجمال، وصحت به: "اعتقدت أنك قيدت قوائمها!"

فرد صائحاً: "وأنا اعتقدت أنك أنت قيدتها!"

كانت الريح طمست كل أثر لخفاف الجمال. وعند الفجر حمل محفوظ قربة ماء وانطلق للبحث عن مطيّاتنا التائهة. وارتقيت أنا أقرب الكثبان وربطت كوفيَّتي الزرقاء بعود مشكوك هناك لكي يستهدي بها محفوظ وتطلّعت الى مخيمنا فبان لي جزيرة

صغيرة وسط بحر من الرمال المتماوجة الى أبعاد الصحراء. وغاب محفوظ عن ناظري، وأدركت أنني لو كنت مكانه ولا بوصلة لدي لأضعت اتجاهي في عشر دقائق.

مضت ساعة على غياب محفوظ خلتها دهراً من القلق والخوف وتأنيب الذات. ولم أجرؤ على التفكير في ما قد يحل بنا إن لم يعثر محفوظ على الجمال أو اذا تاه لاحقاً بها. واذا بصفير محفوظ يتناهى الي من وراء الكثيب القريب وهو عائد يقود الجمال الثلاثة مربوطة بكوفيته التي أولجها في حلقات أنوفها. وعندما وصل الينا هتف: "الحمد لله انها لم تبعد كثيراً، والا وقعت الكارثة وهلكنا حتماً."

كنت خلال المسيرة أتفقد البوصلة فأجد أن اتجاهنا لم يتغير. فلو تابعنا السير شرقاً لوصلنا الى المرية، ربع موريتانيا الخالي. وترددت في تنبيه محفوظ، لكني أخيراً ناديته: "محفوظ! إننا نتجه شرقاً، والبوصلة تشير الى أن الجنوب هو الى اليمين."

فرد ساخراً: "هذه هي طريق الجنوب، لا كما تدلك بوصلتك!" وضعت البوصلة على الرمل فاذا بالابرة الحمراء تشير الى أن الجنوب هو الى يميننا. لكن محفوظ رسم في الرمل بوصلة شمسية في شكل صليب وقال: "هذه هي اتجاهاتي! شمال – جنوب – شرق – غرب!" ثم غرز بينها عوداً وأضاف: "حين تميل الشمس الى المغيب وترتسم الظلال على الارض سنرى من منا على صواب!"

كان ذلك تحديا، فانكفأنا الى الظل ننتظر حتى غلب علينا النعاس. واذا ماريا نتونيتا توقظني فجأة هاتفة: "انظر!"

كان الظل الذي يدل على الشرق واقعاً بوضوح حيث رسم محفوظ جهة الجنوب.

بدا ذلك نصراً فارغا. وحين أقرّ محفوظ: "حسناً، انك دليل أفضل مني،" تمنيت لو كنت أنا على خطأ وليس هو.

كان أحد المعلمين في تشينغيتي أخبر محفوظ أن الارض مستديرة وأن المرء اذا سار في خط مستقيم فسيعود الى نقطة انطلاقه. وقال له المعلم أيضاً إن الارض تدور حول الشمس. وحين أكدت له الامرين استشاط غضباً منفساً عن عواطفه المكبوتة: "هذه ترهات! الشمس والقمر يسيران في كبد السماء. الشمس تدور لا الارض. لا جدل في ذلك."

سألته: "وماذا لو سرت في خط مستقيم أبداً؟"

قال: "تصل الى النقطة حيث تنتهي الارض، واذا تابعت سيرك سقطت."

في تلك الطبيعة المنفرة الموحشة كاد يغلب علي تصديق كلام محفوظ.

عثرنا مرة على بعض ماء المطر مختزناً في الصخور كأنه نثرات من الفضة. قال محفوظ: "هذه نعمة من الله. لا شيء أثمن من العثور على ماء في الصحراء حين لا تتوقعه." وكانت تلك هي "النعمة" الاخيرة التي أسبغت علينا.

ظمئت الجمال وظمئنا نحن أيضا وقلّ الماء في القرب التي انكمشت الى حد انذر بالخطر. ودخلنا متاهة من القحط والفراغ حيث لا أثر لماء المطر ولا لأقدام ماعز وجمال ورجال. لم يدب على تلك الارض القاحلة الجافة بفعل الريح والشمس الا بعض الغزلان البيض التي شاهدناها تثير سُحبا من الغبار. قال محفوظ وفي صوته رنة امتزج فيها الامل والاحباط: "ليتنا كالغزلان، فهي لا تشرب الا أيام الجمعة."

قرع طبول

خلّفنا كثبان الرمل وراءنا ودخلنا أرضا منبسطة حمراء قام في أحد جانبيها صدع صخري هائل يرتفع ٦٠ مترا ويمتد في الصحراء الغربية ما يزيد على ١٥٠ كيلومترا. والى الجانب الآخر امتد بحر مخيف من الرمال. ولم يبق لدينا من الماء الا قربة واحدة.

قدّر محفوظ أن في الطريق أمامنا بئرين، فما علينا إلا الحفاظ على ما تبقى لدينا من ماء وتعليل النفس بالعثور عليهما.

استيقظنا عطاشا، وما انتصف الصباح حتى كنا نتلوى على رحالنا بسبب آلام في الكلي. وانصبَّت علينا الحرارة كالزيت الغالي، وكدنا نختنق بالغبار الذي أثارته مناسم الجمال والذي سبب وخزا في أعيننا. ولم يظهر أي دليل على بئر ماء.

انتصف النهار فانطلق محفوظ من المخيم مستكشفا. وتسلقت أنا جرفا رمليا قريبا وحاولت تحديد مواقع الهضاب الصغيرة المحيطة بنا على خريطتي، فلم أفلح. ولم تكن لبوصلتي أي فائدة، فعدت الى المخيم. ولدى دخولي كدت أصطدم بمحفوظ الذي ظهرت دلائل الخيبة على محياه. سألني: "بماذا أفادتك بوصلتك العظيمة؟"

فاعترفت: "لا شيء، لا شيء البتة."

حلّ الاصيل وما زلنا نسير في محاذاة الصدع الصخري الذي بدا لا ينتهي. فجأة أوقف محفوظ جمله واستدار نحوي ووجهه ينمّ عن منتهى الانهاك واليأس والاخفاق، وقال: "لقد خاب ظني يا عمر. اعتقدت أن البئر هنا، لكني أخطأت التقدير."

سألته: "أتعني أننا ضيعنا البئر؟"

أجاب لاهثا: "بل أضعنا البئرين."

نزل كلامه كالصاعقة علي وعلى ماريا نتونيتا، فارتعبنا لفشلنا القاتل في العثور على أي من الآبار الثلاث، علما أن أقرب بئر بعدها – واسمها بئر النصارى – تبعد مسيرة يوم. ولم يبقَ لدينا الا ما يكفي شربة واحدة لكل منا ليلا، وفي الغد لن تكون لدينا نقطة.

كان أملنا الوحيد في الخلاص أن نلتقي أناسا في الصحراء، لكننا لم نشاهد أحدا منذ تسعة أيام. وحين دللت محفوظ على رجل راكب جملا قال لي: "تلك شجرة، لا أناس في هذه البقاع، تجدهم فقط حيث يهطل المطر."



(فوق) البحث عن "ابو طبرى" البئر الوحيدة في السهل السوداني الصخري على مسيرة عشرة أيام من نهر النيل.

(الى اليسار) مايكل ومحفوظ يجففان اوراق الشاي.

وبعد مسيرة مضنية خلناها دهراً اقتربنا من "الرجل" فوجدناه شجرة.

كنت سابحاً في خيالي على الجمل، أرى أمامي زجاجات من الشراب المنعش وأفكر في نهر النيل ورغبتي اليائسة في الوصول اليه وهو ما زال على بعد ٥٥٠٠ كيلومتر. واذا بزوجتي توقظني من أحلامي صائحة: "ناس! ناس!"

أفقت وتطلعت فرأيت أشخاصاً بين شجيرات شائكة. وتبينت نساء في أثواب زرق ورجالا وجمالا وحميراً ترعى عشباً أخضر وقطيعاً من الماعز. تقدمنا وأنخنا جمالنا قريباً من خيمة شعر. فخرج رجل مسنّ أقبل نحونا وهو يعرج وصافحنا سائلا: "أنتم ذاهبون الى والاتا؟ انكم على وشك الوصول اليها!" ثم قدم الينا سلطانية من حليب الماعز الطازج.

فتناولتها وهمست: "الحمد لله!" خرجت الهمسة من أعماق قلبي ومأساتي ومعاناتي. فأنا لم أشعر في حياتي بالامتنان العميق لنعمة الله كما شعرت تلك اللحظة.

وصلنا في اليوم التالي الى بئر النصارى، فوجدنا حولها بسطة من العشب الاخضر الناعم كأنها طاولة بلياردو. واذ تفحص محفوظ البئر وجدها ناضبة فقال: "الحمد لله الذي أنعم علينا فالتقينا أولئك الناس ليلة أمس."

قبل غياب الشمس أطللنا على مدينة والاتا. ولدى اقترابنا تناهى الينا قرع طبول وعزف آلات موسيقية. بعد سكون الصحراء المطبق الذي لفنا طوال سفرتنا وجدنا الصخب أمراً غير عادي واعتقدت أن أذني تخدعانني.

نصبنا خيمتنا، ثم هيأ محفوظ الشاي فتبادلت وماريا نتونيتا نظرات الحنان. كنا حديثي الزواج، ولم تتح لنا الرحلة مختلى مريحاً.

كانت الموسيقى بهيجة كأنما ثمة حفلة. فسألت محفوظ: "يبدو أن في البلد عرساً. ألا ترغب في الذهاب الى هناك؟"

أضافت ماريا نتونيتا: "لا بأس بالفكرة، ولا بد أن الاكل والشرب متوافران بكثرة."

همّ محفوظ بالنهوض ثم قال: "لكنكما ستبقيان وحيدين."

أجبنا: "لا تقلق يا محفوظ. اذهب أنت واستمتع بوقتك."

وما هي الا دقائق حتى غسل محفوظ وجهه ولبس ثوباً نظيفاً وتوارى في الليل.

تنهدت ماريا نتونيتا قائلة: "أخيراً، ها نحن لوحدنا!" ودخلنا الخيمة.

في تلك اللحظة سمعنا صوتاً ينادي "عمر! أين أنت؟" أطللت الى الخارج فرأيت محفوظ يبادرني بابتسامة عريضة: "لم أقوَ على الذهاب. ليس من الصواب أن أترككما وحيدين بعد كل ما عانيناه معاً."

لعنة الشيخ أحمد

التقينا في أكبر متاجر والاتا تاجراً يدعى مولى علي، وهو رجل ضخم البنية ذو مظهر فظ يتناقض وأدبه. احتوى متجره على كل شيء، من قهوة "نسكافه" الى الفواكه المعلبة. وهو وعدنا بأن يجد لنا دليلا بدلا من محفوظ الذي اعتزم العودة الى عائلته في تشينغيتي.

كان الدليل الاول الذي عرض علينا حليق الوجه ذا عينين مراوغتين وشعر مزيت، تفوح منه رائحة عطرية خفيفة. وشعرت أن علي أخذ موقف حذر منه. قال وهو يشعل سيجارة: "اذا أنت هو الغربي الذي يطلب دليلا الى تمبكتو. أنا أفضل دليل في والاتا، وأريد أجرتي ٣٠ ألفاً اضافة الى أجرة الاياب."

قلت له: "لن ندفع أجرة اياب."

فصاح: "هذه حماقة." واتقدت عيناه غضباً.

قلت: "لا أعتقد أنا سنتفق. ألا ترى ذلك؟"

فرمى سيجارته وسحقها بصندله قائلا: "ستندم على ذلك!" وانصرف.

قال صاحب المتجر معتذراً: "ذلك كان الشيخ أحمد."

وعرَّفني لاحقاً الى دليل آخر اسمه مختار ولد سيدي، وهو طويل القامة نحيف اعتمر عمامة تدلت على وجهه الوسيم. صافحني مختار مشيحا بنظره، فرأيت فيه خجلا محببا.

وافق مختار على مرافقتنا الى تمبكتو. وقال: "هناك مشكلة واحدة يجب أن أذكرها. لم أقطع المسافة كلها على متن الجمال من قبل، بل قطعت ثلثيها والبقية بالسيارة."

أعجبتي صراحته. وكان محفوظ أبى مفارقتنا قبل أن نجد دليلا جديداً. وهو أحب مختار وطرح عليه أسئلة دقيقة ثم أخبرنا: "ان مختار هو من أفضل الأدلاء. خذاه معكما." فعرفت عندئذ أننا حظينا بدليلنا الثاني.

وعدت محفوظ بوجبة وداعية من اللحم الطازج. فابتهج للأمر، ووضع اللحم على نار مكشوفة وتناولنا معا عشاء شهيا.

تلك الليلة دفعت له بدل أتعابه، وسألته: "ماذا ستفعل بهذا المبلغ كله؟"

أجاب: "كله معروف أصلا، فالمبلغ الذي اعطيتنيه في تشينغيتي أُنفق لشراء مؤونة لعائلتي، وستذهب البقية لتسديد الديون الى الدكاكين."

وفكّر لحظة ثم أشار الى كوفيته البالية اشارة نفذت الى أعماق مشاعري، وكان استخدمها رباطا لجرّ الجمال الثلاثة التائهة ذلك الصباح المريع. ورأيت أن أدفع له ثمن كوفية جديدة مكافأة له وإن زهيدة على مرافقتنا في رحلتنا القاسية في هذا الوقت المضني من السنة.

لقد أصبح محفوظ بمثابة أخ لنا، وشعرت بوحشة لفراقه.

صباح اليوم التالي تجمع بعض أهل المدينة لوداعنا، ووقف محفوظ معتمراً كوفيته وعقاله الازرقين الجديدين، وكانت نصيحته الينا في وداعنا: "لا تنسيا ملء قربكما كلها. اذا كان لديكما ماء فانكما قادران على أي شيء. الله معكما!"

امتدت أمامنا أبعاد ومفازات وكثبان لا نهاية لها. قال مختار: "يسير المرء أياما في هذه البوادي فلا يتغير عليه شيء، ومن السهل أن يضلّ السبيل."

سارت الجمال بخطى رتيبة كأنها دوابّ آلية. وحفظنا عاداتها فلم تعد تزعجنا: "غورفاف" الطمّاع يعضّ رفيقيه أثناء الاكل، و"ليشل" الصغير يئن ويبصق باستمرار، و"شيغار" رائع بغاربه النبيل وخطاه الواسعة وهدوئه وصبره على المكاره. كان "غورفاف" الوحيد بينها الذي سبب لنا المتاعب. فالقروح في جانبيه لم تكن

التأمت تماماً، وعالجها مختار كما عالجها محفوظ قبله ونصحنا بابدال "غورفاف" بجمل آخر لدى توقفنا في تمبكتو. فالجروح لن تندمل ما دام "غورفاف" مركوباً والرحل مشدوداً الى متنه.

كان مختار ملماً بكل الامور تقريباً، يعمل بكياسة ودراية ويعرف الابراج التي تدل على تغير الفصول. كان مقتفي آثار رائعاً، يدل عليها كأنه يقرأ في كتاب: "هذه آثار ناقة مضى عليها يوم واحد، وهذه آثار ابن آوى مرّ قبل لحظات من هنا."

إنما شانَ إلمام مختار اخفاقُه الذريع في العثور على بئر ملأى واحدة. سرنا جنوباً، وفقاً لنصيحة الشيخ أحمد الدليل المراوغ الذي رفضناه، أربعة أيام على غير هدى. فاستهلكنا معظم مائنا ولم يبق معنا سوى قربتين. قال مختار قلقاً: "لست افهم لماذا قال لنا الشيخ أحمد أن هذه هي الطريق الصحيحة."

لكني أدركت السبب فجأة فقلت لمختار إن الشيخ أحمد، بعدما رفضته، هددني قائلاً: "ستندم على ذلك."

هتف مختار: "لا اله الا الله! لعنة الله على الشيخ أحمد!"

أخيراً حظينا ببئر قرب حدود مالي، فارتوت الجمال من الماء العكر حتى كادت بطونها تنفجر. وراحت في تلك الليلة تقضم العشب الغضّ بنهم. وفي مساء اليوم التالي خيمنا في مالي.

قالت ماريا نتونيتا: "للمرة الاولى أدخل بلداً جديداً من دون أن يُطلب مني إبراز جواز سفري."

خسوف في الصحراء

هطل المطر تلك الليلة. وأفقنا في الصباح فرأينا ألوفاً من الازهار الكبيرة الرائعة قد تفتحت وغطت السهل. وانعكس نور الشمس على قطرات الندى فحولها ملايين من الالماسات الأخاذة المتلألئة.

ولكن رافق الرطوبة ضيوف غير مستحبين. اذ فيما كنا نشد الرحال هبط منها على الارض عقرب ضخم أخضر شبه شفاف هو أكبر عقرب رأيته في حياتي. فسحقه مختار بعصاه، لكنه ظل يقاوم ويضرب بكماشتيه وذنبه. وخفنا من وجود عقارب أخر، فتوخينا الحذر في تحميل أمتعتنا.

كنا أحياناً نشاهد رجالاً من البدو راحلين الى مراع خضر مع جمالهم ومعزاهم أو منهمكين في نصب خيمهم. وكان معظمها على شكل خيم المغاربة الهرمية. ثم بدأت تطالعنا مساكن بدو الطوارق البيضوية الشكل والمسطحة قليلاً.

وكنت أتوق الى مقابلة أولئك المحجبين من أبناء الصحراء.

حضر الطوارقي الاول الى مخيمنا ظهراً. ويعتمر الطوارق كوفيات نيلية يلفون بها وجوههم فلا تظهر منها الا عيونهم.

في ١٦ سبتمبر (أيلول) ظهرت في الأفق أبراج تمبكتو، مركز تجارة الذهب والملح منذ منتصف القرن الرابع عشر. وبانت أسوار المدينة عند الاصيل غارقة في كثبان الرمال، قاتمة منفرة أماتت فينا الرغبة في مغادرة "السلامة" التي ألفناها في الصحراء، وكأنما الصحراء صارت جزءاً منا.

غابت عن تمبكتو صورة "المدينة الذهبية" الاسطورية القديمة التي علقت بالاذهان. فرأينا من نافذة فندقنا شوارع عطشى وجمالا هزيلة ناتئة العظام وصبية صغاراً يسوقون حميرا. لكن الكهرباء وصلت الى المدينة. وطلبنا في أحد الدكاكين كوبين من عصير البرتقال، ولما فُتحت الثلاجة انبعثت منها نفحة جليدية، وشعرت بالعصير بارداً كماء القطب ولذيذا كالرحيق. قالت ماريا نتونيتا: "هذا العصير المنعش يستحق قطع ألف كيلومتر للتلذذ به."

مكثنا في تمبكتو ريثما تيسر لنا العثور على دليل جديد وشراء المؤن وابدال "غورفاف" المريض. كانت أغادين، في بلاد النيجر، محطتنا التالية، وهي تبعد ١٥٠٠ كيلومتر وتشكل علامة فارقة في منتصف طريق رحلتنا.

انحبست الامطار ووجدنا أنفسنا، وفق الارصاد الجوية، عالقين في "أرض حرام" واقعة بين موسم الامطار الصحراوي وفصل الشتاء الذي يشهد انبعاث حرارة الصيف. وبدأت تطغى علينا تأثيرات المسافات الهائلة الضاغطة، تلك التي خلّفناها وراءنا وتلك التي ما زالت أمامنا. وكأن حياتنا باتت رتابة فارغة من أي معنى، فكنا نسير كأننا ندور في حلقة مفرغة حيث لا تغيير الا في الوقت.

بدا القمر ذات ليلة كأن أحدهم قضم جزءاً من أعلاه. ثم أتسع القضم فأدركت فجأة أني أشاهد خسوفاً. فوقفت مفتونا فيما انحسر النور حتى لم يبقَ ظاهراً من القمر الا خط رفيع في أدناه. بعد أشهر من السفر في الصحراء اكتسبت حدساً بديهياً لحجم الكرة الارضية واتساعها وصغرها، وبدت لي رحلتنا حدثا صغيراً تافهاً في خضم الاحداث الأزلية الجسام التي تسيِّر الكون بدقة فائقة.

لم تخفّ شدة الحرارة ولم نعثر على برك ماء ولم نلتقِ أحداً. وتعبت الجمال وقل الماء لدينا وما زال نهر النيل حلماً بعيداً يراودنا كأنه خارج حدود الكون. ولكن لم يعد يخامرني شك في قدرة ماريا نتونيتا على إتمام الرحلة. فما حققته الى الآن كان عملا فريداً. وخلال ثلاثة أشهر منذ مغادرتنا تشينغيتي حدث أمر رائع أعجز عن شرحه. فقد بدأنا الرحلة شخصين يحملان هويتين مختلفتين، فامتزجنا تدريجا وصهرتنا المعاناة في شخص واحد.

دخلنا أغاديز صباح ٧ نوفمبر (تشرين الثاني). وكانت الشاحنات الثقيلة تمر بنا هادرة على الطريق الرئيسية. وقد ارتعبت الجمال لصخب تلك "الوحوش" التي تقذف الابخرة فأجفلت وراحت تشيح برؤوسها.

قصدنا السوق لابدال مطايانا، فأبدى اعرابي متجهم الوجه يدعى نجم رغبة في شرائها. لكنه لاحظ: "انها ضعيفة جداً!"

أجبته: "لو قطعتَ المسافات التي قطعتها هذه الجمال لكنت أنت ضعيفاً مثلها."

فضحك نجم وقبل شراء الجمال الثلاثة. وحين رأيته يقتادها شعرت بغصَّة وأسى لعلمي أنها ستغيب عنا الى الابد. فقد صرت، لطول الرفقة الحميمة، مولعا بها، خصوصا "شيغار" الصبور الهادىء الذي حملني طوال الرحلة من تشينغيتي التي تبعد ٣٠٠٠ كيلومتر. وهذه المسافة، بحسب خريطة "ميشلان" التي كنت أستهدي بها، تمثل نصف عرض القارة الافريقية من أدناها الى أقصاها، وقد اجتزناها في أقسى أوقات السنة. وكنت أعلم في أعماقي أن الفضل في نجاحنا يعود أولا الى تلك الجمال الرائعة التي حملتنا وسارت بنا ضاربة في البيد، طاوية النجود والوهاد، ظمأى، منهكة، جريحة أحياناً. فلا عجب اذا دعاها العرب "هبة الله" وقيل إنها "سفينة الصحراء."

مصاعب مع الجمال

استغرق حصولنا على اذن لاجتياز بلاد النيجر قرابة شهر، وذلك "لأسباب أمنية" كما أفاد مسؤولون رسميون. وبعد انجاز ترتيبات الرحلة انطلقنا في أوائل ديسمبر (كانون الاول) ومعنا خمسة جمال، اثنان منها لحمل العلف بسبب قلة المراعي في بيداء تينيري.

بدت جمالنا الجديدة قوية، خصيَّة ذوات أسنمة مكتنزة. وكان أحدها شائخاً متمرساً في قوافل الملح، فسميناه "شيبان."

وكان دليلنا الجديد أودونغو آغ ابرهيم رجلا في الستين، طيبا كجد عطوف، ذا وجه أجرد فيه براءة الاطفال وقد غطاه بكوفيته كعادة أبناء الطوارق.

في ١٣ ديسمبر (كانون الاول) عبرنا سوق أغاديز حيث هتف لنا الناس، ثم انعطفنا حول خزانات النفط الفضية اللامعة مروراً بأرتال من الحمير المحملة حطبا من التلال. وما ان صرنا خارج المدينة حتى أزاح أودونغو كوفيته عن وجهه اشارة الى أننا سنكون أصدقاء.

واذ توقفنا لشد أمتعتنا المحملة تملّص أحد الجمال، الذي سميناه "فلفل"، وراح يعدو بعيداً. فلحق به أودونغو على جمل آخر، وحين قاربه رمى بنفسه في الهواء وحط

على رحل "فلفل." فأجفل هذا وزمجر غاضباً وشرع يرفس بقوائمه الى أن ترنح أودونغو وسقط عنه. فهرعت اليه وقد نهض، فوجدت رسغه الأيسر مرضوضاً وغير مكسور. فدلكته ولففت ساعده بضماد قائلا في نفسي: "يا له من عجوز شجاع، لو كنت مكانه لما تجرأت على هذا العمل."

بعد لحظات تقدمت ماريا نتونيتا بهدوء من الجمل الشارد ولجمته كأنها اعتادت هذه الوظيفة منذ سنوات.

أهدر هذا الحادث ثلاث ساعات من يومنا، حملنا بعدها أمتعتنا وانطلقنا متثاقلين في مسيرة صامتة طوال الهجيرة حتى العصر. وحين بدأنا نحس البرد أرادت ماريا نتونيتا أن ترتدي جواربها القصيرة وهي على متن الجمل. فانحنت لكي تطاول قدميها، فمال الرحل معها على نحو خطر. فصاحت: "إنني أهوي!" وانقلب الرحل وسقطت هي تحت قوائم الجمل.

علق حزام الرحل حول قوائم البعير، واذ سحبتُ ماريا نتونيتا من تحته راح يرفس الرحل مسعوراً ويرغي ويزبد ويلتفّ يمنة ويسرة وعيناه تقدحان شرراً. وظل يدوس الرحل ولم يهدأ حتى سحقه. الا أني لبثت ممسكاً بزمامه حائلا دون فراره.

هتفت ماريا نتونيتا وهي ترتجف مصدومة: "الله أكبر!" ووقفت تحدق الى حطام رحلها.

لم يعد لنا خيار الا المشي ريثما نجد رحلا بديلا. وأمسكت يد زوجتي برهة فوجدتها باردة صغيرة ناعمة كيد طفل.

بحر الرمال

في غضون الايام القليلة التالية انحدرنا من مرتفعات آر فكان الطقس يزداد برودة مما حملنا على ارتداء ستراتنا وانتعال جزماتنا على الدوام. ولشدة البرد لم نكن نتوقف الا بضع دقائق لتناول الغداء الذي اشتمل على وجبة طهيت في المساء السابق وحفنة من التمر. وعاودنا الحنين الى أيام الراحة والتفيؤ بخيمتنا عند الظهيرة. واخترق البرد أجسادنا حتى العظام وأنسانا الحر اللاهب الذي كابدناه قبل أسابيع. وأضنى الصقيع الجمال فاشتد لهاثها وكادت تختنق. والتفّ أودونغو العجوز بحرام قديم رثّ وراح يعرج في مشيته وقد ارتسمت على محياه الاجعد تعابير البؤس والأسى. قال: "أنا مثل شيبان العجوز. لقد أنهكتنا صحراء تينيري نحن الاثنين."

كانت تلك الصحراء قاحلة مقفرة لا أثر فيها لبشري. ولئن كنا على احدى طرق القوافل الرئيسية فقد صعب علينا أن نتصور وصول أي كائن قبلنا الى هذه الارض البدائية. وطالعتنا لافتة من الفولاذ الاسود تشير الى أننا دخلنا بيداء تينيري المقفرة.

وما لبثنا أن رأينا قافلة ملح ضمت ١٠٠ جمل تسير مربوطة بحبلين فضيين كأنها دودة "أم أربع وأربعين." واذا بثلاثة رجال يندفعون نحونا عبر الرمال ولا غاية لهم الا مصافحتنا والاتصال البشري في هذا الفراغ.

ذات ليلة أقمنا مخيمنا الى جانب هيكل سيارة محترقة. سألت أودونغو عما اذا كان يعرف ما حل براكبي السيارة، فأجاب: "الله أعلم! هنا في تينيري تجد كثيراً من السيارات المدمرة." قال ذلك بخشوع نم عن احترام لذكرى أولئك الذين هلكوا.

كان كثيرون يموتون في هذا القفر كل سنة، الى أن باشرت الحكومة النيجرية نصب أعمدة معدنية لافتات تدل على الطريق الواجب سلوكها. ولولا هذه الاعمدة لاستحال السفر في الاتجاه السوي.

خلَت المنطقة كليا من معالم الحياة. كانت بحراً واسعاً من الرمال الاعظم في الصحراء الكبرى وتفوق الربع الخالي في شبه الجزيرة العربية اتساعاً. كان فراغها خانقا. فباستثناء أعمدة الارشاد لم تكن ثمة نأمة ولا حركة ولا رفة ظل عابرة تلفت النظر وتبعث شعوراً بالانفراج، بل سكون مطبق كسكون القبور وعالم من العدم والوحشة والفناء. وزاد السراب في ضياعنا، اذ تقدمنا الى مواضع حسبناها تلالا رملية فاذا بها تتبدد وتسفر عن تموجات خفيضة من الرمال لا يعدو ارتفاعها بضعة سنتيمترات.

قالت ماريا نتونيتا: "يا لعظمة الخالق الوهاب الذي أوجد هذا النظام الدقيق! ان هذه العظمة تشعرك بالاتضاع. الصحراء هي حقاً أرض الله."

فتذكرت قول محفوظ: "كل من لا يؤمن بالله هو أعمى."

كان شروق الشمس وغروبها المقياس الوحيد لدينا لضبط الوقت. فقد انبسطت الرمال أمامنا مواكب تليها مواكب من الكثبان والسهول والوهاد. وكالموج الجارف محا الرمل آثار الجمال والبشر وذرّته الريح فوق الرمال العذراء حاجبة الاودية تحتنا. فكنا اذا سرنا على حافة منحدر نخال أننا نسير على حافة العالم. تُرى أهذا هو المكان الذي عناه محفوظ "حيث تنتهي الارض، فاذا ظللت سائراً سقطت في الهاوية"؟

في ٢٤ ديسمبر (كانون الاول) رأينا غرابين يحطان على الرمل. وما لبثنا أن شاهدنا على امتداد الافق خطا رصاصيا لأجراف بلدة فاشي ارتسمت عليه أشكال أشجار النخيل الباسقة هناك. وكان منظر الاشجار الخضر في تلك الأرجاء المجدبة عجائبيا حقا.

وما ان نصبنا مخيمنا حتى أطبق علينا الظلام. وكانت تلك ليلة الميلاد، ولها ذكرياتها الماضية والمستقبلية في حياتي. كانت للميلاد رنة عاطفية حميمة تدعو الى اجتماع الشمل، لكنني كنت واثقا بأني، في هذا العيد بالذات، أؤثر أن أكون مع زوجتي

وهذا الطوارقي العجوز في هذه الجزيرة الخضراء وسط عظمى صحارى العالم، على أن أكون في أي مكان آخر على الارض.

أفقنا على دمدمة مئات الجمال في قافلة الملح التي حطت رحالها ليلا بقربنا. وكانت الجمال باركة تحتنا بين أشجار النخيل وحولها جبال من أكياس الملح والرحال وبالات التبن.

وعندما استيقظت صباحا اذا بجورب ضخم ملقى على كيس نومي، وداخله بسكويت وتمر وفرشاة أسنان جديدة ومفكّرة صغيرة وقطعة سكر وقطعة صابون، وفي أسفل الجورب قطع من الفحم النباتي. وضحكت ماريا نتونيتا قائلة: "في ايطاليا يهدي بابا نويل فحما الى الاولاد السيئي السلوك."

فقبّلتها وتمنيت لها ميلاداً سعيداً.

قطط وفئران

تناهى الى مسامعنا في المخيم صوت جهاز راديو بدا دخيلا نافراً متنافيا مع سكون الصحراء الذي لفنا طوال أشهر. للمرة الاولى نسمع صوت راديو في الصحراء. قال دليلنا الجديد مؤمن: "يدور في التشاد قتال مرير، اذ تحاول قوات الرئيس التشادي حسين حبري طرد المناوئين من تيبستي."

طفقنا نقوِّم هذا الخبر في أفكارنا غير عارفين ما اذا كان في مصلحتنا أم لا. كان النزاع دائراً حول جبال تيبستي الواقعة على الحدود بين ليبيا والتشاد. وبدت المشاكل السياسية المعقدة في العالم الكبير خارج مخيمنا غامضة تثير فينا رهبة.

كان الحر على أشده وجاعت الجمال وتشققت خفافها المضمدة فخلفت على الرمال آثار دماء. أما أنا فتقرّحت قدمي، وتورم رسغ ماريا نتونيتا. ولا عجب، فقد كنا نمشي ونركب الجمال ما يزيد على ١٢ ساعة في اليوم.

وكم تمنيت أن أرتاح من مشقة السفر، لكن حرب التشاد أقضّت مضجعي. ترى هل يتصدون لنا على الحدود ويمنعوننا من متابعة سفرنا؟ وفي حال دخولنا التشاد، ألا يحتمل أن يهاجمنا قتلة من الطرفين؟ واذا منعنا من العبور، فستكون محاولتنا قطع الصحراء الكبرى أُجهضت. ولكن على رغم جميع هذه المحاذير صممنا على المضي.

كنت في الماضي معلما في بلدة الجنينة على الحدود بين السودان والتشاد، في الجانب الآخر من البلاد. وغالبا ما سمعت قصف المدفعية وشاهدت ألوف اللاجئين يتدفقون عبر الحدود. وروى هؤلاء قصصا مخيفة عن حالات اعتداء وتعذيب وقتل. واذ اقتربت وزوجتي من حدود التشاد، عادت الي ذكرى تلك الروايات المفجعة عن تصارع الاحزاب وحوادث القتل والحرب الضارية.

وكم كانت دهشتنا حين عبرنا الحدود من النيجر الى التشاد من دون أن يقع لنا أي حادث.

وتعين علينا الذهاب الى العاصمة نجامينا للحصول على تأشيرة لدخول السودان. وقد تعرضنا مراراً للتوقيف والتفتيش والتهديد بالسلاح. وكان الناس يلتئمون حولنا في المدن. واحتجزنا مراراً وأجبرنا على دفع "رسوم تبغ" وهمية وأطلق سبيلنا تكراراً لنعود ونحتجز، حتى شعرنا كأننا ضحايا في لعبة "القط والفأر."

وزاد قلقنا أن أولئك الناس كانوا قادرين على سلبنا كل شيء ولا حماية لنا الا أنفسنا. فصممنا على المضي في خطتنا مهما حدث وعدم التنازل عن جمالنا ورفض الافتراق بعضنا عن بعض وعدم دفع أي رشوة.

وذات يوم بعيد الظهر شاهدنا جنديين على جملين مندفعين نحونا، وجنديا ثالثا يتقدم نحونا على قدميه. فأحاطوا بنا وفي عيونهم نظرات غضبى. سدد الجندي الراجل بندقيته الينا وقال: "أنتم لستم سياحا."

ثم نزل رفيقاه عن جمليهما وقال أحدهما: "لنفتش كل ما لديهم."

وقال الآخر: "افتحوا حقائبكم، اننا نبحث عن سلاح ومخدرات، والويل لكم اذا عثرنا على شيء غير شرعي."

خشيت أن يعثروا على مسدس الشعلات الذي احتفظنا به لحالات الطوارىء فيحسبوه سلاحاً.

خلال التفتيش عثر أحد الجنود على قطع صابون دبقة وفرشاة أسنان وسخة وجوارب تفوح منها رائحة كريهة، فعلت وجهه علامات اشمئزاز وقال لرفيقيه: "هيا بنا، لا شيء لديهم." ثم وقفوا يحدقون الينا ونحن نحمّل أمتعتنا وتنطلق.

وصلنا الى نجامينا بعد غروب الشمس. فأُخذنا الى أحد الفنادق حيث أدخلنا غرفة خالية الا من فراش على الارض. وفتش أحد الحراس أمتعتنا وجلس خارج الغرفة ورشاشه على ركبتيه. وعبرت فوقنا طائرة عسكرية اهتز لها البناء، ثم سمعت الباب يقفل علينا.

صباح اليوم التالي أُخذنا الى مقر أمن الدولة الذي بدا كحصن قاتم. وجلس أمام البوابة حارس في ثياب رثة ممسكاً رشاشا صغيرا ملقى على ركبتيه.

أُمرنا بالجلوس على مقعد في الفناء. وكان حولنا عدد من المجندين الاحداث في بزاتهم الرسمية الجديدة وهم يلعبون الورق (الكوتشينة) ويصخبون ودلائل الاعتزاز بادية عليهم.

جلسنا على المقعد وحيدين تحت أشعة الشمس الحارقة، ثماني ساعات لم يكلمنا فيها أحد ولم يدعُنا أحد الى الدخول.

وخشينا أن تتطور الامور الى الاسوأ فنُتَّهم بالتجسس ويفرّق بيننا ونودع السجن.

وأخيراً، اذا برجل يرتدي بذلة زرقاء يومىء الينا. تقدمنا منه فناولني ورقة باحترام قائلا: "اليك هذه." تطلعت الى الصفحة اليتيمة فوجدتها تصريحاً موقعاً من وزير الداخلية نفسه يجيز لنا عبور أرجاء التشاد.

غلبت علينا الصدمة وحدقنا الى الرجل مندهشين، فقال لنا: "الزما الطريق الرئيسية، لا تحيدا شمالا ولا يميناً. أبلغا عن وجودكما أي مركز للشرطة في طريقكما. رحلة موفقة، رافقتكما السلامة!"

أرض الضواري

حمّلنا أمتعتنا بسرعة وكلنا شوق الى الرحيل، وودعنا دليلنا مصممين على ألا نأخذ دليلا آخر. رفع أحد الجنود حاجز بوابة المدينة وهتف: "حذار الوحوش الضارية!" وخرجنا وغابت المدينة وراءنا.

في ظلام الليل بدت الظلال وهمسات الاجمات مخيفة خطرة. وكانت حدود السودان تبعد قرابة ألف كيلومتر. كنا وحيدين في تلك القفار الشاسعة الموحشة.

ولاننا صرنا اثنين فقد ازداد عملنا صعوبة. لكننا كوفئنا بشعور جديد بالحرية. وبتّ على يقين من أننا سنتمّ الرحلة معاً الى نهر النيل من دون حاجة الى دليل.

كانت ماريا نتونيتا تقوم بأعمال الرجال الاقوياء. فتحمل الصفائح الثقيلة وأكياس المؤن وتقود الجمال ماشية ساعات تعادل الساعات التي كنت أمشيها. وازدادت سرعة مسيرنا على ما كانت حين رافقنا دليل، فسرنا بمعدل ١٢ ساعة قاطعين حوالى ٥٠ كيلومتراً يوميا.

في الليل كان الحنان والسكون يغمراننا، وما ان ينبثق الفجر حتى ننهض فنحزم أمتعتنا على متون الجمال ونعاود السير ونحن نتطلع الى السودان التي أضبحت لنا كأرض ميعاد، وبات عبور التشاد بوتقة اختبار تنصهر فيها قوة احتمالنا.

ذات مساء اقتربت منا ضباع فتجمدنا رعبا لدى سماعنا جرّ أقدامها وعويلها الشرير. وتوقفت الجمال عن الرعي وأصاخت بسمعها مذعورة.

قلت لماريا نتونيتا: "لا تخافي، فالضباع لا تهاجم الناس. انها قمّامة تقتات بالجيف." ولم أكن مقتنعا بما قلته، لان الاعتقاد الشائع أن الضباع لا تفترس الا الجيف ليس الا خرافة.

في تلك الليلة أيقظنا عويل ضبع في أجمة شائكة لا تبعد أكثر من خمسة أمتار. فسدّدت مشعلي اليه، واذا بعينيه الصفراوين الذهبيتين تلتمعان في الظلام. أمسكت بفأسنا الصغيرة وأمسكت ماريا نتونيتا بعصا وطفقنا نصيح ونضرب الصفائح والقدور

لابعاده. وأشعلت ناراً اضطرمت بسرعة، فتوارت عينا الوحش المتوهجتان في الظلام. لكننا أبقينا النار حتى بزوغ الفجر.

في اليوم التالي لم يغب عنا خوف الضباع. وبعد الغروب تناولنا طعام العشاء وذهبت لاجمع الجمال، ولدى عودتي رأيت ماريا نتونيتا ممسكة الفأس الصغيرة بيد والمشعل بالاخرى.

قالت لاهثة: "هناك! هناك شيء يتحرك في تلك الأجمة!"

فطمأنتها: "لا شيء هناك."

واذا بعويل مشؤوم يمزق السكون، وخرج حيوان ضخم من الاجمة تبعه صياح وشعاع شقّ حجاب الظلام.

وبرز صبيّان عربيان ومعهما مشعل كهربائي كان هو مصدر الشعاع، وقد تسلّحا بهراوة ورمح، وسألانا: "هل شاهدتما الضبع؟ هذا المكان خطر ترتاده الضباع الضخمة. وهو الاخطر في المنطقة."

سألتهما: "وحل تهاجم الضباع البشر؟"

فأجابا: "نعم، انها لا تخاف شيئاً الا النور والنار. لا تمكثا في العراء بل في مخيم او قرية. الضباع تهاجم الجمال أيضاً."

في تلك الليلة أيضاً أبقينا النار موقدة حتى الصباح.

ولشدة العياء الذي أصابنا نتيجة إذكاء النار باستمرار الليلة السابقة، نصبنا مخيمنا باكراً مساء اليوم التالي، وأبقينا الجمال قريبة منا وأشعلنا النار. واذ أوشكت النار أن تنطفيء همست ماريا نتونيتا محذرة: "لقد توقفت الجمال عن الاجترار!"

كانت على حق، فقد هدأت الجمال وراحت تحدق عكس اتجاه الريح الى شيء في الظلام لا نراه. واذا بنا نسمع ولولة ارتعدت لها فرائصنا. فهتفت ماريا نتونيتا: "ما هذا؟"

قلت لها: "كأنها معزاة تُذبح."

صاحت ماريا نتونيتا: "انه ضبع، وهو يندفع نحونا!"

رأيت عينين تتوهجان على بعد رمية حجر من الجمال. وأطلق الوحش ولولة مرعبة وراح يطوف حولنا محاذراً. فرأينا بطنه المنتفخ ورأسه الضخم الاسود وسمعنا لهاثه ووقع أقدامه. كان أضخم ضبع وقع عليه نظرنا.

ثم اقترب وجبَهنا وجهاً لوجه وراح يستنشم الهواء. وحدّقت اليه فرأيت سعير الجحيم في عينيه وتصميما عنيدا على مهاجمتنا وافتراسنا. صرخت لزوجتي: "هاتي مسدس الشعلات!"

وبعد بحث محموم في الرحل ناولتني ماريا نتونيتا المسدس، فلقمته خرطوشة

لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات



- ▲ هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
- ▲ هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
- ▲ هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
- ▲ هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
- ▲ هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
- ▲ هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
- ▲ هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
- ▲ هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
- ▲ هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة

وقدحت الزناد فخذلني مرتين ولم أسمع الا "كليك! كليك!" وفي المرة الثالثة دوى انفجار فاشتعل الليل بهالة من نار قرمزية لامعة. وما هي الا لحظة حتى توارى الضبع في ظلام الليل.

حضنتني ماريا نتونيتا وهي ترتعش وسألتني: "ماذا لو عاد؟ قد تهاجمنا ضباع أخرى."

قلت: "سنقيم سياجا حولنا. أشعلي النار ولتبق مشتعلة!"

ثم تناولتُ الفأس وخرجت في العتمة أقطع ما تيسّر لي من الحطب حتى تقرّحت يداي. وعدت بأغصان صغيرة للوقود وأخرى كبيرة شائكة لتسييج موقعنا. وأخيرا جلسنا منهكين داخل حظيرتنا.

سألتني ماريا نتونيتا: "هل ستنام؟"

أجبت: "لا! سنتناوب الحراسة ساعتين لكل منا. دَوْري أولا."

ولم تمر عشر دقائق حتى كنت مرتميا على الامتعة أشخر عاليا، فأيقظتني ماريا نتونيتا قائلة: "يا لجَلَدك وحراستك المجيدة! لو اتكلنا عليك لهلكنا."

بعد ستة أيام في ٢٧ فبراير (شباط) وصلنا الى احدى مجمّعات ماء المطر، فالتقينا عجوزا محنية الظهر ذات وجه ودود، فسألناها: "هل نحن في التشاد أم في السودان؟"

فأشرق وجهها: "إيه؟ هنا السودان!"

تمتمت ماريا نتونيتا: "الحمد لله!"

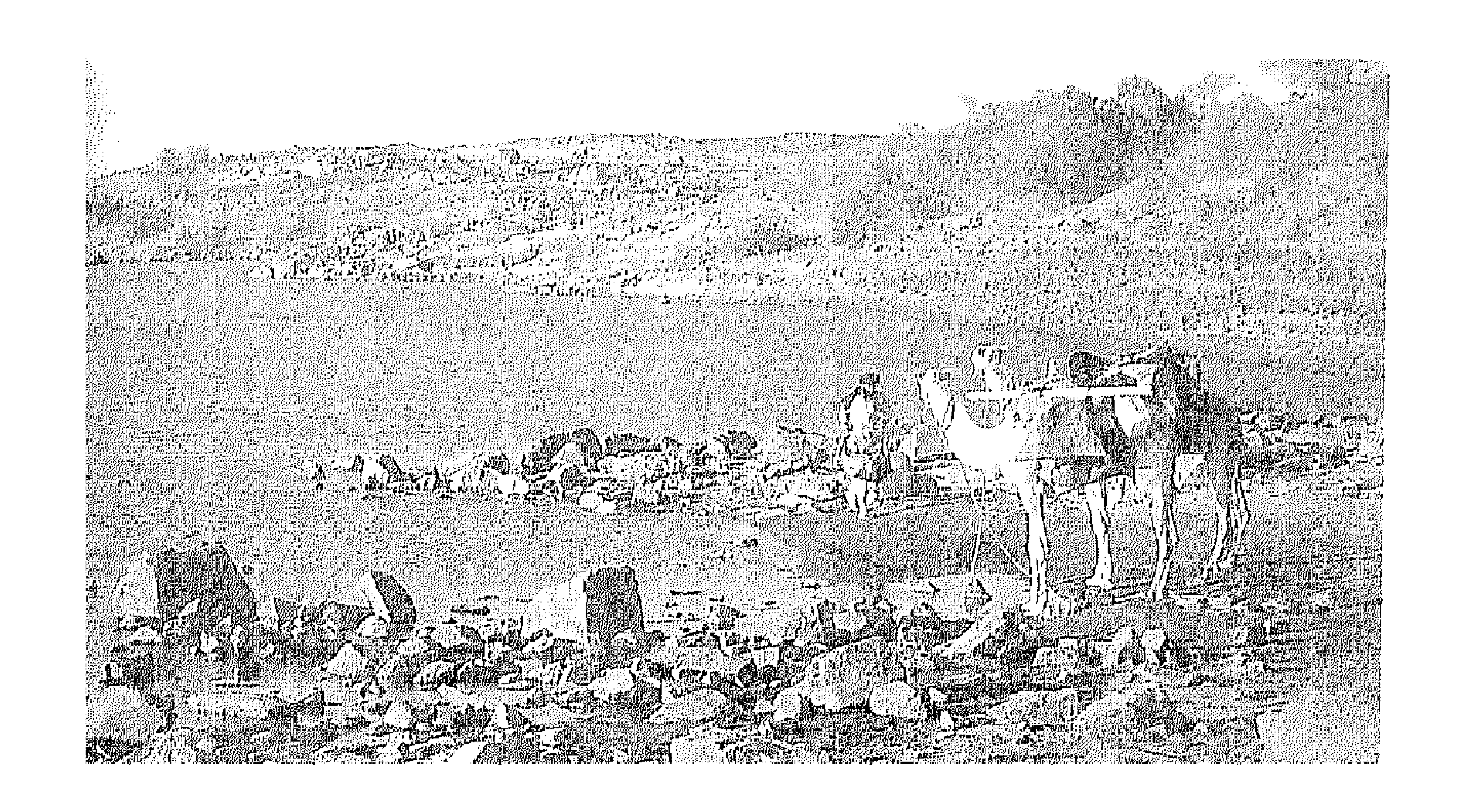
وطئنا أرض السودان مخلفين وراءنا خمسة آلاف كيلومتر من الصحراء والتحديات والمعاناة. لقد انتهى كابوسنا.

المرحلة الأخيرة

بعد شهر وصلنا الى مضارب عرب الكبابيش الذين عشت بينهم ثلاث سنوات. فأحاط بنا أصدقاء قدامى أنزلوا أمتعتنا وقيدوا قوائم جمالنا بالشكال وأطلقوها للمرعى.

ورحب بنا شيخ القبيلة التوم واد حسن باكرام ومحبة خالصة. وحضر معارف كثيرون للقائنا ولمشاهدة "زوجة عمر." وأمر الشيخ بذبح خروف تكريما لنا. وجلسنا في خيمة الضيافة الكبيرة بعض الوقت ونحن نسمع في الخارج أصوات النساء وهن يهيئن الشواء. وساد الجو شعور بالرغد والطمأنينة وبدا كل شيء في مكانه السوي وفق التقاليد المكرسة منذ القدم.

وصفت لزوجتي التقاليد العربية المتبعة في الولائم: أول الطعام يقدم الى الضيوف



خاتمة الرحلة تعبئة القرب من نهر النيل على الحدود السودانية المصرية

وهو لحم نيء، فعليها تناول قطعة منه والا عدّ امتناعها اهانة كبرى. وبدأت الوليمة، فقدمت الينا مكعبات من اللحم النيء التي اعتبرها مضيفونا لذائذ شهية. فبدت مسحة من الاشمئزاز على محيا ماريا نتونيتا، فهمستُ لها بالانكليزية: "هيا، كلي. انهم ينتظروننا لكي يبدأوا الأكل."

فتمالكت نفسها وتناولت قطعة مترددة، ثم أخذت تمضغها بسرور ظاهر. قالت: "انها لذيذة حقا!"

ثم أحضرت لنا أطباق اللحم المشوي فأشبعنا نهمنا حتى الانتفاخ.

بقي أمامنا سهل صخري يتعين اجتيازه وليس فيه سوى بئر واحدة تسمى "أبو طبرى" محجوبة في منطقة واسعة من الصخور التي نحتتها يد الريح. فأخذنا معنا دليلا اسمه آدم ليساعدنا في الاهتداء الى البئر، علما أن نهر النيل كان لا يبعد الا مسيرة عشرة أيام.

في ١٢ ابريل (نيسان) شاهدنا صخراً ذا رأسين فهتف آدم: "هذه هي بئر أبو طبرى." ومرّت ساعة ففارق الابتهاج آدم ولاذ بالصمت. وبدا الصخر ذو الرأسين بعيداً جداً عن المعالم التي حددتها بوصلتي. لم يطل صمت آدم، واذا به يعلن فجأة: "لا أعتقد أن هذه هي البئر المنشودة."

حدقنا اليه مذعورين، وصحت به: "لا تعتقد ذلك؟ أتعني أنك لست متأكداً من موقع البئر؟"

أجاب: "نسيت الموقع يا عمر. فمنذ عشرين سنة لم تطأ قدماي هذا المكان."



مايكل وماريا نتونيتا على عتبة منزلهما في واحة تشينغيتي.

كظمت غيظي وقلت له: "لا أحد معصوما عن الخطأ. ولكن ان لم نعثر على البئر غداً فسنعود من حيث أتينا."

فردّ محتجاً: "ولكن يمكننا الوصول الى نهر النيل."

قلت له وأنا عالم تماماً أنه يخشى أن يفقد اعتباره إن نحن عدنا: "آدم، النيل يبعد عنا مسيرة ستة أيام أو سبعة، والماء لدينا يكفينا ليومين فقط، وأنت أيضاً في حاجة الى الشرب."

فجر اليوم التالي انطلق آدم باحثا عن اثار جمال علّها تهدينا الى البئر. قالت ماريا نتونيتا متنهدة: "يا الله! أيحدث هذا ونحن على هذا القرب من نهر النيل؟"

فطوقتها بذراعي وسألتها: "هل أنت نادمة على القيام بهذه الرحلة؟"

أجابت: "لا، على الاطلاق، ولا اتمنى القيام بها مع أحد سواك."

في وقت لاحق وقف آدم على قمة برج من الصخر والرمل وأجال بصره عبر الصحراء ثم قال خائبا: "لا شيء."

كان ذلك قرابة الظهر وقد سرنا منذ الفجر من دون أن نشرب نقطة ماء. فشعرت بفمي جافاً كالحصى. قلت: "يكفينا ضياعاً، لنعد."

أدار آدم الجمال مكرها كالح الوجه. فجأة هتفت ماريا نتونيتا: "انظرا! هناك!" فاستدرت وشاهدت في البعد جملا ورجلا ينتشل ماء من بئر محجوبة عن الانظار.

هتفت: "أبو طبرى! لقد وجدناها!"

تقدمنا من الرجل فصافحنا ورفع لنا الدلو الجلدي لنشرب منه ونرتوي. فأخمدنا

عطشنا بالماء البارد المنعش الذي انسكب على صدورنا. والحقيقة أني لم أذق في حياتي ماء ألذّ أو أكثر انعاشا من ذاك.

تابعنا السير، فعصفت بنا هبة ريح ساخنة منذرة بعاصفة رملية. فنزلنا عن الجمال وربطناها معاً.

كادت العاصفة تدفننا برمل رمادي. وكنا أثناء هبوبها نصرّ بأسناننا ثابتين في كفاحنا الأخير في وجه الصحراء.

عند شق الفجر هدأت العاصفة، فنهضنا من تحت ملاءات الرمل التي غطتنا. ومن فوق كتلة صخرية أشار آدم الى خط أخضر لم نتوقعه هناك والى ومض مياه مترقرقة أذهلتنا. وارتفعت خلف المياه الفضية تلال صفر على امتداد الأفق. قال آدم: "هناك تنتهي الصحراء."

انحدرنا عن الجرف ملهوفين نجرّ الجمال وراءنا. ودخلنا بلدة الدبّة الصغيرة على ضفة نهر النيل. أمسكت يد ماريا نتونيتا وسرنا بقافلتنا في شوارع البلدة حيث وقف الناس لمشاهدتنا.

لن تمحى من ذاكرتي صورة النيل العظيم الرمادي الصامت الازلي اذ شاهدته بعد اشهر السفر الطويلة.

مدت الجمال أعناقها الى صفحة المياه الجارية وراحت تعبّ الماء نهمة لارواء غلتها. ووقفت وماريا نتونيتا ويدانا متشابكتان ونحن نحدق غير مصدقين الى المياه المتدفقة رمز الحياة. فنزعت الصندل الذي كنت اشتريته في تشينغيتي قبل ٢٥٦ يوما مرّت كأنها حياة ثانية. لقد دخل هذا الصندل التاريخ لاني اجتزت به عظمى صحارى العالم.

أمسكته بيدي وحدقت اليه هنيهة ثم رميت به في المياه المدوّمة.

مايكل آشر ■

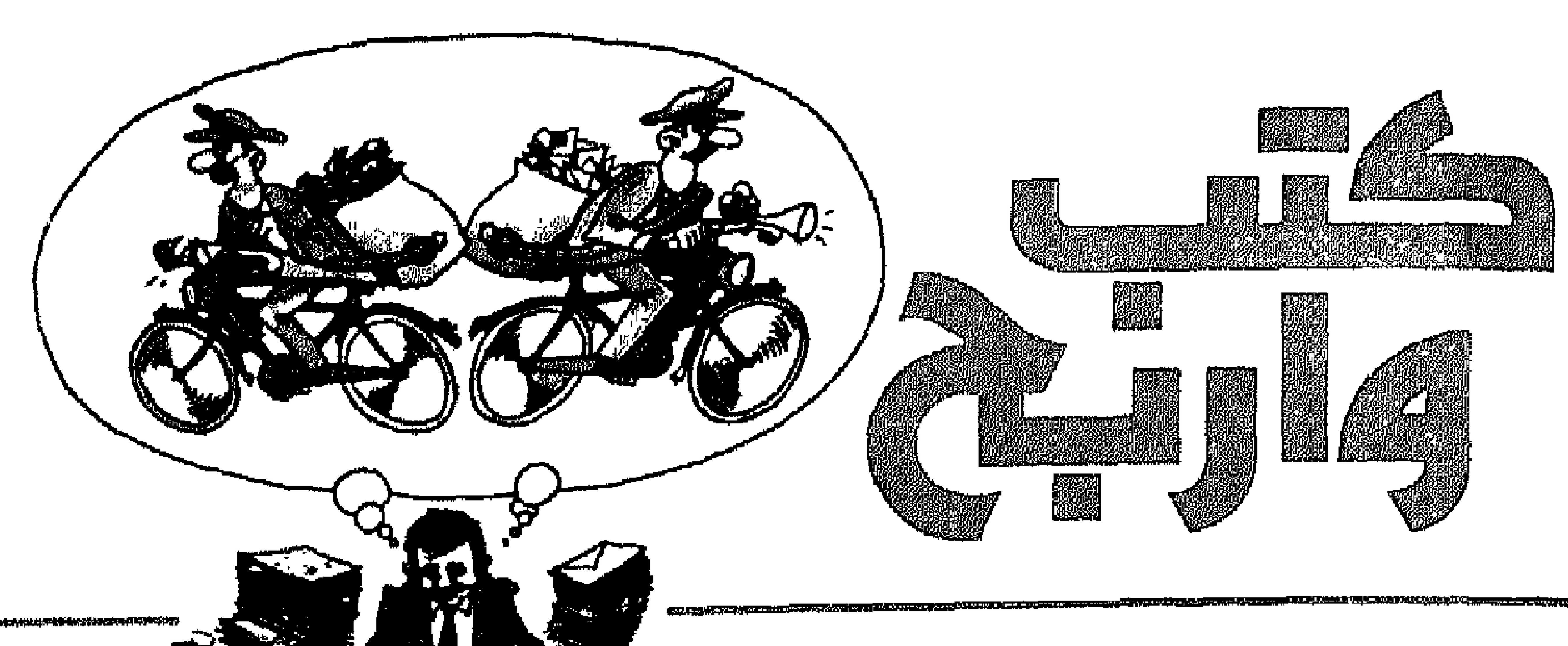
ترجمة الياس عقل

طرق الامهات

عادت رسالتنا الى العم سالم مختومة بالعبارة الآتية: "المرسل اليه غير معروف." مرة ثانية ينتقل عمي من دون أن يبلغ أحداً بعنوانه الجديد! لكن جدتي لم تهتم للامر، بل سارعت الى توجيه رسالة أخرى الى ابنها. ولشد ما كانت مفاجاتنا حين تلقت رداً بعد أسبوع.

عندما سألناها ماذا فعلت أجابت: "كتبت على الرسالة: أرجو تسليمها على عنوانه الجديد. ووقعتها: أمّ قلقة."

س.ر.



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

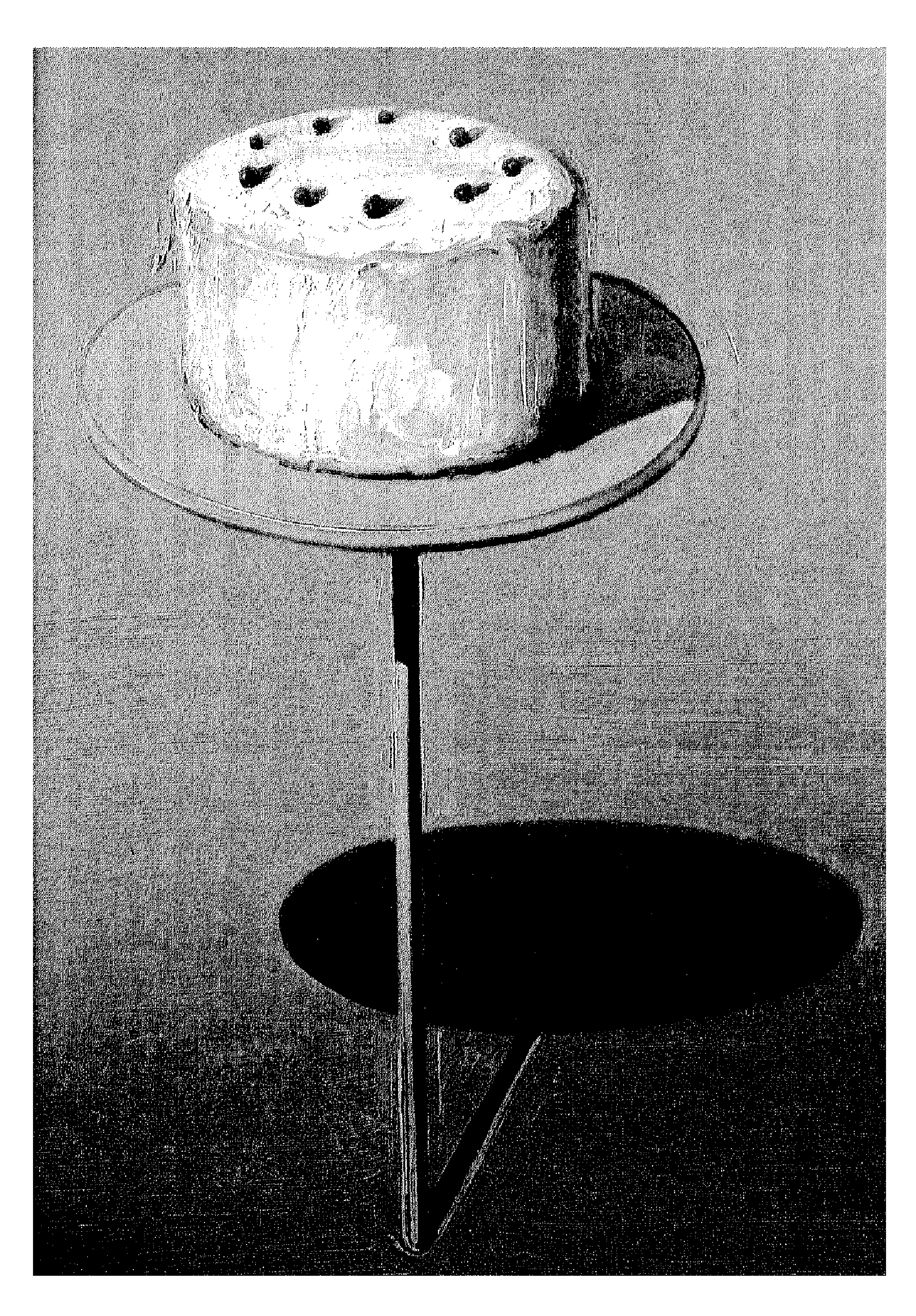
الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصا اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست". بيروت.



"كعكة العيد" - زيتية للفنان الامريكي وين تيبو.